فیما یعود نفعها الیه والله سبحانه منزه عنها وهو اما من باب المجاز المرسل بذکر السبب وارادة المسبب
اذ الارادة والرحمة بسبب التفضل والاحسان واما علی طریقة التمثیل بان شبه حاله تعالی بالعباد
المرحومین فی ایصال الخیر الیهم بحال الملک اذا عطف علی رعیته ورق لهم فاصابهم بمعروفه
وانعامه فاستعیر الکلام الموضوع للهیئة الثانیة للاولی من غیر ان یتجوز فی شیء من مفرداته
وعلی ذلک فقس سائر الصفات التی لا یصح اتصافه تعالی بها باعتبار مبادیها کالانفعالات
کالرحمة والحیاء والغضب او للاکثر کالتشهر او المکر والخداع ونحوها فقیل ان صفات الله تعالی
علی صیغة المبالغة کلها مجاز لانها موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فیها فان المبالغة تکون
فی صفات تقبل الزیادة والنقصان وصفات الله تعالی منزهة عن ذلک وفیه ان صیغ
المبالغة قسمان قسم یحصل المبالغة بحسب زیادة الفعل والثانی بحسب تعدد المفعولات
ولا شک ان تعددها لا یوجب للفعل زیادة اذ الفعل الواحد قد یقع علی جماعة
وعلی هذا تنزل صفاته تعالی ویرتفع الاشکال هذا وقد ورد فی بعض الروایات
ان الرحمن العاطف علی خلقه بالرزق لا یقطع عنهم مواد رزقه وان انقطعوا عن طاعته
والرحیم بعباده المؤمنین فی تخفیفه علیهم طاعاته وبعباده الکافرین فی دعائهم الی موافقته

والرحمن اسم خاص بصفة عامة والرحیم اسم عام بصفة خاصة والرحمن ابلغ من
الرحیم لدلالة زیادة المبنی علی زیادة المعنی فعند اعتبار الابلغیة فیه بحسب الکمیة
نظرا الی کثرة افراد المرحومین یقال یا رحمن الدنیا والآخرة لشمول رحمة الدنیا
للمؤمن والکافر وخصوص رحمة الآخرة بالمؤمن وعند اعتبار الابلغیة فیه باعتبار
الکیفیة وهی جلالة الرحمة ودقتها بالنسبة الی المجموع کل من الرحیمین یقال یا
رحمن الدنیا والآخرة ورحیم الدنیا لجلالة رحمة الآخرة باسرها بخلاف رحمة الدنیا
وباعتبار النسبة الی بعض افراد کل من رحمة الدنیا والآخرة الی بعض یقال یا رحمن الدنیا
والآخرة ورحیمهما لان بعضا من کل منهما اجل من بعض وبعضا من کل منهما ادق
وقد ورد کل ذلک فی الادعیة الماثورة عنهم علیهم السلام **یا مَن دَلَعَ لِسانَ**
الصَّباحِ بِنُطْقِ تَبَلُّجِهِ یوجد فی بعض النسخ اللهم یا من دلع فیکون
عطف بیان جیء به للمدح کما یجیء الصفة لذلک لا للایضاح فان الله علم
للذات الواجب الوجود الخالق لکل شیء فلا ابهام فیه ولا اشتراک یحتاج الی
الایضاح واحتمال البدلیة لذلک غیر جید والتاکید غیر مناسب **مقدمة** صفة الذات

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم يا من اذهب الليل مظلماً بقدرته وجاء بالنهار مبصراً برحمته ونصلي على اشرف بريتك محمد وآله عترته وخاصته محرم ضميره وشهود سره وصاحب كريمته اخيه صاحب السيف والقلم معدن الجود والكرم اسد الله الغالب مظهر العجائب والغرائب علي بن ابي طالب اشرف الاوصياء والمرسلين خلفاء محمد خاتم النبيين صلوة متجددة بتجدد الاصباح متكررة بتكرر الارواح **وبعد** فيقول الفقير الحقير الآثم [illegible] مولاه الجليل محمد بن الحسين بن محمد رضا المشهور باسمعيل عفى الله عن جرائمهم بمحمد وآله و[illegible] هذا الدعاء الشريف الموسوم بمفتاح الفلاح ومصباح النجاح [illegible] المنسوب الى الحضرة المقدسة والساحة المطهرة نور الثقلين ومجمع البحرين ابي الحسنين امير المؤمنين وسيد الوصيين سلام الله عليهم اجمعين ونحن وان لم نجده بسند صحيح متصل الاسناد لكن نقله بعض الاصحاب [illegible] باسانيد صحيحة وروايات صريحة [illegible] عليه السلام ومع قطع النظر عن ذلك [illegible]

فعباراته شريفة وكلماته لطيفة ومضامينه عالية ونظمه القرآن واسلوبه عجيب لدى اهل اللسان واحد شاهد على صدوره من ذلك المصدر الاعلى تبارك مصدراً ولقد احسن من قال او صدق لفي كلامه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق [illegible] اشتراكه فيه [illegible] كان [illegible] عن [illegible] بلغ [illegible] كما سماه [illegible] مع قصور الباع [illegible] في هذه الازمان قراءته في كثير من اهل الايمان [illegible] بمعاني [illegible] **بسم الله الرحمن الرحيم** [illegible] من [illegible] والرحمن الرحيم [illegible] من [illegible] والرحمة [illegible] من الكيفيات [illegible]

[illegible]

ما يكون الذات بذاته كافية في تحققه والاتصاف به لأنها عين الذات كما هو الحق
او لازمة على القول بزيادته بخلاف صفة الفعل اذ الذات بذاته غير كافية في
تحققها والاتصاف بها بل هو موجب باعتبار كونه مبدأ الفعل من الافعال يكون منشأ
تحققها والاتصاف بها والفرق بينهما من وجوه فان صفات الذات واجبة قديمة
غير مقدورات لا يمكن الاتصاف بها وبمقابلاتها بخلاف صفات الفعل فانها
ممكنة حادثة مقدورة يمكن الاتصاف بها وبمقابلاتها والضابط ان كل
شيئين متضادين وصف الله بهما ونحوهما الوجه فهما من صفات الفعل كالعفو
والانتقام والرضا والسخط فانه يقال عفى عمن تاب وانتقم عمن اصر ورضى
عمن اطاعه وسخط على من عصاه وصفات الذات لا يجوز وصفه تعالى بها وبضدها
فلا يجوز ان يقال هو عالم وجاهل او قادر وعاجز وبالجملة كل صفة توجد فيه سبحانه
نقيضها فهي من الصفات الذاتية وكل صفة توجد فيه ونقيضها فهي الصفات
الفعلية والمراد بصفات الجلال السلبية وبصفات الجمال الثبوتية اذ المراد
بالاول صفات الغضب كالقهارية وبالاخر صفات الرحمة كالغفارية والرازقية

وبعد

وبعد تقديم هذه الجملة **اقول** لما كان من شرائط اجابة الدعاء تقديم المدحة
له والثناء عليه قبل المسألة كما ورد في الخبر اذا طلب احدكم الحاجة فليثن على ربه
وليمدحه فان الرجل منكم اذا طلب الحاجة من السلطان هيأ له من الكلام احسن ما يقدر عليه
وفي كتاب عدة الداعي عن امير المؤمنين عليه السلام ان المدحة قبل المسألة فاذكر
عليه السلام قبل ان يطلب منه تعالى حوائجه صفات عديدة ذاتية وفعلية جمالية
وجلالية تدل على مدحه وثنائه تعالى مع رعاية مناسبة تلك الصفات
لتلك الحاجات فتحققت حق العبارة وجريا في مقام الفصاحة والبلاغة وهو الذي
قد بلغ في الفصاحة غايتها وتجاوز في البلاغة نهايتها وقد قيل اذا اراد العبد ان
يستجاب له فليدع بما يناسبه من الاسماء الحسنى والامثال العليا وجعل تلك
الصفات المادحة جملة فعلية عاطلة عن حلية الدوام والثبات ايماء الى ان
التجدد اولى بالاعتبار في المقام من الثبات والدوام لدلالته على ان
تلك الآثار العجيبة وهذه الافعال الغريبة متجددة شيئا فشيئا ومتكررة
وقتا فوقتا فلا تخلو لحظة من انعام جديد ومزيد احسان عقيب مزيد **ثم**

لما كانت الافلاك مرتفعة عنها الا الحيوة على ما دل عليه بعض الاخبار
وصرح به بعض الاخيار مدعيا عليه اجماع المسلمين وكانت مدبرة مسخرة
لله تعالى والملائكة الموكلون بتحريكها مطيعين له امره لا يعصونه ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون صح اسناد الدلع والتسخير وما شاكل ذلك الى الله تعالى
وتوصيفه بها والا فهي الحقيقة هذا الفعلان من الافعال المنتسبة الى الافلاك
والمنسبة من حركاتها ومن جزئيات بركاتها فالاسناد مجاز عقلي من
حيث انه بسبب امر كقولهم بنى الامير المدينة وقطع الامير اللص قال السيد
المرتضى علم الهدى قدس سره في بعض مسائله لا خلاف بين المسلمين في ارتفاع
الحيوة عن الفلك وما يشتمل عليه من الكواكب وانها مدبرة مسخرة مصرفة وذلك
معلوم من دين رسول الله صلى الله عليه وآله ضرورة انتهى وذكر نحو ذلك في المحاسن الغرر
والدرر قيل وللبحث في دعوى الاجماع والعلم بذلك من الشريعة مجال اقول
لا مجال له وكثير من الاخبار الصحيحة والموثقة وغيرهما المذكورة في الفقيه وغيره صريحة
فيما ادعاه السيد وقد ذكرنا نبذة منها في بعض رسائلنا مع ايماننا هناك الا انها
غير

غير قابلة للتصرف والتدبير فليطلب من هناك وكذا الامر لو بني على قانون الفلاسفة
وقيل ان الافلاك بجملتها حية مطيعة لمبدعها وغرضها من حركتها التشبه
بجنابه والتقرب اليه جلت عظمته فان افعالها لما كانت مضمحلة في فعله تعالى
وارادتها مستهلكة في ارادته جاز وصفه بذلك كما مر لما اوتي انه اشارة
الى مقام توحيد الافعال بان لا مؤثر في الوجود الا الله كما ذهب اليه قوم منهم الحكماء
القائلون بان الله تعالى هو الفاعل الحقيقي لجميع الممكنات وان ما عداه بمنزلة
الشرائط والالات كما فهم من كلماتهم بعض المتاخرين والفضل للسابق كما ان المقصود
في النحو واي كلمة اين بين حرف النداء الموضوعة لنداء البعيد على ما نقل من ان المخبر
وابن هشام مع انه سبحانه اقرب اليه من حبل الوريد هضما لنفسه واستبعادا لها
عن مظان الزلفى رعاية لقانون الادب الذي هو داب السالكين وطريقة العاشقين
فان طريق العشق كلها اداب او تعظيما وتبعيدا للحضرة المقدسة والساحة
المطهرة عن وتبا الذي عن الكدر بالكدورات البشرية والتلبس بالتعلقات الهيولانية
او تنبيها على شدة حرصه وقوة رغبته على قبائه كانه امر بعيد وعلى ما ذهب الشيخ ابن حاجب

[illegible]

[illegible]

من انها تعم القريب والبعيد لانها لطلب الاقبال مطلقا فلعل الوجه في ايثارها ان ما
عداها تقتضي قرب المكان او بعده بخلافها فانها لا تقتضي شيئا منهما وفيه ان
التعميم لا يقتضي ذلك غاية الامر انها جنس منحصر في النوعين فلا بد من وجوده في ضمن
افراده فالحق انها موضوعة للنداء البعيد وقد ينادى بها القريب تنزيلا له منزلة البعيد
لا لعظمة او لغفلة او للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه وفي هذا المقام يصلح
ان يكون وجها آخر لايثارها هنا قال ابن المنير وصلتها تحقق بان كان
بعيدا منك ثم استعملت في كل نداء وان قرب المنادى كانك تقدر المخاطب ساهيا
غافلا وكفى بالغفلة بعدا فتوقظه بذلك الصوت من سنة النوم ثم تقرؤه بخطابك
ولكن مصغيا بان الامر الذي بعده مهم عندك وكانك في غفلة عنه فتريد
تيقظه بالتصويت ثم قال فان قلت فهل استعمال هذا الحرف في الدعاء وقد علم
ان الله تعالى لا يجوز عليه السهو ولا الغفلة ولا البعد فانه اقرب الى الداعي من حبل
الوريد قلت تستقر انها بالدعاء صارت مؤذنة باهتمام المتكلم بالمقصود
الذي يلي بعدها رحم من ان يكون داعي غافلا او ظهرا دخلها لاستتمام

بالحاجة من قبيل الضراعة والحاح المطلوب في الدعاء قال
الزمخشري وقول الداعي في حواره يا رب ويا الله مع كونه اقرب اليه من حبل
الوريد استقصار منه واستبعاد لها في مظان الزلفى هو هضم للنفس
الداعي يقول في دعائه يا قريبا غير بعيد وربما قال يا من هو اقرب الي من حبل الوريد
فاين هذا من الاصحاب في مقام البعد كلام ابن المنير واجيب عنه
بان هذا الكلام من الداعي غير مناف للاطناب في مقام البعد والبعيد منه لان
المراد استقصار نفسه واستبعادها مما يقربه من رضوان الله تعالى وليس المراد
بندائه في اقباله وتوجهه بوجه وتقلبه كما يزعمه المجسمة والمشبهة ومن يحذو حذوهم
تعالى الله عن ذلك بل المراد بكونه مطلوب الاقبال كونه مسؤول الاجابة او الاقبال انما
كناية عن الاعتناء والاكرام لان من اعتنى باحد واكرمه التفت اليه واقبل
بوجهه عليه فلا حاجة الى القول بان هذا النداء مجاز للتشبيه بما لا يصلح للنداء
اذ القول بانه غير صالح للنداء بعيد مع ان القول بالتشبيه ايضا غير مناسب
والموصول من بين المعارف ليتمكن من اجراء تلك الصفات عليه فيكون ادل عطف على كلمة يا منه

على غرضه المسوق له الكلام لانه لما كان قادرا على ملك لا على العجلة والاثار
الغريبة كان قادرا على انجاح مأربه واسعاف مطالبه التي تسبب في ذلك او يشير
الى ان وجوه ومناداه انما يمكن ان يعرف بواسطة تلك الصفات والصلات
على ما هو وضع الموصول وسببيته لان تلك الصلات والصفات معلومة
الاتساب اليه فلا يذهب منهم وهم الاعزه اذ العلم بمضمونها وبنسبتها اليه فطرى
بديهي حاصل لكل احد من الموحدين والمشركين والمقرين والمنكرين ولذا
حين قال خليل الرحمن ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب
لم يمكنه معارضته ومجادلته لعلمه بان القادر على ذلك ليس الا هو ولذلك سكت
وبهت كما اخبر الله سبحانه عنه بقوله فبهت الذي كفر او يشعر بان الباعث له على النداء
انما هو اتصافه بتلك الصفات والصلات وقوله عليه السلام دلع فيه الفاظ
من نظر الى لغته وطلب الايضاح لمجرد الابهام تفخيما لشأن المبهم وتعظيما له
والدلع اللفوح ومنه انه كان يدلع لسانه للحسن اي يخرجه حتى ترى حمرته فيبهش
اليه فيقال دلع وادلع ومنه الحديث ان امرأة رات كلبا في يوم حار قد ادلع

لان

لسانه من العطش ومنه يبعث شاهدا زور يوم القيمة مدلعا لسانه في النار وفي القاموس
دلع لسانه كمنع اخرجه كادلعه فدلع كمنع ونصر دلعا ودلوعا وانما عبر عن
ظهور ضوء الصبح وتباشيره وابتدائه بدلع اللسان لانه اضداع ظلمة
نور ولهذا سمي بالصديع وكان الافق كان بحرا مملوا من الظلمة ثم انه
تعالى شق ذلك البحر المظلم بان اجرى فيه جدولا من النور وتعبا عن
انشقاق ظلمة الليل بظهور الصبح المستطير وهو اثر ضوء الصبح الذي كانه
جدول ماء صاف يسيل في بحر كدر بحيث لا يتكدر الصافي بالكدر ولا يختلط
الكدر بالصافي فذلك الجدول هو المعبر عنه بلسان الصباح وقد يقال
له عمود الفجر والمراد انه تعالى فلق الظلمة فانشقت عن ضوء مستضيء
ما كان يكدر في نفسه كثيف في جوهره كالارض واجزائها المتصلة والمنفصلة
واللسن في الاصل معناه الفصاحة ومنه اللسن اي الفصيح وانما سميت
تلك الجارحة به لكونها آلة لافصاح المعاني وايضاحها واضافته الى الصباح
اضافة اللجين الى الماء في قوله والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الاصيل

على لجين الماء حيث قدم المشبه به على المشبه وأضيف إليه أي أصيل كالذهب على ماء كاللجين
وكذا الكلام في نطق بلجة على ما تشا وتمامه في الكلام فليس الكلام استعارة بل فيه تشبيهان فقط
ويحتمل أن تكون الإضافة فيه لأدنى ملابسة كما أشير إليه إن شاء الله تعالى قلادة وبما فسرناه ظهر أن
لا حاجة إلى العمل بالتجريد بأن الدلع بمعنى إخراج اللسان من الفم فهو على طريقة [illegible]
ومن بنى الذي أسرى وفي لسان الصباح كوجه استهلال الهلال بهذا اللفظ لما كان موضوعا
لأن يطلب الأمر خر صب حتى فذكره في مقام الوصف وإنشاء الكلام بارعه لا يخفى والصباح
أول النهار إذا انتصف فهو الفجر ومثله الصبح وقد يطلق على منتصف الليل إلى
آخر الزوال كما نقله ابن الجواليقي عن العرب والجمع أصباح والمراد هنا أول النهار
وهو ضوء الشمس يظهر في جانب المشرق قبل طلوعها لأنها إذا قربت من الأفق الشرقي
مال مخروط ظل الأرض من سمت الرأس وقرب الأجزاء المستضيئة في حواشي الظل
من البصر وفيه إذ قوة فيدركه البصر وكلما ازدادت الشمس قربا من الأفق ازداد
ضوء نهايات الظل قربا من البصر إلى أن تطلع الشمس ومظهره الأكرة البخارية
فلظلمة النور أو ما يقاربه سائر من الأجزاء البخارية المختلطة بالهواء القابلة للضوء
لكونها.

بكونها ملونة في الجملة فتحقيق شرط التكيف بالضوء والكلام فيه وفيما فيه يطلب
من موضع آخر ثم الظاهر أن المراد بالصباح هنا هو الفجر المستطير
المسمى بالصادق لأن الإطلاق ينصرف إليه لكونه منصرف إليه صدق
وإلى الذهن لا على المستطيل المسمى بالكاذب وإن كان كل منهما يطلق عليه الصباح
كما ورد في الخبر لا يغرنكم الفجر المستطيل فكلوا واشربوا حتى يطلع الفجر
المستطير ولأن الصادق والكاذب من الصباح إن كان لكل منهما لسان
يدلع ونطق وإلا لم يتصور منهما صدق ولا كذب إلا أن لسان المستطيل والآخر دق
مما يلائم الصدق بل هو نفسه لأن الضوء عند قرب الصباح يظهر مستدقا
ضعيفا مستطيلا كالعمود ذنبه شبه بذنب السرحان لدقته واستطالته
ويبقى وجه الأرض على ظلامه بظلمة ثم يزداد الضوء على أن يأخذ طولا
وعرضا فينبسط في عرض الأفق كنصف دائرة وهذا أول الصبح والإسفار والله
فاند ونطق ينطق من باب ضرب تكلم بصوت وحروف يعرف
بها المعاني ويقال نطق الناس ان كلا أي نطق الرجل والنطق يطلق على الظاهر

الذي هو النطق والباطني الذي هو ادراك الكليات وهي القوة التي هي مصدر
ذلك الفعل وتظهر منه الافعال عن ان طقه والمراد بها ههنا الاول على وجه
الاستعارة وان فيه لا بيانية او الية او عجيبة وصفة الابلاج اضافة
الذهب على الكلام حيث شبه الابلاج الذي هو سبب لكشف الستر بالنطق
الذي هو سبب لظهور ما في الضمير ثم قدم عليه واضيف اليه ولما كان النطق
لازم للسان المتكلم فكذا الابلاج لازم للسان الصباح او لانه
او فيه بيانية وفي تبلجه لامية والضمير فيه يعود الى الصباح والابلاج الاشراق
والاضاءة يقال بلج الصبح وتبلج وابتلج اذا اشرق وضاء واسفر
والبلجة بالضم والفتح ضوء الصبح وفي الحديث ليلة القدر بلجة اي مشرقة
ومنه ما نقل عن السيد الحميري في رد الشمس على صاحب الدعاء عليه السلام
ردت عليه الشمس لما فاته :: وقت الصلوة وقد دنت للمغرب ::
حتى تبلج نورها في وقتها :: للعصر ثم هوت هوي الكوكب :: وقد عرفت
في الكلام من التشبيه لكن ان تقول انه شبه الصباح في النفس بالشخص المتكلم
بالم

بجامع الاظهار والكشف اذ الصباح كاشف للستر كما ان المتكلم كاشف الضمير
استعارة بالكناية واثبات اللسان له تخييل وهذه الاستعارة قرينة
الاستعارة الاولى كالاظفار للمنية في قوله واذا المنية انشبت اظفارها
لان المكنية والتخييلية على مذهب صاحب الايضاح ومن يرى رايه متلازمان
لا يتحقق احديهما بدون الاخرى اذ التخييلية على هذا المذهب يجب ان تكون قرينة
المكنية البتة والنطق اما ترشيح او تخييل وفي ذلك استعارة تبعية او هو محمول
على حقيقته وانما قلنا على هذا المذهب لان صاحب الكشاف والمحققين من شراح
كلامه يقولون ان المكنية قد توجد بدون التخييلية وان قرينتها قد تكون
تحقيقية تصريحية كاستعارة النقض لابطال العهد في قوله تعالى الذين ينقضون
عهد الله من بعد ميثاقه حيث استعار الحبل للعهد وهي مكنية وقرينتها ذكر النقض
الذي هو ابطال التاليف والجسم وهي استعارة تحقيقية تصريحية حيث شبه
ابطال العهد واطلق اسم المشبه به على المشبه وفي المعنى قوله في الكشاف
شاع استعمال النقض في ابطال العهد من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة

لم يفرق من اثبت الوصل بين المتعاهدين ومنه قول ابي التيهان في بيعة العقبة يا رسول الله
ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى ان الله عز وجل اعزك واظهرك ان
ترجع الى قومك وهذا من اسرار البلاغة ولطائفها ان يكنوا عن ذكر الشيء المستعار
ثم يرمزوا اليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ونحو قولك شجاع
يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس لم تقل هذا الا وقد نبهت على الشجاع والعالم
بانهما اسد وبحر وهي كما قال العلامة التفتازاني استعارة بالكناية وان قرينة الاستعارة
بالكناية لا تجب ان تكون استعارة تخييلية بل قد تكون تحقيقية وقال صاحب الكشف
ولك ان تقول من غير تكلف على ان الترادف المؤثر به قد يكون بما لا يستعمل في الغرض
للتشبيه فقط كما في مخالب المنية وقد يكون بما يستعمل وان تفرع على الدقيق
كالنقض والاعتراف للابطال والانقطاع وتحرر في ذلك تابعة اشهر فيهما
ربحت ان يقال استعار المصباح للشخص المتكلم وهي مكنية ونبه عليها بذكر
تلك الذي هو آلة الاصباح وفصباح هي استعارة تصريحية حيث
شبه اصباح المصباح واظهاره الاشياء كما يعبر بالبرق ثم اطلق اسم المشبه به
على

على المشبه فيما يتم فيه وحاصل المعنى انه ادعو وانا داع الذي اخرج من
الصباح بان جعله مشرقا مضيئا للعالم لما فيه من الالاء الاشياء كالنطق الذي معربا عن
هو معرب لذات الصدور او باظهار نوره وخص ضوء الصباح ايضاح
ضوء الصباح انما هو من ضياء الشمس قطعا وبيان ذلك على ما حرره
ارباب الهيئة ان المستضيء بالشمس من الارض اكثر من نصفها لانها
اعظم منها ومتى استضاءت كرة صغرى من كرة عظمى كان المستضيء من
الصغرى اكثر من نصفها والمظلم اقل ويكون ظلها مخروطيا فظل الارض على
هيئة مخروط يلازم راسه مدار الشمس وينتهي في فلك الزهرة كما علم بالحساب والنهار
مدة كون المخروط تحت الافق والليل مدة كونه فوقه فاذا ازداد قرب الشمس من
شرق الافق ازداد ميل المخروط الى غربه ولا يزال كذلك حتى يرى الشعاع المحيط به
افق ما يرى منه هو الاقرب الى موضع الناظر لانه يصدق رؤيته وهو موضع
خط يخرج من بصره عمودا على الخط المماس للشمس والارض فيرى الضوء مرتفعا
عن الافق مستطيلا وما بينه وبين الافق مظلما لقربه من قاعدة المخروط
الموجب لبعد الضوء هناك عن الناظر وهو الصبح الكاذب ثم اذا قرب الشمس

حوالي الضوء معترضا فسطا وهو الصبح الصادق ومنهم من قال انما سمي الفجر
كاذبا لانه معقب بالظلمة بناء على فناء ضوئه وزواله بخلاف الثاني وفيه ان
الضوء لا ينتفي بل يخفى لغلبة الضوء الثاني عليه كما ان ضوء المصباح يخفى في حين ضوء
الصبح هذا وهذا الثاني في كونه في ادخاله كلا ان وجه الشبه بطلوع الشمس لا انه في
كونه في ادخاله والفجر الاول اراد ان ذلك بقدرة الفاعل المختار فنفي
كون الصبح بضوء الشمس مما لا يدل اخبرهما وكلها خلاف المتعارف والمتعلق في علم
الرياضة فكانت ساقطة عن درجة الاعتبار انه بعد او الاكثر **تذنيب**
للصبحين علامة شرعية يعرفان بها قال سيد الانبياء دوق صلوات الله عليه وقت الغداة
اذا اعترض الفجر فاصنعا حسنا ولا الفجر الذي شبه بذنب السرحان فذلك الفجر الكاذب
والفجر الصادق هو المعترض كالقباطي في القاموس القبط بالكسر اهل مصر ذا الكبيم (?)
ثياب القبطية بالضم على غير قياس والجمع قباطي وقال عليه السلام الفجر هو الذي
اذا رايته كان معترضا كانه بياض نهر سوراء في القاموس سوراء كطوبى موضع بالعراق
وهو بلد السريانيين وموضع من اعمال بغداد وقد يمد **وشرح قطع الليل**
المظلم بنيانا بالجلجة معطوفة على دلع وما فيه من رقة محسنات الكلام بعد تحقق
ظراة

مجوز انه غير خفي لا الاول فلتناسبهما الفعلية والفعليتين في المنوية ولا الثانية
فلاتحاد المسند اليه والمناسبة الظاهرة بين المسندات وتسريح الماشية كما يتناسب
حتى الماشية اي نفيشها وامتهانها وارسالها للرعي وحتى يسب نفسها عن وهو من
الافعال اللازمة والمتعدية وشرحها بالتقييد مبالغة وتكثير والمراد بالسرح هنا التخلية
وعدم المنع كما تسرح الماشية في المرعى وهو استعارة تبعية او مكنية كما لا يخفى وتسريح المراة
تطليقها ومنه فامساك بمعروف او تسريح باحسان وفيه ايماء لطيف الى ان تلك القطع
متعلقة تعلقا شديدا في ذهابها وايابها وطلوعها وافولها مؤتمرة باوامره
في امر الملك الموكل بتحريك الافلاك ان يحركها حركة لا ان تنفق تلك القطع تجدد
وبذلك يرتفع لسان الصباح والا امره بسكينة سكنه فيبقى سكان هذا العالم
طلاب قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله ياتيكم
بضياء افلا تسمعون والقطع جمع قطعة وفي الارض قطع متجاورات
كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما والليل هو الزمان الذي يقع ما
بين غروب الشمس وطلوعها عند اهل اللغة وما بين غروبها وطلوع الفجر الصادق

عند اهل الشرع وقد سبق انه عبارة عن مدة كون مخروط ظل الارض فوق الافق
وبعبارة اخرى اذا كان مركز الشمس تحت الافق الحقيقي فهو زمان الليل والتعابير
جرمها وضوءها فاذا كان جرم الشمس بتمامه غائبا عن النظر لا لمانع كان زمان الليل
وفي عرف المتشرعة ابتداؤه عند اهل السنة من زمان مجاوزة جرم الشمس بتمامه
عن الافق الغربي وعند الامامية على المشهور من زوال الحمرة المشرقية وظهور الظلمة
في ذلك الجانب وقيل علامته استتار القرص والاعتبار بالحمرة وفيها كلام
يطلب من كتب الفروع وانتهاؤه بالاتفاق عند طلوع الصبح ولما كان الليل عبارة
عن الزمان المذكور وكان الزمان من الكميات المتصلة القابلة للقسمة الى غير النهاية
كانت له اجزاء وقطع فالظاهر ان المراد بقطعه ساعاته وآناته ودقائقه و
ثوانيه وثوالثه وروابعه الى غير ذلك من المقادير المذكورة في كتبهم فانهم
قسموا اليوم بليلته الى اربعة وعشرين قسما متساوية وسموا كل قسم دقيقة ساعة وقسموا الساعة بستين قسما وسموا كل قسم م
وسموا الساعات المذكورة مستويات لتساويها في المقدار ابدا اي طال كل من الليل
والنهار ام قصر لكنها تختلف في العدد بحسب طول كل منها وقصره وقد يقسمون

(كل)

كل يوم وكل ليلة باثني عشر قسما متساوية ويسمونها الساعات الزمانيات
والمعوجة لعدم تساويها في المقدار وان تساوت في العدد فان مقدار
كل ساعات يزيد وينقص بحسب طول كل من الليل والنهار وقصره لكنها لا تختلف
في العدد فهي عكس المستويات فهذه الدقائق والساعات هي المراد منها
بالقطعات او المراد بها طلوع قطعة قطعة من القوس التي بين نقطتي
المشرق والمغرب تحت الارض من دائرة مدار الشمس حتى طلوع قوس الليل شيئا
فشيئا واقوالها لكن والظلمة ماخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك
لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وبغياهب المجللة بنظر يطبق تلجج والغيهب الظلمة واشدة
السواد من الخيل وقيل يقال فرس ادهم غيهب اذا اشتد سواده وليل غيهب مظلم وجمع
الغياهب وقيل قيل ارتقب الكوكب والى رتق الغيهب والتلجلج والتلجلج التردد في الكلام فهو
صفة المتكلم اذا تعلق لسانه فلم يقدر على تقرير مراده وتحرير كلامه لدهشة او خشية
او نحو ذلك ومنه قولهم المنكر ما يصدر عن الكافر من التلجلج عند سؤال الملكين وقولهم
في المثل الحق ابلج والباطل لجلج اي الحق ظاهر والباطل متردد وقد يشير الحديث

[illegible]

المشهور خذ الحكمة اذا كانت فان الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجلج في صدره
حتى تخرج فتسكن الى صواحبها في صدر المؤمن فتشبيه قطع الليل بتقطيع الماشية
استعارة مكنية واثبات التسريح له تخييل او ترشيح وفي سرح باعتبار
ضمير الفاعل استعارة تبعية او الغرض منه تمثيل حالة تعالى في ارساله وادنائه قطع
الليل شيئا فشيئا بحال الراعي في تسريحه قطيع الماشية مكانا فمكانا الا انه
لم يصرح في جانب المشبه به بما بازاء المشبه من الالفاظ الا بكلمة سرح فان مدلولها
هو العمدة في هذه الهيئة وما عداه تبع لاحظ في ضمن الفاظ منوية فلا تكون
لفظة سرح استعارة ويمكن حمله من قبيل التمثيل المفرد بان شبه ذات الله تعالى
عن ذلك بالراعي وشبه قطع الليل بتقطيع الغنم وارساله اياها الا بحيز ذلك من
الاعتبارات ولعل الاول اولى باعتبار بعد او الاظهار وانما اضيف التلجلج الى
بعض باعتبار ان الاشياء الواقعة فيه لا يمكن تشخيصها ولا تمييزها كما ان من له
التلجلج لا يمكن ان يفهم غرضه من صوته او يصعب التمييز كالحيوان الناطق الفصيح
المفهوم غرضه من صوته وضابطه العين بالاضافة الى التلجلج من قبيل اضافة المشبه به
او ناطق

بتسريحه اياها م

تمييز كلامه وفهم مرامه قليلا كالحيوان الصامت او الالف من الالكم في انه لا يمكن منه

او العكس والباء فيه للملابسة والمراد انه دعى تعالى اذهب قطعة بعد قطعة في حال تلبسها
بالظلمات المشبهات بالتلجلج **شم خيب** تقديم الجملة الاولى على الثانية
وللنظم الطبيعي يقتضي العكس لا للاستدلال بشأن الصبح وغاياته اولا لاشعار
بتقدم النور على الظلمة ولقول ان الظلمة هي الاصل والنور طارئ عليها يسترها ثم اذا غاب النور
يحتمله ايضا قوله تعالى اولم ير الذين ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما كانتا
مظلمتين ففتقهما اي باظهار النور فيهما اذ لا يكون مع الرتق الا الظلام فهو سابق
على النور وبما قد ثبت ان القيمة لا تقوم الا نهارا فدل على ان ليلة اليوم سابقة
على نهارها اذ كل يوم له ليلة فكان الليل قبل النهار ويدفعه قول الزمخشري
ان طالع الدنيا السرطان والكواكب في مواضع شرفها زحل في ميزان
والمشتري في السرطان والشمس في الحمل في العاشر من الطالع في وسط السماء
فالنهار خلق قبل الليل انتهى او لايماء الى انه وجودي والظلمة عدمية اذ هي عدم النور
عما من شأنه ان يصير مستنيرا او الملكات قبل بالنسبة الى الاعدام قال صاحب
الكشف الظلمة عبارة عن عدم النور هذا هو المطابق للغة وعليه المحققون وزيادة على انه

والنهار في ذلك النور عما من شانه عن الشمس في الحمل م

النور غير مسبوقة انتهى وقال السعد التفتازاني اذا اجرى عدم النور على ما من شأنه كان
بين النور والظلمة تقابل الايجاب والسلب وان زيد على من شأنه فبينهما تقابل الملكة والعدم
وعند بعض المتكلمين عرض ينافي النور فبينهما تقابل التضاد انتهى وهي على هذا وجودية
وعلى الاولين عدمية والمشهور ان الظلمة مرئية والذي يرى الاجرام ككرة واهية اذ لا نجد
فرقا من اغماض العين في الظلمة الشديدة وفتحها كما يشهد به التجربة **واتقن صنع**
الفلك الكدوار في مقادير تدرجه اتقن الامر احكمه والمراد انه جعله محكما
قويا ثابتا لا ينهدم من حيث الاركان ولا يؤثر فيه مرور الزمان وبنينا
فوقكم سبعا شدادا وجعلنا السماء سقفا محفوظا والصنع بالضم مصدر قولك
صنع اليه معروفا وصنع به صنيعا قبيحا اي فعله كذا قال الجوهري في الصحاح وتبعه
صاحب القاموس فقال صنع اليه معروفا كمنع صنعا بالضم فعله والشيء عمله وقال
الراغب الصنع اجادة الفعل فكل صنع فعل وليس كل فعل صنعا قال الله صنع
الله الذي اتقن كل شيء انتهى والفرق بين صنع الشيء وخلقه ان الصنع عبارة عن
اخراجه من العدم الى الوجود والخلق عبارة عن تقديره على مقتضى الحكمة ثم اخراجه الى الوجود

ام لذلك ما يخرج من العدم الى الوجود مفتقر الى تقديره اولا والاحكام على وفق
التقدير ثانيا او الى تصويره بعد الاحكام ثالثا وهذا كالبناء المحتاج الى
تقدير ولا بد منه في وجوده من الخشب واللبن ومساحة الارض وعدد الابنية
وطولها وعرضها وهذا ايتولاه المهندس ثم يحتاج الى بناء يتولى الاعمال
التي عندها تحدث ذوات الابنية ثم الى مزين ينقش ظاهره ويزين
صورته هذا في غير افعاله تعالى واما في فعاله فان ذاته بذاته هو الخالق والصانع
والمصور من حيث ترتيبه صور المصنوعات احسن الترتيب المشاهد هذا
واضافة الصنع الى الفلك اضافة المجرد الى القطيفة والاخلاق الى
الثياب اي الفلك المخلوق المصنوع والفلك بفتحتين مدار النجوم
سمي بذلك تشبيها له بفلكة الدولاب والمغزل بجهة لها في الدوران
قال ابو ريحان ان العرب والفرس سلكوا في تسمية السماء مسلكا واحدا
فالعرب سموه فلكا تشبيها له بفلكة الدولاب على محور وقطبين والفرس سموه آسمان
تشبيها له بالرحى فان آس بلغتهم الرحى ومان دال على التشبيه **اقول** فكان

فلك الدولاب الخسيس يحتاج في وجوده ودورانه الى موجد يوجده ومدبر يدبره
ومدير يديره كذلك هذا الدولاب الشريف الاعظم الاقسم المصنوع بحكمة تقصر منها اذهان
البشر يحتاج الى موجد يوجده ومدبر يدبره ومدير يديره هذا الدوران الدائم
بهذا التقدير والوزن فهو ادل دليل على وجود صانعه وقدرته وعلمه وحكمه اذ الفطرة
قاضية بان فاعل هذه الامور المشتملة على لطائف الصنع وبدائع النظم والترتيب
عالم لطيف خبير والمراد بالافلاك جنسه والالف واللام فيه للاستغراق فيشمل
الافلاك الكلية والجزئية باسرها والدوار من ابنية المبالغة من دار يدور
اذا طاف حول الشيء واذا عاد الى الموضع الذي ابتدء منه والعرب
قد تبني مثال من كرر الفعل على فعال قصدا للتكثير كالسؤال سآل والاسناد
الحقيقي في العرف واللغة هو ما يكون من حق الاسناد ان يسند اليه
سواء كان فاعلا حقيقيا او علة قابلية فان اهل العرف يسندون
الافعال الى ملك الاسباب والالة فيقولون فيها الحقيقة الكلامية فان ار
الدوران الاثنا في ما ورد ان الذي وكل بالافلاك معه سبعون الف ملك فيهم ملكا

فاذا

فاذا اداروه دارت الشمس والقمر والنجوم معه وكل ما ثبت لعوا ابن الفلاسفة
غير مرضي لانها نظريات لم يثبت ببرهان فالقول بها وهي لا رض النصوص
الشرعية وكابسما في اجماعهم كما سبق قال غياث الدين منصور قدس سره الذي
يشعر مما افاده القدماء من الحكماء ان كل فلك كشخص واحد فكل من الكليات
التي للسيارات السبع شخص له قلب هو كوكبه واعضاء هي افلاكه الجزئية
وبدن هو الفلك الكلي وللنفس الكلية تعلق اولا بالقلب الذي هو الكوكب ثم بغيره
من الاعضاء وهذا كالشخص الانسي فان نفسه اولا تتعلق بروحه الحيواني الذي في
القلب ثم بسائر اعضائه والارادة النفسية في الكوكب فالنفس بالارادة الكوكبية
تحرك البدن وسائر الاعضاء على ما يشاء والحق كما ان كل انسان وحيوان يحرك بدنه
واعضائه على ما يشتهي وقد قرر اصحاب الارصاد المتقنة بالات الرصد انهم
ان كل نقطة تفرض على مقعر الفلك التاسع تتحرك في عشر عشر سبع عشر ستوية
احد وسبعين الف فرسخ وستمائة وست فراسخ واستنبطوا انه في مدة
ينتقطه الانسان بلفظ واحد تتحرك الف وستمائة وثمانين وثمانين فرسخا فالوجه

في بلعه دورانه كما وكيفا ظاهر ثم لو كانت للارض حركة وضعية من المغرب الى المشرق
وكانت الحركة السريعة من المشرق الى المغرب وهي اليومية مستندة الى الفلك الاعظم والبطيئة
المتعلقة من المغرب الى المشرق وهي الخاصة مستندة الى الافلاك كما زعم قوم
لما صح وصفها بالدوار حول الارض فهذه دلالة على بطلان ما ذهبوا اليه الا ان يقال
لا منافاة بين البطوء في الحركة والمبالغة في الدوران بحسب العدد مبنية
صدور هذا الفعل عنه مرارا كثيرة بحسب طول المدة نعم بينهما منافاة بحسب الشهرة
فائدة **ايضاح** ذهب الفلاسفة الى ان الافلاك باجمعها حية ناطقة عاشقة
مطيعة لمبدعها وخالقها واكثرهم على ان غرضهم من حركاتها نيل التشبه بجنابه
والتقرب اليه جل شانه وبعضهم على ان حركاتها لورود الشوارق القدسية
عليها آناً فآناً فهي من قبيل الطرب والرقص الحاصل للانسان من شدة السرور
والفرح وذهب جمع منهم الى انه لا بد في شيء من الكواكب ايضا حتى اثبتوا
لكل منها نفسا محركة حركة مستديرة على نفسه وابن سينا في الشفاء مال الى هذا القول
ورجحه في الاشارات وقال العلامة البهائي قدس سره في الحديقة الهلالية لم يرد

في

في الشريعة المطهرة ما ينافي ذلك القول ولا قام دليل عقلي على بطلانه ولو قال به قائل لم يكن
مجازفا ثم قال واذا جاز ان يكون لمثل البعوضة والنملة فما دونهما حيوة فاي مانع
من ان يكون لتلك الاجرام الشريفة ذلك وتبعه في ذلك كلا القاشاني قدس سره
في تعليقته على هذا الادعاء وقال ما لك ثم زاد عليه ابيات فارسية حيث قال وانشد بعضهم
از فلك نه فلك هر كو است؛ فلك آدمش و فلك جان است؛ عرش و كرسي و
چرخهاى كرات؛ كمترست از بهايم و حشرات؛ خنفسا و مگس حمار و بق
همه با جان چه مهر و مه بى جان **اقول** قول ابن سينا ومن اتبعه باعتراف لمن يحجه
يركن اليها الديانون في امثال تلك المطالب ولا سيما اذا كان مجرد دعوى عرية
عن الحجة والبرهان مخالفا لما انعقد عليه اجماع المسلمين كما نقله السيد السند الجليل
المرتضى علم الهدى ره كالحق وكفره فلا اذا قالت حذام فصدقوها فان القول
ما قالت حذام حيث قال لا خلاف بين المسلمين في ارتفاع الحيوة عن الافلاك
وما اشتملت عليه من الكواكب وانها مسخرة مدبرة مصرفة وذلك معلوم من دين
رسول الله صلى الله عليه وآله ضرورة مع انه مخالف محمد بن مسلم عن ابي جعفر عليه السلام قال لما رواه صح

سئلت عن تركود الشمس فقال ان الشمس اذا طلعت جذبها سبعون الف
ملك بعد ان جذبها كل شعاع منها خمسة آلاف من الملائكة من بين
جاذب ودافع حتى اذا بلغت الجو وجازت الكو قلبها ملك النور ظهر
البطن الحديث كذا في الفقيه وفيه عن سيد العابدين صلوات الله عليه وعلى آبائه
وابنائه الطاهرين ان الله خلق في كل فلك ملكا معه سبعون الف ملك فهم
يديرون الفلك فاذا اداروه دارت الشمس والقمر والنجوم معه فنزلت في
منازلها التي قدرها ليومها وليلتها الحديث وله نظائر كثيرة في الاخبار المنقولة
عن الصادقين الاخيار والى هذا اشار التشبيه بقوله وانها مسخرة مدبرة
والا ما ويتبين ملك الافلاك بنفوس الافلاك وقواها وخاصة مع القائلين بان لكل
كوكب نفسا تحركه فغير جائز فان تاويل الظواهر انما يجوز اذا دلت القواطع
على خلافه وهنا ليس كذلك بل ليس لهم على ذلك شبهة فلو جب الاعراض عن التاويل
فانه جار في اكثر المذاهب الباطلة والاديان العاطلة ولم يتعرض له انما نشاء
من التعصب المبرأ عنه اهل الحق وكانا قد ذكرنا الكلام في ذلك اوضح من ذلك
بالحق

في بعض رسائلنا فليطالع من هناك هذا او في مقادير البروج متعلق بالتقن
ولفظة في لظرفية مدخولها شيء آخر حلول الشيء فيه حقيقة او مجازا وظاهر ان
المقادير ليست ظرفا للاتقان فامتنع حمل اللفظ على حقيقته فليكن على طريق
الاستعارة على قياس نهر في نعمة بان شبه الهيئة المنتزعة من الاتقان والمقادير
وربط احدهما بالآخر بالهيئة المنتزعة من المظروف والظرف واصطحابهما
فيكون في الكلام استعارة تمثيلية تركب كل من طرفيه لكنه لم يصرح بما
بازاء المشبه من الالفاظ الا بكلمة في فان مدلولها هو العمدة في تلك
الهيئة وقد مر نظيره فتذكر والتبرج اظهار الزينة يقال تبرجت المرأة اذا
اظهرت زينتها للرجال ومنه ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى ولعل المراد
بالتقن في مقادير التبرج انها جعلت ثابتة دائمة غير متغيرة ولا متفاوتة
بمرور الشهور وكرور الدهور فان البروج الاثني عشر ثلاث منها شمالية
دائما مشتملة على ثلثة ربيعية وثلثة صيفية وست اخرى جنوبية دائما مشتملة
على ثلثة خريفية وثلثة شتوية وكان الكواكب بعضها ثابت لا يفارق

في سيره مركزه من الفلك والا لسير الا بجمعي وبعضها يسيرا منتقلا من برج الى
برج ويفرق في سيره ولكل منها حركتين مختلفتين عامة من المشرق الى المغرب
وخاصة من المغرب الى المشرق وهذه الهيئات المختلفة والاوضاع المتفاوتة
الموزونة لتبهج وتزينه للناظرين ستمر اعلى نهج وحدة نظام مشاهد ولقد جعلنا في
السماء بروجا وزيناها للناظرين زينب قال السيد غياث الدين
منصور المشتهار من ارباب الارصاد الروحانيات والنبوات والاسماء واعاظم
الحكماء ان الافلاك تسعة لا غير وهي منحصرة في سبع سموات وكرسي وعرش
وقال الشيخ الجليل ميثم البحراني في شرح نهج البلاغة الشرع والبرهان تطابقا
على ان الافلاك تسعة بعضها فوق بعض فمنها سبع سموات ثم الكرسي والعرش
بعبارة الناموس الالهي علو اوي اجسام كرويات متسعات مجوفات
مركبة بعضها في جوف بعض واكثرها مشتمل على الكواكب وهي اجرام نورانية
مستديرة مصمتة مركوزة في اجرام الافلاك وما يلينا ليس فيه من الكواكب الا
القمر ويسمى فلك القمر وسماء الدنيا وهو محيط بالهواء من جميع الجهات كاحاطة
قشر

قشر البيضة ببياضها والارض في جوف الهواء كمحة البيضة في بياضها ومن
وراء فلك القمر العطارد وليس فيه من الكواكب غيرها ومن ورائه فلك
الزهرة وليس فيه غيرها ومن ورائه فلك الشمس وليس فيه غيرها ومن ورائه
فلك المريخ وليس فيه غيره ومن ورائه فلك المشتري وليس فيه غيره ومن
ورائه فلك زحل وليس فيه غيره وهذه السبعة الكواكب تعالى لها السيارات
ومن وراء فلك زحل فلك الكواكب الثابتة وهو يشتمل على ما سوى
السبعة المذكورة من الكواكب ويسمى فلك البروج وفلك الثوابت
لكونه مكانا لها وتسميتهم كواكبها بالثوابت لا لبطوء حركتها فلا يحس
ولا لثبات اوضاع بعضها من بعض فانا نجدها ابدا على وضع متعين بين
النسر الطائر والنسر الواقع ويسمى في الشرع بالكرسي ومن ورائه الفلك
المحيط لاحاطته بجميع الافلاك ويسمى فلك الافلاك والفلك الاعظم والفلك
الاطلس لانه غير مكوكب لخلوه عن الكواكب او لعدم ادراكنا لما فيه منها لكن
وهو المسمى بالعرش المجيد في لسان الشرع وهذه الافلاك دائم الدوران كالدولاب

يدور من المشرق الى المغرب فوق الارض وبالعكس تحتها في كل يوم وليلة دورة
ويدير سائر الافلاك والكواكب معه كما قال عز اسمه وكل في فلك يسبحون
وسائر الافلاك يدور كل منها بحركة مختصة به من المغرب الى المشرق
فوق الارض وبالعكس تحتها بدليل ان الهلال يرى في الليلة الاولى في
مكان وفي الثانية ينتقل الى مكان آخر آخذا الى جهة المشرق وهكذا
الى آخر الشهر حتى يتم بفلكه الدورة وهي ان يعود الى النقطة التي كان عليها
اولا فكأن لكل من الافلاك الثمانية دورتان ذاتية وهي التي من
المغرب الى المشرق وقسرية وهي التي من المشرق الى المغرب وشبهوا
ذلك بنملة على ظهر رحى والرحى تسعى الى جهة اليمين مثلا والنملة الى جهة اليسار
فللنملة حركتان ذاتية وقسرية وانما سميت هذه الحركة العظمى قسرية لانها
تقسر الافلاك وتدورها الى غير جهة حركتها الذاتية عكس وهذه الحركة
هي التي يرى بها الشمس كل يوم في شروق وغروب والا ففلكها لا يتم الدورة
الا في قريب من سنة اذا عرفت هذا فالمراد بالافلاك الدوار في عبارة الدعاء

الافلاك العظام وانما عبر عنها بكثرة دورانها كما سبق اذ جميع الافلاك عموما
كما او ثانيا اليها او السيارات السبع خاصة اذا اريد بالدوران والمباشرة فيه
ما يعم الذاتي والقسري وهو الانسب بعبارة الناموس الالهي لان الاول
مع انه لا يناسبه قوله في مقادير تدبيره وان ناسبه وصفه بكثرة الدوران
لا يسمى بالفلك بلسان الشرع وقد عرفت حقيقة الحال وحقيقة المقال فتذكر
ثم اعلم انه لم يتبين لاحد من الاوائل والاواخر كمية عدد الافلاك كما
هي عليه لا عقلا ولا نقلا فان الذي دل عليه ظاهر القرآن ان له سبحانه
سبع سموات لكن تخصيص عددها بالذكر لا يدل على نفي الزائد روى ثقة
الاسلام في كتاب الروضة بسنده عن ابي حمزة الثمالي عن ابي جعفر عليه السلام
قال قال لي ليلة وانا عنده ونظر الى السماء يا ابا حمزة هذه قبة ابينا آدم عليه السلام
وان لله سواها تسعة وثلثين قبة فيها خلق ما عصوا الله طرفة عين ولنظائر
اوردنا نبذة منها في هداية الفؤاد وانسب الكلام فيها فليطلب من هناك

وَشَعْشَعَ ضِيَاءَ الشَّمْسِ بِنُورِ تَأَجُّجِهِ

الشعشع والشعشعان والشعشاع الطويل ومنه ما قال ابن أبي الحديد في قصيدته
المشهورة في وصف سيف صاحب الدعاء أمير المؤمنين سلام الله عليه: وحيث الموت
شعشاع فائض من المصدر الأعلى تبارك مصدرا فليس سواع بعده بمعظم
ولا اللات مسجودا لها ومعفرا. والشعاع الخفيف المتفرق والضوء والنور
مترادفان لغة وقيل هو أقوى من النور فهو فرط الإنارة وقد يسمى تلك الكيفية
الفائضة من ذات الشيء ضوء والفائضة مستفادة من غيره نورا أخذا من
قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقال صاحب الكشف والتحقيق إن
الضوء فرع النور يطلق على الشعاع المنبسط والنور يطلق على ما للشيء في نفسه كالنور
القائم بنفس الشمس ولهذا يقع على الذوات الجوهرية بخلاف الضوء وقال
الراغب النور الضوء المنتشر الذي يعين على الإبصار وهو ضربان دنيوي وأخروي
فالدنيوي ضربان معقول بعين البصيرة وهو ما انتشر من الأمور الإلهية كنور
العقل ونور القرآن ومنه قد جاءكم من الله نور ومحسوس بعين البصر وهو ما انتشر
من الأجسام النيرة كالقمرين والنجوم النيرات ومنه هو الذي جعل الشمس ضياء

والقمر

ومعفر معجم

وسواع اسم صنم كان لقوم نوح

والقمر نورا ومن النور الأخروي قوله يسعى نورهم بين أيديهم أقول المشهور أن
ضياء الشمس ذاتي قائم بذاتها غير مستفاد من غيرها وتستفيد منها سائر
الكواكب أنوارها المزيلة للظلام حتى قال صاحب البيان إن رخش وهو زره
الشمس قاهر الغسق رئيس السماء هله النهار صاحب العجائب عظيم الهيبة الذي
يعطي جميع الأجرام ضوءها والمعروف من الأخبار أن ضوءها مستفاد من نور
العرش ففي كتاب التوحيد عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وآله بعد كلام في أنها تجري
بمحله ضوؤها من نور العرش على مقادير ساعات النهار في طوله وقصره وما بين
ذلك فتلبس تلك الحلة كما يلبس أحدكم ثيابه ومما اتفقوا عليه الفلاسفة
لا ايضا كما مر وهم في حقيقتها مختلفون فقال بعضهم هي فلك أجوف مملو
نارا له فم يخرج منه هذا الوهج والشعاع وقال آخرون هي سحابة وآخرون
هو جسم زجاجي يقبل نارية في العالم ويرسل عليه شعاعها وقال آخرون هو صفو
لطيف ينعقد من ماء البحر وقال آخرون هو أجزاء كثيرة مجتمعة من النار
وآخرون هو جوهر خامس سوى الجواهر الأربع والتاج يتهب النار ومنه

قوله متى ما تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا والتهب محركة
اشتعال النار اذا خلص من الدخان او لهبها لسانها والاضافات تشبيه
لامية والبابية تشبيه الضوء بالنار مكنية واثبات التأجج والتلهب له
ترشيح والضمير للاعائد الى الشمس ولم يؤنث رعاية للنكات وموافقة
لسائر الفقرات او الى الضياء والمراد ان الضياء شعلة لسان
وشعلة لسانه نور خالص ليس كانوار سائر الشعل كالكبريت وما شاكله
فان شعلة لسانه اما لا نور لها او لها نور غير خالص والمعنى انه تعالى طول
ضياءها بسبب نور لسانه وشعلته والمراد انه قدر بلطيف حكمته دورانها
حول الارض فاذا كان فوقها نفذ ضوءها في اجزاء الهواء الى وجه الارض
فيستضيء به اجزاؤها فكانه بذلك جعل ضياءه طويلا ممتدا بالغا
واصلا الى وجه الارض وجميع ما في عالم العناصر او المراد انه جعل ضوءها
متفرقا منتشرا امتدة كالرماح ونحوها ويعبر عنه بالخطوط الشعاعية وهو
مبني على ما ذهب اليه جماعة من الاوائل من كونها جسما دقاقا تنفصل
ما

من المضيء وتتصل الى المستضيء ولما انجر الكلام منه عليه السلام من نوع وصف الى
اخر اعاد ذكر الموصوف جل شأنه وناداه ثانيا بقوله **يا من دل على ذاته
بذاته** الدلالة الهداية والارشاد والدليل الهادي والمرشد والذات
في الاصطلاح عبارة عن الشيء جوهرا كان او عرضا واما في اللغة فيطلق على
حقيقة الشيء وقد يستعمل بمعنى صاحب وتجمع على الذوات وتثنية ذواتا
كما في التنزيل ذواتا افنان وقد يراد بذات الشيء حقيقته باعتبار
وجودها الخارجي اذ المعدوم لا ذات له ولا حقيقة فلا يقال ذات العنقاء
ولا حقيقتها بل ماهيتها وقد يقال على الحقيقة وعلى الهوية الخارجية وهذا هو
المعهود هنا وقد يراد بذات الشيء ما يضاف اليه الشيء من الاوامر
والنواهي وحدوده والاحكام كجنب الله في قوله تعالى يا حسرتا على ما فرطت
في جنب الله ومنه قوله صلى الله عليه وآله ان عليا لاخشن في ذات الله
وفيه شاهد على استعمال الذات بهذا المعنى وورد في من الكرم قال ابو التمام
ويضرب في ذات الاله فيوجع والمراد انه عليه السلام شديد التصلب

والتشدد في الامور الالهية لا يداري فيها ولا يداهن ولا تأخذه لومة لائم لان
الاخيشن تصغير اخشن افعل التفضيل من خشن خشونة ضد لان قال في الاساس
ومن المجاز فلان خشن في دينه اذا كان متشددا فيه والتصغير هنا للتعظيم
كقوله دويهية تصفر منها الانامل ومنه حديث اخران يقال ممسوس في ذات الله
والمراد انه صلوات الله عليه لتشدده وتصلبه في الامور الالهية وعدم ملاحظته للوم
لائم او رعاية جانب شبيه بالمجنون الذي لا يبالي بما يقال فيه من لوم او مذمة
اذا الممسوس الذي به مس من جن قال في الاساس رجل ممسوس مجنون وقد يطلق
الذات مقابلا للوصف ويستعمل بمعنى النفس والشيء ولذا يجوز تذكيره وتأنيثه ومنه
قوله تع واصلحوا ذات بينكم قال صاحب الكشاف الاحوال الملابسة للبين قيل لها ذات
البين كقولهم اسقني ذا انائك يريدون ما في الاناء من الشراب وقوله تعالى عليم بذات
الصدور وهي مضمراتها وبذاته متعلق بدل والباء فيه كما في قولك دل فلان بهذا
معنى ذلك اي جعله دليلا عليه ومعرفا له فذاته تع دليل على ذاته ومعرف له
لا غيره والا لزم كون المعرف اخفى من المعرف كيف لا وهو سبحانه اعرف الاشياء

واظهرها

واظهرها عند العقل لانه ظاهر بذاته ومظهر لغيره فظهوره ذاتي وظهور غيره عرضي
حاصل بانتسابه اليه واستناده له فهو لا يحتاج في ذاته الى شيء فذاته ظاهر بذاته لا يحتاج
الى دليل يدل عليه بخلاف غيره فانه خفي بذاته وانما يظهر به فهو دليل على
ذاته ولهذا لما سئل النبي صلى الله عليه وآله بماذا عرفت ربك قال بانه
عرفت الاشياء اي بظهوره وخفائها من حيث الذات والصفات
يعني اني نظرت الى الاشياء فوجدتها مدبرة مسخرة قائما بالغير قوام
ذاتها وظهور آثارها وصفاتها فعرفت ان لها ربا صانعا صنعها و
جعلها مبدأ للآثار ومقويها ثم عرفتها بقيامها به ونسبتها اليه فهذا النظر
بانه عرفت الاشياء وحاصله يؤول الى الاستدلال بوجود العلة على وجود
المعلول فان من نظر في وجوده تعالى من حيث انه وجود واجب
قائم بذاته يظهر له انه اظهر الامور وبه ظهرت الاشياء كلها فينتقل منه اليها
ويجعله وسيلة لمعرفة انها موجودة قائمة لا بذاتها بل بغيرها ومن
هنا يقال ما رأيت شيئا الا ورأيت الله قبله او معه وعن بعض الصادقين صلوات الله

عليهم اجمعين تعرفت الي في كل شي فرايتك في كل شي فانت الظاهر لكل شي
وعنهم منك طلب التوصل اليك وبك استدل عليك وقال وكيف
يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر اليك ايكون لغيرك من الظهور ما ليس
لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك
ومتى بعدت حتى تكون الاثار هي التي توصل اليك ويحتمل ان يكون المراد
انه قد دل باثار ذاته وبمخلوقاته في الافاق والانفس على معرفة ذاته او صفات
ذاته او وجود ذاته الذي هو عين ذاته فحذف المضاف في المواضع للعلم
وظهوره فيكون اشارة الى الاستدلال بالمعلول على العلة والى نفي الاولوية
الذاتية والخارجية فان دلالة وجود الممكن على وجود الواجب انما تتم و
تثبت بعد نفي تلك الاولوية اما بدلالة البرهان عليه او بدعوى الضرورة
واشارة العقول اليه وكان الاول اظهر لفظا واقوى معنى الا ان معرفة
بهذا الوجه كانها متعذرة او متعسرة للعوام بل لاكثر الخواص بخلاف
الثاني فان من له ادنى بصيرة اذا تفكر في خلق السموات والارض واختلاف
الليل

الليل والنهار ونظر الى الاشياء من حيث ان لها جهات لا يمكن ان توجد بذواتها
عرف ان لها صانعا صنعها ومدبرا دبرها ولذا قال عليه السلام البعرة
تدل على البعير واثار القدم تدل على المسير فسماء ذات ابراج وارض
ذات فجاج لا تدلان على اللطيف الخبير حكي ذو النون المصري قال رأيت شخصا
قائما في وسط البحر وهو يقول سيدي سيدي انا خلقت البحور والجزائر
وانت الملك الفرد بلا حاجب ولا زاير من ذا الذي انس بك فاستوحش
ام من ذا الذي نظر الى آيات قدرتك فلم يدهش اما في نصبك السماء
ذات الطرايق ورفعك افلاك فوق رؤوس الخلايق واجرائك
الماء بلا سايق وارسالك الريح بلا عايق ما يدل على فردانيتك اما
السموات فتدل على عظمتك واما الافلاك فتدل على حسن صنعتك واما الرياح
فتنشر نسيم بركاتك واما الرعود فتصوت بعظيم آياتك واما الارض
فتدل على عظيم حكمتك واما الانهار فتتفجر بعذوبة كلمتك واما الاشجار
فتخبر بجميل صنايعك واما الشمس فتدل على تمام بدايعك وهنا احتمال آخر

وهو ان الحكماء ذهبوا الى ان العلة الفاعلية للمعرفة تصورية كان او تصديقية
بديهيا او نظريا شرعيا كان ام غيره انما يفيض من الله على الذهن بعد حصول
استعداد له بسبب احساس او تجربة او استماع او نظر او فكر او غير ذلك
فهذه الامور معدات والعبد كاسب للمعرفة لا موجد لها والظاهر من اكثر الاخبار
ان العبد انما كلف بالافعال الجوارح وترك الاستكبار عن قبولها واما المعارف فانها
باسرها مما يلقيه الله في قلوب عباده بعد اختيارهم الحق ثم يكملها ذلك شيئا فشيئا
بقدر اعمالهم وطاعاتهم حتى يوصلهم الى درجة اليقين فالمراد انه قد دل هذا الخبر
على معرفة ذاته بان القاها على قلب من شاء من عباده بعد اختياره الحق
او افاضها بعد استعداده لها ويدل على ما افاده حسنة محمد بن حكيم قال
قلت لابي عبد الله عليه السلام المعرفة من صنع من قال من صنع الله ليس للعباد فيها
صنع واعلم ان طرق دلالته سبحانه الى معرفة ذاته والكاشف لا تحصر جهاتها
كثيرة الا انها تنحصر في اقسام ثلثة تندرج تحت كل قسم مراتب غير محصورة
احدها طريق الدلالة بحسب الفطرة وهذه طريقة يشترك في سلوكها العوام

اذ

اذ ما من احد الا ويعلم ان له صانعا صنعه ومدبرا ادبره بحسب فطرته الاصلية
لما ركب فيه من العقل الذي هو الحجة الاولى وان انكره جحودا فانما هو بغلبة
شقاوته المكتسبة المبطلة لاستعداده الفطري وهو مع ذلك يعترف به
حال الاضطرار كما هو المتواتر في الاخبار الثاني الطريق الحاصل بالاستدلال
بالاثار وهذه الطريقة يشترك في سلوكها جميع الخواص المستدلين من العالمين
حتى الانبياء والمرسلين والائمة الا انهم فيه متفاوتون في مراتب عقولهم الا ترى
انك تستدل بملكوت السموات وحركات الكواكب وغيرها واقوالها
على صانعها ومدبرها كما استدل بها خليل الرحمن لكن لا يحصل لك من ذلك
الا علم ضعيف لا يكاد يبلغ درجة الايقان بل ولا الايمان حتى لو وقعت
في ادنى بلية تلوذ بكل من تتوهم انه ينجيك والذي حصل لابراهيم عليه السلام
كان علما ثابتا ويقينا جازما حتى قال له الروح الامين وقد رمي
بالمنجنيق وكان في الهواء هل لك الي من حاجة قال اما اليك فلا
فاعرض عنه في مثل هذه الحالة والتجأ الى ربه ليس الا لانه راى ما سواه

مفتقرا الى غيره شيء لديه خاضعا بين يديه بل لم ير موجودا سواه ولا يلتفت الى الآية
الثالث الطريق الحاصل بالرياضة والمجاهدة الموصلة الى حق اليقين بعد عين اليقين
وهذه الطريقة لخواص الخواص الذين يعرفون الحق بالحق وهذه الفقرة الشريفة
محكمة الانطباق على جميع هذه الطرائق لاحتمال الثالث منها فقط لما عرفت
ان خواص الخواص انما يعرفون الاشياء به ثم يعرفون الاشياء ولاحتمال الاول والثاني
فبعد تحتمل اما حذف المضاف كما سبق بان يقال انه تعالى دل على معرفة ذاته
وصفاته بآثار ذاته التي منها افاضة المشاعر الظاهرة والباطنة واعطاء
العقول النظرية ونصب الامارات النفسية والآفاقية المرشدة الى ذاته
وصفاته التي هي عين ذاته كما قال عز من قائل سنريهم آياتنا في الآفاق
وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق او لم يكف بربك انه على كل شيء
شهيد هذا ولك ان تجعل الباء في بذاته بمعنى اللام او المفعول لكما
في كريمة فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات والمراد انه تعالى دل
بآثار ذاته على ذاته لاجل ذاته فيكون اشارة الى انه سبحانه باعتبار ذاته

غير

علة غائية لافعاله لانه الفاعل بذاته فهو الغاية بذاتها فالفاعل بذاته هو ما
لا يكون فاعلا بامر ولا لامر غير ذاته فذاته هي الغاية وهو الغاية بذاته وكل
قيل انه تعالى لما احب شيئا بالذات غير ذاته المقدسة وان احب غيره
فانما احب بتبعية محبة ذاته لانه من توابعها فكل ما هو اثر او رب اليه كان
احب عنده فيرجع محبته لما سواه الى محبته لذاته كما يدل عليه ما ورد
في الحديث شأن الجميل يحب الجمال فلا نظر له الى غيره من حيث انه غيره بل
نظره الى ذاته ولا الى افعاله فقط وليس في الوجود الا نفسه وافعال نفسه وصنايعه وآثاره
وكلها راجع اليه وهو غاية كل شيء فلا يتجاوز محبته ذاته وتابع ذاته من
حيث هو متعلق بذاته **وتنزه عن مجانسة مخلوقاته** بعد تعالى تنزه
تنزها اذا بعد وتنزيه الله تبعيده عما لا يجوز عليه من النقايص وكلمة عن للمجاوزة
والمجانسة المشاركة في الجنس والاتحاد فيه بان يكون جنس واحد مشتركا بين
الواجب وبين مخلوقاته كاشتراك الحيوان بين الفرس والانسان وذلك
واضح البطلان اما اولا فلاستلزامه التركيب المنافي للوجوب الذاتي

لان كل جنس حصته مبهمة في ذاتها محصلة بفصلها فالفصل علة لتحصلها
وتعينها وانطباقها على حقيقة واحدة من الحقائق المندرجة تحتها وهذه
الاجزاء لا تكون واجبة لذواتها فتكون ممكنة فالمحتاج اليها اولى بان
يكون ممكنا وهذا في نفي التركيب الخارجي ظاهر واما نفي التركيب الذهني فلان
يقال وجود الجنس والفصل واحد لصحة الحمل وهما متعددان فوجودهما لا يكون
عينهما وقد ثبت ان وجود الواجب عينه فلا يجوز كونه مركبا واما ثانيا فلاستلزام
ان لا يكون الواجب علة لمخلوقاته المشاركة له في ذلك الجنس وذلك لما تقرر ان
الطبيعة الواحدة لا يمكن ان يكون بعض افرادها علة لبعض آخر لذاته للزوم لو فرض
كون نار مثلا علة لنار فعليته هذه ومعلولية تلك اما لنفس كونهما نارا فلا رجحان
لاحديهما في العلية ولا الاخرى للمعلولية بل يلزم ان يكون كل منهما علة للاخرى بل علة لذاته
وهو محال وان كانت العلية للانضمام امر آخر فلم يكن ما فرضناه علة علة بل العلة
ح ذلك الامر فقط لعدم الرجحان في احديهما للشرطية والاخرى للتأثير لاشتراكهما
من جهة المعنى المشترك وكذا لو فرض المعلولية لاجل ضميمة فتبين ان على الشيء

يتحد

يستحيل ان يكون شريكا له وبه يعرف ان كل كمال وكل امر وجودي يتحقق في الموجودات
الامكانية فنوعه وجنسه مسلوب عنه تعالى ولكن يوجد له ما هو اعلى واشرف منه لانه لو
فيتعالى عن النقص وكل مجعول ناقص والا لم يكن مفتقرا الى الجاعل وكذا المساوي له
في المرتبة كاحاد نوعه وافراد جنسه ولا الشريك فلان يعطي كل كمال ليس بفاقد له
بل منبعه ومعدنه وثانيا المجعول رشحة وظله واما ثالثا فلان كل ممكن زوج تركيبي
حادث زائدة صفاته على ذاته وهو لا جوهر او عرض والواجب بخلاف ذلك
فانه بسيط حقيقي واحد من جميع الجهات قديم صفاته عين الذات ومنه يعلم انه ليس بجوهر
فانه ماهية اذا وجدت في الخارج كانت لا في موضوع فوجوده زائد على ذاته و
يحتمل ان يكون المراد بالمجانسة هنا المماثلة اذ الجنس قد يطلق على ما يعم
في المنطق النوع واهل اللغة يسمونه ايضا جنسا وقد يطلق على ما يطلق على الكثير
والقليل كالماء الذي يقال على القطرة والبحر وقد يقال على نفس الحقيقة ومفهوم
المسمى من غير اعتبار ما صدق عليه من الآحاد كما يقال جنس الرجل افضل
من جنس المرأة فيكون الغرض نفي وحدانه تعالى بالتمثيل وذلك ان كل ما له مثل

فليس بواجب الوجود لذاته لان المثلية اما ان تتحقق من كل وجه فلا تعدد اذن
لان التعدد يقتضي المغايرة بوجه ما وذلك ينافي المثلية والاتحاد من كل وجه
واما ان تتحقق من بعض الوجوه دون بعض فالتماثل اما في تمام الحقيقة او جزئها او امر
خارج عنها فان كان الاول كان ما به الامتياز عرضا للحقيقة لازما او زائلا
لكن ذلك باطل لان المقتضي لذلك العرض ان كان الماهية فيلزم ان يكون مشتركا
بين المثلين لان مقتضى الماهية الواحدة لا يختلف فما به الامتياز لاحد المثلين حاصل
للآخر او غيرها فيكون ذات واجب الوجود مفتقرة في تحصيل ما به تميزها
من غيرها الى امر خارج وان كان ما به التماثل والامتياز جزءا من المثلين لزم كون
كل منهما مركبا فيفتقر وان يكون التماثل بامر خارج عن حقيقتهما مع اختلاف الحقيقتين
لكن ذلك باطل اما اولا فلامتناع وصف واجب الوجود بامر خارج عن حقيقته لاستلزام
اثبات الصفة التي رجع عنها الى ثبوته وتركيبه واما ثانيا فلان ذلك الامر
من حيث المشترك ان كان كمالا للذات واجب الوجود فواجب الوجود مستفيد
للكمال من غيره وان لم يكن كمالا كان نقصانا لان الزيادة على الكمال
نقصان

نقصان فثبت ان كل ما له مثل فليس بواجب الوجود لذاته وهذه الاحتمالات على تقدير
بقاء المخالفة على معناه الحقيقي وهو الاشتراك في الجنس لا الاشتراك في النوع لان
المثل في اللغة يقال للمشارك كما صرح به الراغب وبما لم يكن الله تعالى
داخلا تحت جنس لبرائته من التركيب المستلزم للامكان ولا تحت نوع لافتقاره
في التخصيص الى العوارض الى غيره لا جرم لم يكن له مثل كيف ولو كان للواجب
مثل لكان ممكنا معلولا لكنه لا شيء احد المثلين لا اخراج العلة لا بد ان يكون
تعدد الواجب ولا يمكن ذلك لامتناع ح
اقوى من المعلول فانه ظل للعلة والقول بجواز كون ذلك المثل معلولا
لمعلوله لا معلولا له بلا واسطة مقدوح اذ المحذور اخس كما لا يخفى وبالجملة وجوب
الوجود يدل على سرمدية الواجب ونفي الزائد والشريك والمثل والتركيب بمعانيه
والضد والتحيز والحلول والحوادث فيه والتجسم والالم مطلقا واللذة المزاجية
والاحوال والصفات الزائدة وامكان الوجود على خلاف ذلك فكيف
يتصور المشاركة الجنسية والكمال فيه بين الوجوب والامكان الذاتيين
هذا والمخلوق في الاصل مصدر بمعنى التقدير يقال خلقت الاديم للسقاء اذا قدرته له

قبل القطع ثم استعمل في ايجاد الشيء وانشائه على غير مثال سبق فهذا خلق كعمل الله
خلق بتقدير الايجاد على وفق التقدير الذي اوجبه بحكمته ثم اطلق على المخلوق من
باب اطلاق المصدر على اسم المفعول مجازا في هذه الفقرة اشارة ايماء الى لطيف
على فساد عقيدة قوم قالوا انه تعالى جسم يجلس على العرش ويزيد عليه من كل جانب
اربعة اشبار بشبر نفسه وانه ينزل في كل ليلة جمعة على حمار وينادي الى الصباح
هل من تائب هل من مستغفر وحملوا ايات التشبيه كقوله تعالى الرحمن على العرش
استوى والسموات مطويات بيمينه خلقت بيدي يد الله فوق ايديهم بل يداه مبسوطتان
يوم يكشف عن ساق تجري باعيننا فرطت في جنب الله والارض جميعا قبضته يوم
القيمة وجاء ربك والملك صفا صفا كل شيء هالك الا وجهه وجوه يومئذ ناضرة
الى ربها ناظرة الى غير ذلك من الايات على ظواهرها وكتبت في ذلك جمعهم وقلة
تميزهم اذ الضرورة قاضية بان كل جسم لا ينفك عن الحركة والسكون
وقد ثبت انهما حادثان وان ما لا ينفك عن الحوادث حادث فيلزم حدوثه تعالى
عن ذلك وكل حادث محتاج الى المؤثر فيكون الواجب محتاجا اليه فلا يكون واجبا
اذ

وقد تمادى اكثرهم في الغي الى ان قالوا انه تعالى يجوز عليه المصافحة وان المخلصين
في الدنيا يعانقونه وقال بعضهم اعفوني عن الفرج واللحية واسئلوني عما وراء
ذلك وقال ان معبوده جسم ذو لحم ودم وجوارح واعضاء وانه بكى على طوفان نوح
حتى رمدت عيناه وعادته الملائكة لما اشتكت ومن المشبهة من قال انه تعالى نور
يتلألأ كالسبيكة البيضاء طوله سبعة اشبار بشبر نفسه ومنهم من قال انه على صورة انسان
فمنهم من قال انه شاب امرد جعد قطط ومنهم من قال انه شيخ اشمط الراس
واللحية تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا او مثل هؤلاء قوم اثبتوا لله تعالى
صفات زائدة على ذاته قديمة هي العلم والقدرة والارادة والحيوة والكلام
والسمع والبصر والتكوين والبقاء والوجوب والموصوف به واخرون اثبتوا له
احوالا اربعة هي العالمية والقادرية والحيية والموجودية وزعموا انها ثابتة
مع الذات في الازل وزاد بعضهم خامسة هي علة للاربعة مميزة للذات
هي الالهية واخرون جوزوا ان يكون الله تعالى محلا للحوادث وهذا كله منهم
كذب بحت وتشبيه له تعالى بمخلوقاته مما يدل عليه العقل والنقل منه ما رواه في الكافي

بسند كاد ان يكون صحيحا فان محمد بن عيسى بن عبيد اليقطيني وان ضعفه قوم الا
انه وثقه النجاشي وهو مروي عن حماد عن حريز عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر عليه السلام انه قال
في صفة القديم انه واحد صمد احدي المعنى ليس بمعاني كثيرة مختلفة قال قلت يزعم قوم
من اهل العراق انه يسمع بغير الذي يبصر ويبصر بغير الذي يسمع قال فقال كذبوا والحدوا
وشبهوا تعالى الله عن ذلك انه سميع بصير يسمع بما يبصر ويبصر بما يسمع قال قلت
يزعمون انه بصير على ما يعقلونه قال فقال تعالى الله انما يعقل ما كان بصفة المخلوق وليس الله
كذلك ونحوه قوله عليه السلام **وجل عن ملائمة كيفياته** جل يجل فهو جليل [illegible]
عظم والجليل والحقير ضده والملائمة الجمعية والموافقة يقال لام ولاءم بين الشيئين
اذا جمع بينهما ووافق وتلاءم الشيئان والتاما بمعنى وفي حديث ابن ام مكتوم لي قائد لا يلائمني
اي يوافقني ويساعدني والكيف عرض لا يقتضي لذاته قسمة ولا لا قسمة ولا نسبة واقسام
اربعة مشهورة المحسوسة والاستعدادية والنفسانية والمختصة بالكم واضافة الكيفيات
الى الضمير العائد اليه تعالى لادنى ملابسة وهو علاقة العلية والمعلولية اي الكيفيات
التي صنعها وخلقها وفيه دليل على انه عرى عن تلك الكيفيات لما كانت مصنوعة له
ولو

فكيف تلائمه وتناسبه والمصنوع لا يلائم الصانع لتباينهما بالكلية والكيفية منسوبة
الى الكيف اي السؤال المنسوب الى كيف وهو الاستفهام عن الحال والتانيث باعتبار
الحال التي هي مؤنث سماعية والمراد انه تعالى جل وعظم من ان يجامع كيفية من
كيفياته بان يكون موصوفا ومعروضا لكيفية من كيفياته الامكانية الخلقية
الحادثة لامتناع كونه محلا للحوادث وكما سبق الفقرة السابقة ولو كانت
تلك الكيفيات ازلية والازلي عندهم لا يكون اثر المختار لزم تعدد القدماء
على وجه الايجاب ولذا قال سيدنا الصادق عليه السلام ان الله لا يوصف بالكيف
وكيف يوصف بالكيف وهو الذي كيف الكيف حتى صار كيفا فعرفت الكيف بما كيف لنا
من الكيف ولكن في حديث الزنديق الذي اتاه عليه السلام وساله عن مسائل التوحيد
انه قال فله كيفية قال عليه السلام لا لان الكيفية جهة الصفة والاحاطة ولكن لا بد
من الخروج من جهة التعطيل والتشبيه لان من نفاه فقد انكره ورفع ربوبيته
وابطله ومن شبهه بغيره فقد اثبته بصفة المخلوقين المصنوعين الذين لا يستحقون
الربوبية ولكن لا بد من اثبات ان له كيفية لا يستحقها غيره ولا يشارك فيها ولا يحاط بها

ولا يعلمها غيره الحديث وهو ان لذته في كيفية ذاتية هي نفس ذاته المجردة
البسيطة ولا يدركها غيره ولا تكون كالكيفيات اللذاتية الحادثة ولعلهم لاجل ذلك
اشاروا بقولهم ان اللذة ادراك الملايم من حيث هو ملايم فمن ادرك كمالا في ذاته
التذ به كما يشهد به الوجدان فمن كان له في ذاته جميع الكمالات وادراكه اقوى الادراكات
فوجب ان تكون لذته اقوى اللذات هذا ما ذهب اليه الفلاسفة ولا المتكلمون
فهذا لحقوا القول بنفي اللذة عنه تعالى اما لانهم نفوا اللذة العقلية او لعدم وروده
في الشرع وكذا الفلاسفة انهم ان ارادوا ان الحالة التي يسمونها اللذة هي نفس ادراك
الملايم فغير معلوم وان ارادوا انها حالة عند ادراك الملايم فربما تحقق ذلك بادراكها
دون ادراكه فلا فانهما مختلفان قطعا والحق ان اللذة ليست ادراك الملايم نفسه
بل هي حالة مترتبة عليه لظهور ان السرور ليس نفس تخيل المحبوب بل مترتب عليه وايضا
قد يتقرر ادراك الملايم عليه ولا تبقى اللذة على حدها بل تضعف وتنقضي كما في الصبا لو
اذا تكرر واستمر فاللذة ليست نفس الادراك فتعريفها به محل نظر وقيل قولهم لا يتحقها غيره
لا اخره جزا اخر توهم ان المراد بالكيفية المعنى المعروف لغة وعرفا وهو الهيئة اي صفة
ثن

للشيء باعتبار اتصافه بالصفات التابعة للحدوث الموجبة للتغير موضوعاتها
وتاثر موضوعاتها فان هذا المعنى محال في شان الواجب بالذات جل شأنه وقد وقع
نفيها عنه تعالى في غير موضع من كلامهم عليهم السلام فمنه قول امير المؤمنين عليه السلام
في خطبة لا تقع الاوهام له على صفة ولا تعقد القلوب منه على كيفية وقوله عليه السلام
ما وحده من كيفه اي وصفه بكيفية وقول الباقر عليه السلام ليس لكونه كيفية
ولا لابتدائه كان اول بلا كيف ويكون آخرا بلا اين وعن ابي عبد الله عليه السلام
كيف اصف ربي بالكيف والكيف مخلوق والله لا يوصف بخلقه وهو
في اخبارهم عليهم السلام كثير جدا قال بعض علمائنا قول امير المؤمنين عليه السلام
ما وحده من كيفه دل بالمطابقة على سلب التوحيد له عمن وصفه بالكيفية وبالالتزام
على انه لا يجوز تكييفه لمنافاة ذلك للتوحيد وبيانه انهم رسموا الكيفية بانها
هيئة قارة في المحل لا توجب اعتبار وجودها فيه نسبة الى امر خارج عنه
ولا قسمة في ذاته ولا نسبة واقعة في اجزائه فتبين ان وصفه بها يستلزم
تثنيته اذ هي صفة زائدة على الذات وهو في المثبت له صفة تزيد

فينبغي اثباته لتوحيده **يا من قرب من خواطر الظنون** اي القلوب
والعقول والخواطر الآتية والمراد بقربه منها انها قابلات قادرات لادراكه
ومعرفته بافعاله وآثار صفاته فان كل عاقل يرى في نفسه نعمة متوالية
متزايدة ظاهرة باطنة تارة كبيرة واخرى صغيرة وتارة صحة واخرى سقما
وتارة عسرا واخرى يسرا فاذا راجع نفسه علم ان له مقلبا يقلب احواله
ومغيرا يغيرها تارة فيخطر بباله انه لابد من ان يكون له صانع صنعه ومدبر
دبره ان اطاعه اثابه وان عصاه عاقبه فيحصل له الخوف وهو ضرر يجب دفعه
ولا يمكن الا بالنظر فاذا نظر نظرا صحيحا اداه الى معرفته وبه يعلم ان النظر
واجب ويمكن ان يكون اشارة الى ان اهل معرفته في فطرتهم بديهي وتخيل الى
تكون اضافة الخواطر الى الظنون اضافة الجرد الى القطيفة يعني انه تعالى قريب
من الظنون التي هي خاطرة بالقلوب او المراد انه تعالى عالم بذات الصدور لا يحجب عنه
ومنها فهو قريب منها وبعيد ذاتا والخواطر الهواجس الجمع خواطر خطر بباله وعليه
خطورا ذكره بعد نسيان وخطر اليه كذا في القاموس وقيل الخواطر ما يكون على القلب
دليل

ويترتب عليه ما يتخايل للعبد في نفسه وهو اقسام رحماني وهو كل ما فيه صلاح وقربة
ويسمى الهاما ونفساني وهو ما فيه حظ النفس ويسمى هاجسا وشيطاني وهو ما يدعو
الى مخالفة الحق ويسمى وسواسا وقال بعض العلماء الخواطر اربعة اقسام رباني وهو اول
الخواطر وهو لا يخطئ ابدا وقد يعرف بالقوة والتسلط وعدم الاندفاع بالدفع
وملكي وهو الباعث على مندوب ومفروض وبالجملة كل ما فيه صلاح ويسمى الهاما
ونفساني وهو ما فيه حظ للنفس ويسمى هاجسا وشيطاني وهو ما يدعو الى مخالفة الحق قال
تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء وقال النبي صلى الله عليه وآله لمة الشيطان
تكذيب بالحق وايعاد بالشر ويسمى وسواسا ويعتبر بميزان الشرع فما فيه قربة
فهو من الاولين وما فيه كراهة او مخالفة شرع فهو من الآخرين والصادق
القلب الحاضر القلب مع الحق يسهل عليه الفرق بينها بتيسير الله وتوفيقه وقال بعضهم الخواطر
التي لا يشعر بتفصيلها اذا خالفتها وامرا له قد تستتبع حركة بعض الجوارح الا على
فيخرج عن حدها الى الفعل وذلك والخاطر لا يوجب اثرا في النفس ولا يوجد
الا انه ربما يقوى بقوة اسبابه وكثرتها فيقطع العبد عن سلوك سبيل الله

[illegible]

كما صح في حق المتمكنين في لذات الدنيا المتجردين لها فان احدهم بما رام التشبه
بمن يصلي الغرض فيصلي الصلوة الواحدة مرتين او مرارا ولا يستثبت صدور ركعاتها
وسجداتها والتوبة والاستغفار عن مثل ذلك البعد عن الاسباب الموجبة لها
والمراد بها هنا ما يخطر بالجنان لا من قبل الرحمن بان ياتيه ملك الى ناحية
صدره ويقول في سمع عقله كلاما خفيا بان لك صانعا صنعك ومدبرا
دبرك فيجب عليك النظر لتعرفه واما من جانب الشيطان بان ياتيه
بعض ابالسته فيمنعه عن ذلك ويسد عليه طريقه بوسوسته والظنون
كالفنون جمع ظن فقد يراد به اعتقاد راجح غير جازم وقد يطلق على ما يقابل
اليقين كما قاله الشيخ في منطق الاشارات وعلى اليقين نفسه كما روي عن الرضا عليه السلام
في حديث المامون انه قال معنى فظن ان لن نقدر عليه استيقن ان لن نقدر عليه
وقد يقال انه من الاضداد فيطلق على الراجح والمرجوح معا وعلى الشك في قوله
ان نظن الا ظنا وان الظن لا يغني من الحق شيئا وان بعض الظن اثم وهو
بهذا المعنى يرادف الوهم وهذا هو المناسب للمقام لان العقول والتحات

في ادراك ما سوى الله كالعلم بالغة كنه الاشياء وحقائق الامور على ما هي عليه في
نفس الامر لا ادنيها فيما يتعلق بذاته وصفاته تعالى كالظنون والاوهام
حيث انها لا تبلغ كنه الامور وحقيقتها بل يحكم احكاما غير مطابق للواقع
قد روي عن الامام عليه السلام لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار فقال عليه السلام
انما عنى ابصار القلوب وهي الاوهام فقال لا تدرك الاوهام كيفيته وهو يدرك
كل وهم واما عيون البشر فلا تلحقه لانه لا يحد فلا يوصف هذا ما نحن فيه كلامه ولذا
قال عليه السلام **وبعد عن ملاحظة العيون** البعد بين
الشيئين انما يطلق على اقصر المسافات بينهما او على شيء لا اقصر منه لا على الا اقول
فقط الا ترى ان المركز من المحيط هو نصف القطر مع انه ليس اقصر الخطوط الواصلة
بينهما وقد عرفت ان القرب والبعد بالذات والزمان ليس مكانيا فانهما
من صفات الاجسام وهو تعالى عن ذلك ومنه يعلم انه لا يمكن رؤيته تعالى لان
المرئيات بين ان تكون جسما او عرضا حالا فيه وقد ثبت انه تعالى ليس كذلك وكلمة
على وزنه ومتعلقه محذوف اي بعد بعدا عن ملاحظة العيون والملاحظة مفاعلة مجاوزة م

من اللحظ وهو لطر تشق العين الذي الى الصدغ لا الذي الى الانف فالموق المأق

وفيه من المبالغة ما لا يخفى لان المرئي اذا كان دقيقا لطيفا مشكلا ادراكه بجميع الرائي

نور عينيه الى ذلك الشق رجاء ان يدركه فاذا كان ادركه فلا لتجرده وعدم تحيزه

بعيد عن تلك الملاحظة فلا سماله يمتنع ان تدركه العيون لان الادراك

في يمنع عن الرؤية والعيون الابصار والبصر قوة مرتبة في العصبة المجوفة مدركة

لما يقابل العين بتوسط جرم شفاف لا بخروج شعاع يلاقي المبصرات ولا

بانعكاسه ولا بانطباع المرئية في الرطوبة الجليدية ولا في ملتقى العصبتين المجوفتين ولا

باستدلال لبطلان ذلك كله كما بين في موضعه بمقابلة المستنير للعين السليمة وبما فيها

رطوبة صافية شفافة مرآتية فيقع للنفس علم اشراقي حضوري عند ذلك المبصر المقابل لها

فتدركه النفس مشاهدة والمراد انه تعالى لكونه مجردا عن ذي وضع ولا متحيز لا بالذات

ولا بالعرض يمتنع رؤيته ولا تدركه العيون والابصار ولا تحيط به الاوهام قال صاحب

الدعائم جعلت له الفداء حين ما سأله حبر تعالى اذعلب هل رأيت ربك يا ذعلب

ما كنت اعبد ربا لم اره فقال رأيته قال ويلك لم تره العيون بمشاهدة الابصار ولكن

راته

راته القلوب بحقائق الايمان وبالجملة الرؤية يستلزم كون المرئي لا جسما او جسمانيا

ذا جهة وحيز يكون بينه وبين الرائي هواء ينفذه البصر فاذا لم يكن بينهما هواء

وعدم الضياء الذي هو شرط الرؤية لم تصح الرؤية بالبصر فالادراك المخصوص

المعلوم بالوجه المتمايز عن غيره لا يمكن ان يتعلق بما ليس في جهة والا لم يكن للبصر فيه مدخل

بل المدخل فيه للعقل فلا وجه لتسميته ابصارا فالقول بجواز رؤيته تعالى عن ذلك

منزها عن المقابلة والجهة والمكان ليس مما يحكم العقل به بل هو محض الهذيان وما

استدل في المشهور على نفي امكان رؤيته تعالى بان المرئي بالبصر يجب ان يكون في جهة

وهو تعالى منزه عنها والا وجب كونه عرضا او جوهرا جسمانيا وهو محال واعترض العلامة

بان بعد الاجلان به هذا القياس سلم وهو ان كونه في جهة يوجب المحال ولكن الاولى منع

وهو اوضاه هذا اللازم على تقدير الرؤية ثم فقول لم قلتم انه ان كان مرئيا كان

في جهة من الرائي اعلمتم ذلك ضرورة ام نظرا لا سبيل الى دعوى الضرورة ولا الى النظر

فلا بد من بيانه ومنتهاه انهم لم يروا الى الان شيئا الا وكان في جهة من الرائي فحينئذ صح

ولو جاز هذا الاستدلال لجاز للمجسم ان يقول ان الباري تعالى لانه فاعل فهو في عالم الان

الى الآن فاعلم ان الاجسام وحاصله يرجع الى الكلم بان ما شوهد وعلم يمتنع ان يوجد بالكلية ما شاهد
ولم يعلم واجب ان ادعى كون المرئي بهذه المعنى مطلقا يجب ان يكون في جهة ليس
من بينها ان المرئيات في هذا العالم لا تكون الا في جهة حتى يكون من باب قياس الغائب
على الشاهد بل النظر والبرهان يؤديان الى ان القوة الباصرة التي في عيوننا قوة جسمانية
وجودها وقوامها بالمادة الوضعية وكل ما وجوده وقوامه بالشيء فقوام فعله وانفعاله بذلك الشيء
اذ الفعل والانفعال بعد الوجود وفرعه اذ الشيء يوجد اولا اما بذاته او بغيره ثم يؤثر في
شيء او يتأثر منه فكل ما كان وجود القوة بنفسها متعلقا فيه بمادة جسمانية بما لها من الوضع كان
تأثيرها وتأثرها ايضا بمشاركة المادة ووضعها بالقياس الى ما تؤثر فيه او تتأثر عنه فلاجل ذلك
نحكم بان البصر لا يرى الا ما له نسبة وضعية الى الآلة فالباصرة والسامعة لا تبصر ولا تسمع الا ما وقع
منها في جهة واكثر فهذا هو البرهان قال السيد نظام الدين احمد قدس سره في رسالة اثبات
الواجب تعالى قد ثبت في محله انه يجوز ان تعلم بعض النفوس المجردة الالهية الكاملة ذات
الواجب تعالى بالعلم الحضوري الذي هو عبارة عن مشاهدة ذاته من غير تكيف ولا مسامتة
ولا محاذاة واذا ثبت ذلك فلا مانع من قول من يجوز رؤيته تعالى في الآخرة فان الرؤية
في الحقيقة

في الحقيقة عبارة عن مشاهدة حضورية ولا يشترط فيها وقوعها بالجارحة المخصوصة
بل بعض القائلين بجوازها صرح بان رؤيته تعالى لا يجب ان تكون بتوسط تلك الجارحة
المخصوصة قال في شرح التجريد لا يلزم من نفي الرؤية بالبصر نفي الرؤية مطلقا اذ يمكن ان
يرى لا بتلك الجارحة المخصوصة كما هو المذهب فان المثبتين للرؤية تعالى يدعون ان الحالة
المخصوصة التي يحصل لنا بالبصر في الدنيا وتسمى رؤية يحصل لنا في تلك النشأة بعينها
بالنسبة اليه تعالى من غير توسط تلك الجارحة انتهى ويؤيد ما ذكرناه قال المعلم الثاني
في فصوصه من ان كل ادراك يحصل بلا واسطة استدلال فهو ليس بغائب بل هو شاهد
فادراك الشاهد هو المشاهدة والمشاهدة اما بمباشرة وملاقاة واما من غير مباشرة
وملاقاة وهذا هو الرؤية والحق الاول تعالى لا يخفى ذاته عليه وليس في ذلك استدلال
بل ذاته مشاهدة لذاته فاذا تجلى لغيره مغنيا عن الاستدلال لذاته وكان
بلا مباشرة ولا مماسة كان ذلك لغيره تعالى صريح فيما ذكرناه فان قلت اذا كانت
المشاهدة الحضورية هي الرؤية فلا مانع منها في هذه النشأة ايضا فلم اختص
جواز الرؤية بالنشأة الآخرة كما هو مذهب اكثر القائلين بجوازها قلت

لعل هؤلاء لا يمنعون الجواز بل الوقوع ولعل السر في ذلك ما صرح به بعض الأعاظم
من أن النفس سيما الكاملة المشرقة اذا شاهدت المبدأ الاول والتذت بلذات مشاهدته
قل اقبالها على الجسم وعالم التجسيم وكلما زاد اقبالها عليه نقص توجهها الى هذا العالم فينقص جهة
الا ما تدبره من الجسم بل تعرض عنه بالكلية فتتشتت اجزاء بدنها وينحل تركيبه
ويبطل نظام عناصره واتصالها فلم يبق حيوة بدنية لاعراضها عن البدن بالكلية فان نظام
البدن واتصاله من آثار التجرد المدبر على ما هو المشهور وبهذا يظهر تفسير الآية الكريمة
الحاكية عن سؤال موسى فانه حيث سأل الرؤية وهي المشاهدة الحضورية اجيب بلن تراني
ارشادا له وانت في هذه النشأة المتعلقة ويؤيده ما في التورية لا يراني ابن آدم وهو
حي اي في حال حيوة البدنية فان قيل البدن الذي في النشأة الآخرة غير قابل للتفرق
والتشتت او لعل النفس لكمال قوتها التي اكتسبتها في تلك النشأة اذا شا
هدت المبدأ الاول فيها فاقبلت عليه اقبالا كليا لا تعرض عن البدن بالكلية ولا يشغلها
شان عن شان ولا يخفى على الخبير ان ما ذكرنا ليس توجيها لكلام القائلين بجواز رؤيته
تعالى وهم الاشاعرة فان جمهورهم بان تعالى يرى في الآخرة بهذه الحاسة المخصوصة

بل

بل هو تفسير وتأويل للآيات والاخبار الدالة على جواز رؤيته ووقوعها في النشأة
فيكون جوابا بالاستعداد لا لهم بتلك الآيات والروايات سيما ما ذكروه من ان طلب
موسى الرؤية دال على جوازها والا لزم ان يكون جاهلا بصفاته تعالى في زمانه طلب
المشاهدة الحضورية الصرفة التي ليس فيها شوب الخيالات والاوهام لا الرؤية بالبصر
ولا حاجة الى تكلف ما ارتكبها القائلون بامتناعها اي كلا وعلم بما كان
قبل ان يكون اي ان مصدريتان وكان ويكون تامتان والمراد
انه تعالى كان عالما بالكون اي الوجود على ما هو عليه قبل الكون قبلية ذاتية
او دهرية او زمانية على الخلاف والاوسط اوسط كما فصلنا القول فيه
في رسالتنا المعمولة لبيان حدوث الدهري وذلك لان ذاته تعالى
بذاته مبدأ فيضان جملة الموجودات عنه فعلمه بذاته علم بجميع الموجودات
وذلك هناك فيما له لا حاجة في ذلك الى امر مغاير لذاته بل انكشافه لذاته
انكشافها لها انكشافا تفصيليا اذ العلم التام بالعلة علم تام بالمعلول
ومنهم من قال ان علمه تعالى بما سواه لما كان علما حضوريا وظاهر

ان حضور الاشياء انما يمكن حين وجوداتها قبلها فلابد من اثبات علم له تعالى اجمالي
هو عين ذاته ومتقدم على كل الايجادات ولا من ذهب منهم الا ان علمه تعالى بالاشياء
عين حصولها فقال بان صورها في الازل كانت قائمة بذاته تعالى عن ذلك علوا كبيرا ضعف
وجهها ولا الجزئيات منها وجه لها فلا حاجة الى اثبات ذلك العلم الاجمالي والظاهر
من الاخبار ان علمه تعالى عين ذاته وانه كان عالما بالاشياء قبل ايجادها فلما اوجدها
وقع العلم منه على ما كان معلوما له في الازل فانطبق عليه وتحقق مصداقه قال سيدنا
ابو عبد الله الصادق عليه السلام على ما رواه عنه ابو بصير لم يزل الله عز وجل ربنا والعلم ذاته
ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدور
فلما احدث الاشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع
والبصر على المبصر والقدرة على المقدور ويحتمل ان يكون المراد بوقوعه عليه العلم به على
انه حاضر وقد تعلق به على وجه الغيبة وانه سيوجد والتغير يرجع الى المعلوم لا الى
العلم ولتفصيل القول مقام آخر **يَا مَنْ أَرْقَدَنِي فِيهَا أَمَنَةً وَأَمَانًا**
الرقد النوم كالرقاد والرقود بضمهما والرقاد خاص بالليل وارقده انامه والمكانات
البعد

اسباب النوم واليقظة واكلائه بالليل والنهار من شتى لا يسند العقلاء في الموضعين اليه
مجاز الحكمة فانهم كانوا الذاكر الكريم الذي ارقده ولدغه العقرب في مهد امن ولا ان يحرسه
او كلائه اياه عما يضره ويؤذيه حكى عن ذي النون المصري انه كنت في البيت اذ وقعت
زلزلة في قلبي وصرت بحيث ما ملكت نفسي فخرجت من البيت واتيت الى شاطي النيل
فرأيت عقربا قوية تعدو فتبعتها فوصلت الى طرف النيل فرأيت ضفدعا واقفا
على طرف الوادي فظهرت العقرب على ظهر الضفدع يسبح ويذهب فركبت السفينة
وتبعته فوصل على الطرف الاخر من النيل ونزلت العقرب عن ظهره واخذت
تعدو فتبعتها فرأيت شابا نائما تحت شجرة ورأيت افعى يقصده فلما
قربت الافعى من الشاب وصل العقرب الى الافعى فلدغته والافعى ايضا لدغت العقرب
فماتا معا وسلم ذلك الانسان منهما فانظر الى حسن صنيعه بعباده وكيف
تعلقت عنايته بالاحسان اليهم والرحمة لهم هذا ويحتمل ان يكون مجهولا على
الحقيقة كما يدل عليه مرسلة ابن منصور المذكورة في اصول الكافي المروية عن ابي عبد الله
الصادق عليه السلام قال ستة اشياء ليس للعباد فيها صنع المعرفة والجهل

والرضا والغضب والنوم واليقظة والمهد معروف وهو الموضع الذي يهيأ للصبي ويوطأ
والارض كالمهاد والارض فرشناها فنعم الماهدون والم نجعل الارض مهادا
اي بساطا ممكنا للسلوك وقيل المهاد بالكسر الفراش وجمعه مهد ككتاب وكتب ويكون
المهاد جمع ايضا كسهم وسهام ويجمع مهود ايضا كفلس وفلوس والاضافة
من قبيل لجين الماء حيث شبه الامن والامان بالمهاد الجامع الاجسام ثم قدم
المشبه به على المشبه واضيف اليه او بيانية او شبه الامن والامان بشيء يتسع (?)
ثم اثبت له المهاد ولعل الانسب بالنظر الى لفظ الجمع والامن الاول وليس فلعله
محمول على الجنس او اريد به المفرد والامن ضد الخوف وهو اطمئنان القلب وسكون
البدن من عدم القلق والاضطراب الحاصل من مظنة المكروه وهو المومن الفات
الطير المسيحها كما ان كل من يعبد والسند (?) وهو الذي امن عباده من الظلم والجور وقيل
الامان من عدم توقع مكروه في المستقبل وفي المصباح امن زيد الاسد امنا وامن منه
سلم وزنا ومعنى والامان يستعمل في سكون القلب اشهر والامانة في حفظ
وحراسة وكلاءة عباده عن الافات والعاهات والبليات التي لا تحصى كثرة حكمته جلت عظمته (?)

اصابتها

اصابتها لهم وهو الذي يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا
ان امسكهما من احد من بعده ولا رقادة (?) في عباده في حياته وانما الاسباب
ونحو ذلك من التطهر والدعوات والتعوذ بالكلمات التامات مذكورة في مظانها
فيطلب من هناك **وَايْقَظَنِي اِلى مَا مَنَحَنِي بِهِ مِنْ مِنَنِهِ وَ**
اِحْسَانِهِ اليقظ محركة نقيض النوم وايقظه نبهه ومنحه كمنعه اعطاه والمنحة
العطية والظرف متعلق بمحذوف اي نبهني هاديا ومرشدا الى ما اعطاني من توفيقه
لعبادته وتاهيله لطاعته وما يحصل به المعاش وينتظم به المعاد لفظة من بيانية والمنن
جمع منة بالكسر بمعنى النعمة وهو الذي اسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة والمن
العطاء وكثيرا ما يرد المن في كلامهم بمعنى الاحسان الى من لا يستثيبه ولا يطلب الجزاء
عليه وفي القاموس من عليه منا انعم واصطنع عنده صنيعة ومنه المنان وقيل المنة
النعمة الثقيلة وتطلق على معنيين احدهما ان يكون بالفعل نحو من عليه اذا اثقله بالنعمة
ومنه لقد من الله على المؤمنين الثاني ان يكون بالقول وهو عد الاحسان وهو
مستقبح ولهذا قيل المنة تهدم الصنيعة الا عند الكفران وقال بعض العلماء

المنة تذكير المنعم عليه بنعمته والتطاول عليه بها كقوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي
انعمت عليكم في غير موضع من كتابه وهي صفة مدح للحق سبحانه والانفاق صفة ذم
للخلق والسبب المفارق كون كل منعم سواه تعالى يتوقع لنعمته جزاء ويستفيد كمالا
يعود اليه مما افاده فيحسن تقبيح تعييره بنعمته ويتوهم جزاء ان يمن بها او يستلزم المن
من التطاول بما يتاذى به المنعم عليه فيبطل بذلك استعداد نفسه لقبول الرحمة
وجزائه ولذلك ورد النهي عن المنة في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا
صدقاتكم بالمن والاذى فجعلهما سببا لبطلان الصدقة اي عدم استحقاق
ثوابها وفيه نظر فقد ورد في الدعاء عنهم عليهم السلام تنزيهه تعالى عن الامتنان
بالمعنى المذكور كقول علي بن الحسين عليهما السلام في دعائه لطلب الحوائج يا من
لا يكدر عطاياه بالامتنان وقوله في وداع شهر رمضان ولم تشب عطاءك
بمن وذلك لان الامتنان بالمعنى المذكور لما كان رذيلة ناشئة عن دناءة
النفس وصغر الهمة واستعظام النعمة والاحسان كان تعالى منزها عنه لان كل نعمة
من نعمه تعالى وان عظمت وكل عطية من عطاياه وان جلت بالنسبة الى العبد والمنعم عليه
فهي

فهي حقيرة بالنسبة الى عظمته تعالى شانه وجلت قدرته اجل ان يكون لها عنده وقع
فيمن بها ويعتد على من اعطاه وانعم عليه فقوله ان المن بالمعنى المذكور صفة
مدح للحق سبحانه والانفاق صفة ذم للمخلوق ليس بشيء وعبارة الدعاء تشهد ببطلانه فاعلم
ان النوم حالة تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات
الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس عن افعالها لعدم انصباب الروح
الحيواني اليها واليقظة زوال تلك الحالة وتفصيله ان الروح الحيواني وهو الجوهر
البخاري اللطيف الحاصل من لطيف الاغذية المنتشرة في الاعضاء والعروق
وبسببه يحصل للاعضاء قوة الحس والحركة وهو مركب الروح الانسانية اذا
انتشر في جميع اجزاء البدن ظاهره وباطنه حصل الحس والحركة وهذا
هو اليقظة وان بقي في الباطن يكون لاسباب منها طلب الاستراحة عن كثرة
الحركة ومنها تحلله بسبب الافعال الكثيرة الصادرة من الحواس فتشتغل الطبيعة
بنضج الغذاء ليستمد الروح من لطيفه ومنها انسداد المجاري فان الانسان
اذا شرب الشراب مثلا تصاعدت الابخرة من المعدة الى الدماغ ونزلت

الى الاعضاء فاستدت المجاري وانسدت فلا تقدر الروح على النفوذ لها فيتبعه وربما كان
اكل الطعام موجبا لهذا السبب **وكفّ اكفّ السوء عنّي بيده**
وسلطانه حيث اعاذني حين ما اتاني من شر ما ذرا ومن شر ما برا ومن شر
كل دابة هو آخذ بناصيتها من العقارب والحيات والهوام وغيرها من الموذيات الآتية
والجنية والكف المنع يقال كففت الرجل عن الشيء فكف يتعدى ولا يتعدى وهو الذي
كف ايديهم عنكم والاكف جمع كف وهي الراحة مع الاصابع سميت لانها تكف الاذى
من البدن وفي القاموس الكف اليد او الى الكوع والجمع اكف وكفوف وشيء
وقال المرقش الاكبر يصف النساء النشر مسك والوجوه دنانير واطراف الاكف
عنم وفيه تجنيس محرف كما في جبة البرد جنة البرد بيانه انه اذا اختلف لفظ المتجانسين
في اعداد الحروف بان يكون حروف احدهما اكثر من الآخر يجنس اذا حذف
الزايد اتفقا في النوع والهيئة والترتيب سمي التجانس فكان هنا بعد حذف
يصير محرفا لانحراف هيئة احد اللفظين عن هيئة الآخر والسوء بضم السين وفتحها
ما يسوء كوشينك وقرء قوله تعالى عليهم دائرة السوء بالوجهين وقيل هما لغتان

بان

من ساء يسوء اذا قبح غير ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه والمضموم
جرى مجرى الشر وكلاهما مصدر وقيل هو بالفتح مصدر وبالضم اسم منه وقيل
المفتوح الرداءة والفساد والمضموم الشر والضرر وقيل السوء في الاصل مصدر ساءه
يسوءه اذا احزنه يطلق على جميع المعاصي سواء كانت من اعمال الجوارح او افعال القلوب
لاشتراك كلها في انها تسوء صاحبها بعواقبها والظرفان متعلقان بكف وبيده في
قدرته لانها تستعمل مجازا تارة للقدرة واخرى في النعمة وعن الباقر عليه السلام اليد في كلام
العرب القوة والنعمة والسماء بنيناها بايد بقوة ولفلان عندي ايادي كثيرة [illegible]
وله عندي يد بيضاء اي نعمة والسلطان مصدر بمعنى الغلبة والتسلط والقدرة ومنه
قوله تعالى فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان اي بقوة وقهر وغلبة وقد يجيء بمعنى الحجة
والدليل لتسلطه على القلب واخذه بعنانه فالعطف تفسيري او قريب منه وفي الكلام
استعارة مكنية وتخييلية ومجاز مرسل وترشيح له وهو قوله الكف والترشيح محض
ما يقترن بلفظ المشبه به ولا بالاستعارة المبنية على التشبيه لتصريحهم بان [illegible]
ترشيح يلائم المرسل الذي في اليد ولا تشبيه فيه اصلا ولا تقديره لهم لم يذكر ما يلائم المشبه به

فانما هو في الترشيح الذي في الكتب وكذا ما ذكروا من القرآن بلفظ المشبه به فالمركو
انه لك فيما اذا كان في الكلام تشبيه صرح بذلك بعض المحققين والاولى ان
يكون ذلك جاريا مجرى التمثيل الذي يسميه اهل البيان تمثيلا تخييليا
اي لا انقطع في الخيال بتصوير المعاني العقلية بصور حسية لكونها اظهر حضورا واكثر
خطورا وهذا ما قال الحكماء ان النفس للتخييل اطوع منهم للتصديق فاكثروا من
استعمال القضايا المخيلة في مقام الترغيب والترهيب والاستهجان والاستعطاف
ونحو ذلك ومن والكشاف ترى بحسب الظاهر كاذبة فليت لكاذبة لان العقد
منها تشبيه تلك الحال بحال من تعرض لتلك الصورة لا الحسية مثلا مثل كلامه
وتسلطه وقدرته تعالى على دفع الآفات والعاهات والموذيات عن العباد بحال
من تكون له يد يكف بها الاذى عن غيره فيحفظه ويحرسه من غير ان يذهب بها الى
حقيقة بالنسبة اليه تعالى كما يذهب اليه المجسمة او مجاز بان يكون المراد باليد القدرة وانما
المراد بالمفردات في مثل ذلك حقايقها في نفسها كما في قولك اراك تقدم رجلا
وتوخر اخرى لكن لا بالنسبة الا الممثل وهو باب جليل في علم البيان عليه يحمل كثير
من متشا

من متشابهات القرآن كقوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات
مطويات بيمينه وقوله واصنع الفلك باعيننا الاية قال صاحب الكشاف ان ذلك
تمثيل وتصوير لعظمته تعالى وتوقيف على كنه جلاله من غير ذهاب بالقبضة واليمين
والايدي الى جهة حقيقة او مجاز كقوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو
بخيل بل يداه مبسوطتان اي هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط وشدد النكير
على من تاول القبضة والملك واليمين واليد بالقدرة وقال انه من ضيق
العطن والمسافة من علم البيان مسافة اعوام قال وكم آية من آيات التنزيل
في التنزيل وحديث الرسول قد ضيم وسيم الخسف بالتاويلات الغثة والوجوه
الرثة واعتذر الشيخ عبد القاهر عن تاويلهم القبضة بالملك واليد بالقدرة
ونحو ذلك بان الغرض منه ان لا يقع السامع في التشبيه والتجسيم سريعا
بناء على كون الكلام للتصوير والتمثيل وصل اللهم على
الدليل اليك في الليل الاليل لما كانت النفوس
البشرية في الابتداء منغمسة في العلائق البدنية لاجل تدبير البدن وتكميله
تكدرت

بل يذهب الى اخذ الزبدة والخلاصة
من الكلام من غير ان يتمحل لمفرداته
حقيقة او مجازا مع

بالكدورات الطبيعية الناشية من القوة الشهوية والغضبية
وكان ذات المفيض عز اسمه في غاية التنزه عنها ولم يكن بينهما لذلك
مناسبة بوجه لفيضان كمال وجب عليها في استفاضة الكمالات واستنجاح المطالب
والحاجات من تلك الحضرة المنزهة التوسل بتوسط ذي جهتي التجرد والتعلق
ليقبل ذلك المتوسط الفيض منه بتلك الجهة الروحانية التجردية وتقبل النفس
بهذه الجهة الجسمانية التعلقية فلذلك وقع منه عليه السلام في مقام التعليم التوسل
الى المؤيد بالرياستين مالك ازمة الامور في الجهتين والى اتباعه الذين قاموا
مقامه بافضل الوسائل واكمل الفضائل اعني الصلوة عليه اصالة وعليهم تبعا قال
يا من هذا الذي ذكرناه شانه نصل عليه وعليهم مع ان يكون اللهم بدل يا من
ولعل واخواته المذكورة او هو استيناف كلام وما قبله تعداد صفات
تقديمها للوسيلة مع طلب الحاجة والصلوة اصلها الدعاء لكنها من الله تعالى مجاز في الرحمة
والمشهور انها منه تعالى الرحمة ومن الملئكة الاستغفار ومن المؤمنين
الدعاء وقال بعض المحققين والتحقيق انها تستعمل في قدر مشترك بينها وهو

الاعتداد

وهو الاعتناء لان المدعو كالمصلي من فوق بالاله فيه يصلي بحب الاستفاضة
وانما عدلنا عن المشهور لاستلزامه الاشتراك والمجاز خير منه والمناقشة بان العطف
في قوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة يدل على مغايرتهما ولذا جعلها بعضهم
بمعنى الرضوان مندفعة بان التصريح بالحقيقة بعد ارادة المجاز يفيد تقوية المقصود
على ان العطف لا يدل على المغايرة مطلقا فان من اقسامه عطف الشيء على نفسه
وقد عد بعضهم منه الآية وقوله تعالى انما اشكو بثي وحزني الى الله وقوله لا ترى فيها عوجا ولا امتا
غاية السؤال بالصلوة عائدة الى المصلي كما تدل عليه صحيحة صفوان بن يحيى المذكورة في
الكافي في باب العطاس قال كنت عند الرضا عليه السلام فعطس فقلت صلى الله عليك
وقلت له جعلت فداك اذا عطس مثلك يقال له كما يقول بعضنا لبعض يرحمك الله او كما
نقول قال نعم قال اليس تقول صلى الله على محمد وآل محمد قلت بلى قال ارحم محمدا وآل محمد قال بلى
وقد صلى عليه ورحمه وانما صلوتنا عليه رحمة لنا وقربة وهي تدل على ان الله تعالى قد
اعطاه من اعلى الكمال وعلو الدرجة ورفع المنزلة ما لا يؤثر فيه صلوة مصل ولا دعاء
وقد اوضحنا الكلام فيه في تعليقنا على الآيات الالهية المنسوبة الى الفاضل الاردبيلي

ره

وان غاية الصلوة عائدة الى المصلي

وقيل غاية الصلوة طلب زيادة كماله وقربه من الله ومراتب استحقاق نعم الله
عز وجل غير متناهية وقيل معنى الصلوة وقيل معنى الصلوة عليه تعظيمه في الدنيا
باعلاء كلمته وابقاء شريعته وفي الاخرة بتضعيف مثوبته والزيادة في رفع درجته
وهل تجب الصلوة عليه عند ذكره على الذاكر والمذكور عنده ظاهر كثير من الاخبار كقوله
صلى الله عليه وآله من ذكرت عنده ولم يصل علي دخل النار وقوله من ذكرت عنده
فنسي الصلوة علي خطي به طريق الجنة وقوله من ذكرت عنده ولم يصل علي فقد دخل النار
فابعده الله الوجوب لمكان الوعيد الدال عليه وهو مختار الصدوق والمقداد من اصحابنا
والطحاوي من العامة وقال الزمخشري وهو الذي يقتضيه الاحتياط ومنهم من اوجبها في كل
مجلس مرة ومنهم من اوجبها في العمر مرة وهذه اقوال لا مستند لها فالقول بها تحكم
والاولى وجوبها عند كل ذكر للاخبار الكثيرة الصريحة بالامر بها كلما ذكر والاصل في الامر
الوجوب ولا القول بالاستحباب مطلقا كما ذهب اليه جماعة مستدلين بالاصل والشهرة
والمستدين الا عدم تعليمه صلى الله عليه وآله للمؤذنين وتركهم ذلك مع عدم وقوع نكير
عليهم كما يفعلون الان ولو كان لنقل ففيه ان عدم التعليم مم وكذا عدم النكير لعدم النقل

لما في

لما في الكافي عن الباقر عليه السلام اذا اذنت فافصح بالالف والهاء وصل على النبي
كلما ذكرته او ذكره ذاكر في اذان وغيره على ان عدم النقل لا يدل على عدمه ومعارضة
البراءة لا يصح التمسك بها بعد ورود القران والاخبار هذا واسمه تعالى من حيث هو
اسم يتعلق به اهتمام وعناية وقد يعرض له بحسب المقامات عناية اخرى كقصد
الاختصاص مثلا فاذا اجتمعت العنايتان كما في التسمية قدم لانه اولى وان تفرقت
الاولى عن الثانية فان لم يعارضها ما هو اولى بالاعتبار قدم ايضا والا فلا
كما في اقرأ فانه قد عارضها العناية بالقراءة مع رعاية الامتثال الذي هو تقديم الفعل
وهذا ايضا ما نحن بصدد بيانه فانه قد عارضها العناية بالصلوة عليه والرعاية مع
رعاية الاجمال فلا جرم قدم عليه وكذا الكلام في السابق من الفقرات العابرة والمشهور
ان اللهم اصله يا الله حذف منه حرف النداء وعوض عنه الميم المشددة ولذا
لا يجتمعان وهذا من خصائص هذا الاسم كدخول يا عليه مع لام التعريف والدلالة
قيل من ذلك على الطريق اذا اهداه اليه وارشده له وفي الدليل تتعلق بصل وهو
من ابنية الحج يعني كلما تكررت الصلاة من السالك تكرر له من الله والهداية

وانما علق الصلوة على كونه دليلا وما سكا وغيرها مما يتشعب من الدال بذلك
على ان استحقاقه لها انما هو لاتصافه بتلك الاوصاف ولذا ترك التصريح بالاسم
وهو الاعرف والاشهر والوجه فيه ادعاء تعينه وان الوهم لا يذهب من الاوصاف
هذه الاخيرة ثم انه عليه السلم دليل في معنى والنكات ودلالة لفظية لانه ان كان بعث الى
الخلق لتبليغ الحق وتبيين كلامه وتعيين مرامه يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ولما تضمنه معنى
الهادي والداعي عداه بالى والا فهو لا يستعمل بعلى ولكنه تعلق به وفيه
حذف وايصال اي الى معرفتك ورضوانك وقربك وجنابك وفي ليال الحذف
هو العقد واما تعيين المحذوف فلان المقصود الاكمل من بعثه الرسل او فيه تمثيل
يحتمل على قياس ما مر في الفقرة السابقة تعرف من له ادنى مسكة بالبيان
اذا تاملوا والاليل تاكيد على طريقة ظل ظليل وداهية دهياء وشعر شاعر وحقيقته
انهم يشتقون من لفظ الشيء الذي يريدون المبالغة في وصفه ما يتبعونه
تاكيدا وتنبيها على تناهيه في ذلك وفي ذلك انه صلى الله عليه واله قد بعث على فترة
من الر

من الرسل واختلاف من الملك وانقطاع من السبل ودروس من الحكمة
وطموس من اعلام الهدى والبينات فبلغ رسالة ربه وصدع بامره وادى
الحق الذي حمله فهو دليل عليه وسلم يرتقى اليه صلى الله عليه واله قال
صاحب الدعاء وجعلت له الفداء بعث الله محمدا لانجاز عدته وتمام نبوته
ماخوذا على النبيين ميثاقه مشهورة سماته كريما ميلاده واهل الارض
يومئذ ملل متفرقة واهواء منتشرة وطرايق متشتتة بين مشبه لله
بخلقه او ملحد في اسمه او مشير الى غيره فهداهم من الضلالة وانقذهم
بمكانه من الجهالة انتهى واليه يشير قوله جل وعلا هو الذي بعث في الاميين رسولا
منهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل
لفي ضلال مبين وسيأتي كلام ابسط من ذلك ان شاء الله تعالى وفي الكلام
استعارة مصرحة حيث شبه الفترة وما فيها من البدعة والجهالة
والضلالة بالليل لكونه جاعلا صاحبه كمن يمشي في الظلمة فلا يهتدي للطريق
ولا يامن ان ينال مكروها ثم ذكر المشبه به واراد به المشبه وفيه دلالة على ان

هذا الذي كتبت اخا خطر من قبيل ما كانوا من اهل العلم بل كان من بلدة ما كان
فيها احد من العلماء بل كانت اكثر اهلها الغالبة عليهم فاذا اخرج من هذه البلدة
ومن مثل هذه القبيلة انسان من غير ممارسة شيء من العلوم وتلمذ احد من العلماء
ثم بلغ في معرفة ذات الله وصفاته وافعاله واسمائه الى هذا المبلغ الذي
عجز جميع الاذكياء من العقلاء عن التقرب منه بل اقروا واطروا بانه لا يمكن ان
يزداد في تقرير الدلائل على ما ورد في القران ثم ذكر قصص الاولين وتواريخ المتقدمين
بحيث لم يتمكن احد من الاعداء ان يقول بالخطأ في شيء منها او طالع كتابا
او تلمذ استاذا وكانت هذه الاحوال الظاهرة معلومة للاصدقاء
والاعداء فكل من له قلب سليم وطبع مستقيم اذا تامل ادنى تامل يعلم ان
هذه الاحوال لا تيسر الا بالتعاليم الالهية والهدايات الربانية والى ذلك
يشير قوله **واتماسك من اسبابك بحبل الشرف**
الاطول عطف على الدليل وكذا ما ياتي من الجملتين معطوفتان
عليه من باب عطف الصفات بعضها على بعض لا تحاد في تغايرها في المفهوم
دائم

ويوجد في بعض النسخ التمسك يقال مسك به وامسك وتمسك وتمسك
احتبس واعتصم به والمسكة بالضم ما يتمسك به والمسيك كالبخيل وزنا ومعنى
من يمسك ما في يده ولا يعطيه احدا وكلمة من تبعيضية والسبب في الاصل حبل يتوصل به
الى الماء ثم استعير لكل ما يتوصل به الى المطلوب من القدرة والعلم والالة
وغيرها وهذا المعنى هو الذي في بعض الادعية يا سبب الاسباب ومن غير سبب
واتيناه من كل شيء سببا تقطعت بهم الاسباب اي الوصل والمودات
والعرب تشبه النور الممتد بالحبل ومنه ما ورد في صفة القران كتاب الله حبل ممدود
من السماء الى الارض اي نور ممدود يعني نور هداه وفي خبر اخر وهو حبل الله المتين
اي عهده وامانه الذي يؤمن من العذاب والحبل العهد والميثاق والامان وفي
الحبل الاشرف ايضا في المذهب الى الاصل والشرف بفتحتين القدر والقيمة
والرفعة والعلو ومنه الاستشراف وهو ان تضع يدك على حاجبك وتنظر
كالذي يستظل من الشمس يستبين الشيء كانه ينظر اليه من موضع مرتفع
فيكون اكثر لادراكه شرف كرم فهو شريف وشرف تشريفا اعلاه وجعله

من الشرف وهو المكان المشرف ثم استعمل في القدر والمنزلة مجازاً
فقال في الاساس ومن المجاز لفلان شرف وهو علو المنزلة وشرفه الله والمراد
بالطولية انه اشرف من سائر الكتب السماوية واجمع منها علماً وبياناً وهو
معجزة دونها فهو حبل وثيق عروته ومعقل منيع ذروته وفي الكلام استعارة
مصرحة حيث انه استعار له الحبل من حيث ان التمسك سبب للنجاة
عن الردى كما ان التمسك بالحبل سبب للسلامة عن التردي واستعمال الوثوق
والاعتماد على التمسك والاعتصام ترشيح للمجاز فاعتصموا بحبل الله
جميعا ولا تفرقوا اي اذا كان المراد بحبل الله كتابه واما اذا كان
المراد به دينه فشرافته واطوليته ظاهرة لانه صلى الله عليه وآله لما كان
خاتم النبيين كانت شريعته الغراء وملته البيضاء باقية الى يوم الدين
او يقال ان الحبل الاطول كناية عما هو اقوى واحكم في الايصال الى المطلوب
والاول هو المتبادر والمنساق الى الذهن وهو الاكمل قال التاسع
الحسب في ذروة الكاهل الاعبل الناصع الخالص من كل شيء
دا

ومن الالوان احسنها ونصع الامر وضح ولونه اشتد بياضه ويقال
للذي فيه حمرة من الصفرة احمر ناصع والحسب في الاصل الشرف بالآباء
وما يعده الانسان من مفاخرهم وقيل الحسب والكرم يكونان في الرجل وان
لم يكن له آباء لهم شرف والشرف والمجد لا يكونان الا بالآباء ومنه الحديث
حسب الرجل نقاء ثوبيه اي يوقر لذلك حيث هو الذي اليه الثروة والجدة وبالجملة
الحسب عبارة عن شرف الانسان ومكارمه ومناقبه كالشجاعة والسخاوة
وحسن الخلق قال رسول الله صلى الله عليه وآله اقرب الحسب الافتخار ان الافتخار يهدم
الحسب ولذا قال سيد البشر صلى الله عليه وآله مع ما عنه في الخبر انا سيد ولد آدم
ولا فخر والذروة بالضم والكسر اعلى السنام البعير وذروة كل شيء اعلاه وفي
الحديث على ذروة كل بعير شيطان والكاهل من البعير مقدم ظهره وهو الذي يكون
فيه المحمل والمذكور في كتب الادب ما بين الكتفين وجمع على كواهل ويقال فلان
كاهل بني فلان اي عمدتهم في الملمات وسندهم في المهمات وفي القاموس
الكاهل كصاحب الحارك او مقدم على الظهر مما يلي العنق وهو الثلث الاعلى وفيه

ستة فقراء وموصل العنق في الصلب والعبل الضخم من كل شيء والعبلاء الحجارة
البيض قال الشاعر كانما لا انتهاء الاعبل فكانما استعير البياض للخلوص
الحجب والذنب والخلوص من الخلق ولما كان الناصع ما صح معنى لم يعلم او تعالى انه
فصل الحجب على تقدم ذكر الحجب الاكتاف في علا دخول اللام كما هو مذهب الفراء
واضافة الذروة للآية والاعبل صفة الكاهل والمعنى صلى الله عليه وسلم
وخلصت مفاخره الجسمانية والروحانية من شائبة نقص وقدح حال كونها
ثابتة في المجد واشرف موضع وحفظ مكان لا يمكن ان تصل اليه طاقة
فتشبيه المجد وهو من المعاني المعقولة بالاجسام المحسوسة تشبيه معقول بمحسوس مبالغة
في وضوحه وظهوره وعدم خفائه كانه محسوس مشاهد وكذا في اسناد الخلوص والوضوح
اليه وكونه في ذروة الكاهل ترشيح في وصفه بالعبل جدة تأكيد ومبالغة في وضوحه وعدم
امكان انكاره والقدح فيه كيف وله باب ودأبي صلى الله عليه وسلم مفاخر عزيزة
ومآثر كثيرة لا يحيط بها حد ولا يحصيها عد فان البحر لا ينزف ومن اعز الغيب لا يعرف
منها تسبيح الحصى وحنين الجذع واشباع الخلق الكثير من الطعام اليسير وانشقاق القمر

ونبوع

ونبوع الماء من بين اصابعه وشكاية الناقة وشهادة الشاة المشوية وتكلم
الضب وظل الغمام ورؤيته من خلفه وسماع الصوت نائما وتكلم بكل
لسان وتكلم بالشيء الطيور والوحوش وكل ما يدب على الارض وما كان من حال
بدء جبل وصخرة حين اراد ان يضرب على رأسه وما كان من شاة ام معبد
حين مسح على ضرعها وانه ما كان للدنيا في قلبه وقع اصلا وكان مع اهلها
في غاية الرفق ومع الفقراء واهل المسكنة والدين في غاية التواضع وكان
في اعلى مراتب الفصاحة والبلاغة حتى قال اوتيت جوامع الكلم ولم يسمع
لا في مهمات الدين ولا في مهمات الدنيا كذب قط ولم يقدم على قبيح قط ولم
يفر من عدوه قط وكان في اعلى درجات الشجاعة حتى ثبت بلا بسط
كل البسط وقصة فداء حبس لما ارى يوم احد ووداد الشجرتين في قتال
بني قريظة لما اراد قضاء الحاجة وضمان الظبية من صيادها وشفاء
رمد ابن عمه صلوات الله عليه وآله يوم خيبر بريقه الى غير ذلك من
مفاخره ومآثره الغير المحصورة مشهورة وفي كتب السير والاخبار مسطورة

ويمكن ان يكون قوله صلوات الله عليه في ذروة الكاهل الاعلى اشارة الى انه صلى الله عليه وآله
مع انه كان خالص الحسب وواضح النسب كان في ظل حماية عمه ابي طالب وكنف
رعايته وهو الذي تسود القريش بعد ابيه عبد المطلب وربى النبي صلى الله عليه وآله وراعى حق
رعايته وحماه جدا وكف عنه اذى المشركين وشر المنافقين فقد كان كاهل قومه
وعمدتهم في الملمات وسندهم في المهمات ففي الكافي في رواية صحيحة عندي وحسنة على المشهور
بابراهيم بن هاشم القمي عن ابن عمير عن هشام بن الحكم عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام
سلا ناقة فملؤوا ثيابه بها فدخله من ذلك ما شاء الله فذهب الى ابي طالب فقال له
يا عم كيف ترى حسبي فيكم فقال له وما ذاك يا ابن اخي فاخبره الخبر فدعا ابو طالب
حمزة واخذ السيف وقال لحمزة خذ السلا ثم توجه الى القوم والنبي معه
فاتى قريشا وهم حول الكعبة فلما رأوه عرفوا الشر في وجهه ثم قال لحمزة
امر السلا على سبالهم ففعل ذلك حتى اتى على آخرهم ثم التفت ابو طالب الى النبي
فقال يا ابن اخي هذا حسبك فينا وفيه عنه عليه السلام قال لما ولد النبي صلى الله عليه وآله
مكث اياما ليس له لبن فالقاه ابو طالب على ثدي نفسه فانزل الله فيه لبنا فرضع منه
اياما

اياما حتى وقع ابو طالب على حليمة السعدية فدفعه اليها وفيه عنه قال لما توفي
ابو طالب نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا محمد صلى الله عليه وآله
اخرج من مكة فليس لك بها ناصر وثارت قريش بالنبي صلى الله عليه وآله فخرج
هاربا حتى جاء الى جبل بمكة يقال له الحجون فصار اليه والاخبار والقصة في ذلك
من طرق العامة والخاصة اكثر من ان تحصى روى الثعلبي في سورة الانعام في تفسير
قوله تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه باسناده قال قال تعالى نزلت في
ابي طالب واسمه عبد مناف وذلك ان النبي صلى الله عليه وآله كان عند ابي طالب
يدعوه الى الاسلام فاجتمعت قريش الى ابي طالب يريدون سوءا بالنبي
فقال ابو طالب: والله لن يصلوا اليك بجمعهم: حتى اوسد في التراب
دفينا: فاصدع بامرك ما عليك غضاضة: وابشر وقر بذاك منك عيونا: ودعوتني
وزعمت انك ناصحي: ولقد صدقت وكنت قبل امينا: وعرضت دينا
لا محالة انه: من خير اديان البرية دينا: ولا ذلك اشار عليه السلام بقوله
والنصع الحسب في ذروة الكاهل الاعلى والثابت القدم على

زحاليفها في الزمن الاول اثبات القرار وعدم العثرة
في العاثور والقدم معروفة وهي الرجل كما في القاموس مؤنث سماعي والالف
واللام فيها عوض عن المضاف اليه اي قدمه وحمل كلمة على على معنى مع يعطي
لا يعطيه حملها على معنى ما يعرف في القدر اذا تأمله والزحاليف كالاكاليب والزحلوقة
موضع تنزل فيه الاقدام ولا تكاد تثبت بوجه وفي القاموس الزحلوفة
مكان منحدر املس وفي مجمع البحرين الزحاليف جمع زحلوفة وهي المكان
المنحدر الاملس وفيه وصفه صلى الله عليه وآله وكذا اثبات القدم على زحاليفها
في الزمن الاول اي قبل النبوة الضمير للدنيا وان لم يجر لها ذكر للعلم بها
والكلام استعارة شبهها والاثبات لايته والزمن لفظ مفرد مقصور من الزمان
كعم وعلم وفي الزمن الاول يتعلق باثبات والمعنى صلى الله عليه وآله كان
قدمه ثابتة مع وجود زحاليفها في الزمن الاول فان حملت القدم على ما هو
المعروف منها وهو الرجل فالمراد بالزمن الاول صدر الاسلام قبل ظهوره
كيوم احد ويوم الاحزاب فانه صلى الله عليه وآله كان قوي القلب فارسا كمستة
لشي ما

شي ما في الحروب محاميا واقفا باذنه وهو وحده لم يفر من احد من اعدائه قط لا قبل
النبوة ولا بعدها وان عظمت البلية وشدة المحنة الا فيما كان فيه مأمورا
من الله بالهرب والفرار الصرف مما لمصلحة كهربه من قريش في ليلة الغار وعلى هذا
فثبات قدمه كناية عن شجاعته من باب ذكر الملزوم وارادة اللازم فان
ثبات القدم في المخاطر والمهالك ادل دليل واقوى امارة على الجرأة والشجاعة
وقوة القلب والجسارة فهو كقولك زيد طويل النجاد او كثير الرماد
تريد به طول قامته وغاية جوده وسخاوته وكثرة طبخه وضيافته وان حملتها
على قدم الذهن وثبات الفكر فهو من قبيل الاستعارة بالكناية والتخييل والترشيح
فيحتمل ان يكون المراد بالزمن الاول قبل بعثته فان هذا الزمان كان زمان
فترة وجاهلية والناس فيه كانوا عابدي الاصنام فهم عاكفين عليها جاهدين لها
وهو صلى الله عليه وآله وسلم كان عارفا بالله وبصفاته العليا واسمائه الحسنى ولم يسجد
لصنم اصلا كما قال انتهت الدعوة الي والى علي لم يسجد احدنا لصنم قط فاتخذني
نبيا واتخذ عليا وليا هكذا رواه ابن المغازلي الشافعي في تفسير كريمة

لا ينال جمهور الطالبين تفصيل هذه البحار ان الخلق عند مقدمة مبعثه صلى الله عليه وآله
كانوا اثنين من عنده رسم الشرائع وغيرهم اما اليهود والنصارى والمجوس وكانت
اديانهم مضمحلات في ايديهم وانما بقوا متشبثين باهل الملك وقد كان الغالب عليهم
دين التشبيه ومذهب التجسيم كما حكى القرآن الكريم عنهم وقالت اليهود والنصارى
نحن ابناء الله واحباؤه وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله
والمجوس اثبتوا اصلين مستندا الى احدهما الخير والى الثاني الشر وسموهما النور
والظلمة وبالفارسية يزدان واهرمن وزعموا انه جرت بينهما محاربة ثم ان الملائكة
توسطت وصلحت بينهما على ان يكون العالم السفلي خالصا للاهرمن الذي هو الظلمة
سبعة آلاف سنة ثم يخلي العالم ويسلمه الى يزدان الذي هو النور الى غير ذلك
من هذيانهم وخبطهم واما غيرهم من اهل الاهواء المنتشرة والطرائق المتشتتة
فمنهم العرب اهل مكة وغيرهم وقد كان منهم معطلة ومنهم محصلة نوع تحصيل
اما المعطلة فصنف منهم انكروا الخالق والبعث والاعادة وقالوا بالطبع المحيي والدهر
المفني وهم الذين حكى القرآن عنهم وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا نموت
ونحيى

ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وقصروا الموت والحياة على تحلل الطبائع المحسوسة وتركبها
فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا
يظنون وصنف منهم اقروا بالخالق وابتداء الخلق عنه وانكروا البعث والاعادة
وهم المحكي عنهم في القرآن الكريم وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام
وهي رميم وصنف منهم اعترفوا بالخالق ونوع من الاعادة ولكنهم عبدوا الاصنام
وزعموا انها شفعاؤهم عند الله ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم و
يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ومن هؤلاء قبيلة ثقيف وهم اصحاب
اللات ومسكنها بالطائف وقريش وبنو كنانة وغيرهم اصحاب العزى
ومنهم من كان يجعل الاصنام على صور الملائكة ويتوجه بها الى الملائكة ومنهم من
كان يعبد الملائكة واما المحصلة فهذا كان نوع الجاهلية على ثلثة انواع من العلوم
احدها علم الانساب والتواريخ والاديان الثاني علم تعبير الرؤيا الثالث
علم الانواء وذلك مما يتولاه الكهنة والقيافة منهم وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
من قال مطرنا بنوء كذا فقد كفر بما انزل على محمد ومن غير العرب البراهمة من
اهل الهند ومدار مقالتهم على التحسين والتقبيح العقليين والرجوع في كل الاحكام

الا العقل وانكار الشرايع واثباتهم الا رجل منهم تعالى لبراهام ومنهم اصحاب
البددة والبددة عندهم شخص في هذا العالم لا يولد ولا ينكح ولا يطعم ولا يشرب
ولا يهرم ولا يموت ومنهم اصحاب الفكرة وهم اهل العلم منهم بالفلك والاحكام
النجوم ومنهم اصحاب الروحانيات الذين اثبتوا وسايط روحانية ياتيهم
بالرسالة من عند الله في صورة البشر من غير كتاب فيامرهم وينهيهم ومنهم
عبدة الكواكب ومنهم عبدة الشمس ومنهم عبدة القمر وهؤلاء يرجعون بالاخرة
الى عبادة الاصنام اذ لا يستقيم لهم طريقة الا بشخص حاضر ينظرون اليه ويرجعون
في مهماتهم اليه فلهذا كان اصحاب الروحانيات والكواكب يتخذون
اصناما على صورها فكان للاصل في وضع الاصنام ذلك اذ يبعد من ذي
ادنى فطنة ان يعمل خشبا او حجرة بيده ثم يتخذه الها الا ان الخلق لما
عكفوا عليها وربطوا حوائجهم بها من غير اذن شرعي وبرهان من الله
كان عكوفهم عليها وحاجاتهم لها اثباتا لالهيتها ووراء ذلك من اصناف
الآراء الباطلة والمذاهب العاطلة المزلة للاقدام اكثر من ان يحصيها
لسان الاقلام او يعلمها الا الله العلام واليه الاشارة بقوله عليه السلام

والثابت

والثابت القدم على زحاليفها في الزمن الاول ويمكن ان يكون المراد بهذا
الزمان بدو فطرته واول زمان خلقته صلى الله عليه واله فانه اول من اقر بربوبيته
تعالى ووحدانيته على ما دلت عليه اخبار جمة صحيحة منها ما روي عن ابي عبد الله
عليه السلام ان بعض قريش قال لرسول الله صلى الله عليه واله باي شيء سبقت الانبياء
وانت بعثت اخرهم فقال اني كنت اول من آمن بربي واول من
اجاب حيث اخذ الله ميثاق النبيين واشهدهم على انفسهم الست بربكم
فكنت اول نبي قال بلى فسبقتهم بالاقرار بالله عز وجل وتحميل لئن يكون
اشارة الى عصمته وطهارته صلى الله عليه واله وعدم خطائه في امر الدين والدنيا
من حين صباه الى لحده والائمة بمقاصد اوليائه فان كلامهم صعب مستصعب ووجوه
ومخارج لا يعقلها الا العالمون وعلى آله الاخيار المصطفين
الابرار آل الرجل اهله وعياله والمراد هنا اهل بيته واله عند الامامية عترته
الطاهرين من اهل العصمة عليهم السلام ولا وجه لتخصيص الشهيد الثاني قدس سره
في شرحه على اللمعة باصحاب الكساء وهم علي وفاطمة وابناهما الحسن والحسين عليهما السلام
ثم قال ويطلق تغليبا على باقي الائمة عليهم السلام اقول بل على غيرهم ايضا كما ورد

عليه صلى الله عليه وآله ان كل تقي ونقي آلي لان الآل من يؤول اليه اما مآلا صوريا جسمانيا
كالولد ومن يحذو حذوه هم من اقاربه الصوري من الذين تحرم عليه الصدقة في
شريعته او مآلا معنويا روحانيا كالولد الروحاني من العلماء الراسخين
والاولياء الكاملين والحكماء المتألهين المقتبسين من مشكوة انواره بسقوه
بلا زمان او نحوه ولا شك ان النسبة الثانية آكد من الاولى واذا اجتمعت
النسبتان كان كالائمة المشهورين من عترته الطاهرة عليهم صلوات الله الزاكية الى ان
كان نورا على نور وكما حرم على اولاده الصورية الصدقة الصورية حرم على اولاده المعنوية
الصدقة المعنوية وهي تقليد الغير في العلوم والمعارف وفي نهج البلاغة هم معدن
القصص سلام الله عليه ان اولى الناس بالانبياء اعلمهم بما جاؤوا به ثم تلا ان اولى
الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا والله ولي المؤمنين
ثم قال صلوات الله عليه وآله ان ولي محمد من اطاع الله وان بعدت لحمته وان
عدو محمد من عصى الله وان قربت قرابته ومعنى في الآل اختلافات فقيل الآل
اسرته وقيل عشيرته وقيل من حرم عليه الزكوة من بني هاشم وعبد المطلب وفي هذا الكلام
دلالة ظاهرة على ان الخبر المشهور من فصل بيني وبين الانبياء بعلى لم تنله شفاعتي
ولم نجده

ولم نجده في اصل معتمد ولا في كتاب معتبر ومنهم من قرء المكتوب بصورة على الله
اسمه وجعل الباء على السببية واراد ان من فصل بيني وبين الانبياء بسبب عداوة
وخصومة لعلي عليه السلام فلم ينل شفاعتي والظاهر انه على تقدير ثبوته لا بد من حمله
على هذا اذ من المستبعد جدا ان يكون المجرد ايكال كلمة على بينه وبين الانبياء محروما
من شفاعته كيف والمحروم هو الكافر ويؤيده ما في رواية اخرى من فرق بيني
وبين الانبياء فرق الله بيني وبينه يوم القيمة وفيها ايماء لطيف على انه
عليه السلام من اكمل افراد آله واشرفهم حيث صار منهم بمنزلة راسهم
من جسدهم ويحتمل ان يكون هذا اشارة الى قوله صلى الله عليه وآله علي مني
بمنزلة راسي من جسدي على ان الادعية المنقولة عنهم وخصوصا السجادية منها
ولا سيما المنقول عنه عليه السلام من ملحقات الصحيفة الكاملة من ادعية ايام الاسبوع
مشحونة بما عاداه اعني فصل الفصل بينه وبين الانبياء بكلمة على وهو المطابق
لقواعد اهل الادب قال فخر المحققين ولد العلامة طاب ثراهما في جواب
من سأله عن جماعة من اصحابنا ومنهم من ينتسب الى اهل العلم اذا ذكر بحضورهم
سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله يصلى عليه ينكرون ذلك غاية الانكار ويقولون

لا يفصل بين النبي وآله بعلي مع أن النحاة ذكروا أن العطف على المخفوض
بغير اعادة الخافض على انه ورد من الادعية عنهم عليهم السلم صلى الله على محمد وعلى آل ضعيف
انتهى وقال الفاضل الاردبيلي في آيات احكامه ان العامة انما يذكرون
كلمة على بعد قوله صلى الله عليه وآله عنادا وتعصبا لان تركها شعار الرافضة فذكر
خبرا في تركها انتهى وفيه دلالة على ان الشيعة يتفطنون من تركها ويلازمونه بحيث
صار ذلك بمنزلة شعارهم وهذا انهم كذب محض وافتراء عليهم وهم براء منه
قال صدر الدين محمد المشهور بسيد على المدني واما ما زعمه بعضهم ان الشيعة
تلزم عدم اعادة الخافض فيما هو على في مثل هذه العبارة بحديث تأثرونه وهو
من فصل بيني وبين آلي بعلى فقد جفاني فزعم محض لا يمين له ولا اثر اذ لا تعرف
الشيعة هذا الخبر ولم ترد به رواية من طرقهم ولم يذكروه لا مسندا ولا منقطعا في شيء
من كتبهم كيف والادعية المأثورة عن اهل البيت عليهم السلم مشحونة باعادة الخافض
في مثل ذلك انتهى وقد فصلنا القول فيه في تعليقاتنا فليطلب من هناك
تنبيه واذ ثبت جواز الفصل بينه وبين آله صلى الله عليه وآله باعادة الخافض
وهو على في غير صورة العطف على الضمير المخفوض من دون اعادة الخافض فاعلم

اجازة

اجازة فيه نعم ذهب الكوفيون ويونس والاخفش الى عدم وجوب اعادة الخافض في ذلك واختاره
الشلوبين وصححه ابن مالك وابو حيان وجرى عليه ابن هشام في شرح الشذور والتوضيح
لثبوت ذلك في فصيح الكلام كقراءة حمزة واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام بخفض
الارحام عطفا على الضمير المخفوض بالباء وحكاية قطرب ما فيها غيره وفرسه بخفض الفرس
عطفا على الهاء المخفوضة بالاضافة والى ذلك اشار ابن مالك بقوله في الخلاصة وعود
خافض لدى عطف على ضمير خفض لازما قد جعلا وليس عندي لازما اذ قد اتى في النثر

باضافة غير اليها وقول الشاعر فاذهب فما بك والايام من عجب بخفض الايام عطفا على الكاف المخفوضة ح م

والنظم الصحيح مثبتا والاخيار جمع خير بالتشديد كالكيس والاكياس او جمع خير بالتخفيف
كعين واعيان وهما بمعنى واحد اي كثير الخير وقيل المخفف في الجمال والميسم والمشدد في
الدين والصلاح والاول هو الاشهر قال الجوهري رجل خير وخير مشددا ومخففا
انتهى والخير قيل هو شيء من كمال القلب نور انه زايد على الايمان وغيره من الصفات
المرضية ويدل على ذلك ما في حديث الشفاعة يخرج من النار من قال لا اله الا الله
وكان في قلبه وزن مثقال ذرة من خير وقيل هو الوجود ويطلق على غيره
بالعرض وهو اي الخير مطلق كوجود العقل لانه خير محض لا يشوبه شر ونقص

ولا خير متعدٍ كحبّ كل من الصفات المرضية وقيل هو ما يشتاق كل احد بلا
تمنوتر وهو المختار من اجل نفسه والمختار غيره لاجله فان لكل مطلب حقيقة الخير
والكان قد يعتقد في الشر انه خير فيختاره فقصده الخير وضالّه الشر وهو المحوي
من اجل نفسه والمحوي غيره من اجله والحق ان الخير كلما مندرج تحته جميع الاعمال كما
يدل عليه قول امير المؤمنين صلوات الله عليه افعلوا الخير ولا تحقروا منه شيئا فان
صغيره كبير وقليله كثير ويؤيده ما في بعض الاخبار يخرج من جهنم قوم لم يعملوا خيرا قط
وهؤلاء الذين ليس معهم الا الايمان انتهى ويقابله الشر فيكون كلما يندرج تحته
جميع الاعمال السيئة والمصطفين جمع المختار اسم مفعول من اصطفى قلبت المصطفى م
التاء الفا وحذفت يعني انك تختارهم للامامة والخلافة واذهبت عنهم
الرجس وطهرتهم تطهيرا فكانوا خير امة اخرجت للناس يامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر والابرار جمع بر كارباب وجمع بار كاصحاب والبر
هو المعطوف المحسن وقد يكون بمعنى الصادق ومنه برّت يمين فلان
اذا صدقت وصدق فهو وبرّ قال برّ الحج يبرّ برّا بالكسر ثم يعيم فهو بار
بالفتح

بالفتح وبار وهو خلاف الفاجر وقيل هو الكثير البر اي الخير والاتساع
في الاحسان قال الطبرسي هو الذي بر الله بطاعته اياه حتى ارضاه وهم عليهم السلام
ابكور بجمع هذه الصفات فانهم من اصدق الناس لهجة واعطفهم عليهم لطفا واحسانا
والخير منهم معروف وهم بالاحسان موصوف وقد بروا الله بطاعتهم اياه حتى
ارضوه ولما قدم الوسيلة على طلب الحاجة تقريبا للمرام الى مقام المسألة قال

افتح اللهم لنا مصاريع الصباح بمفاتيح الرحمة والفلاح

عطف على صل اللهم وفي بعض النسخ لي وهو الانسب بالفقرة الاتية
الا ان التعميم في الدعاء اقرب الى الاجابة من التخصيص اذا دعا احدكم
فليعم لانه اوجب للدعاء ثم لما كان من شرائط الاجابة تسمية الحاجة
ان الله تبارك وتعالى يعلم ما يريد العبد لكنه يحب ان يبث اليه الحوائج
وكان هذا الدعاء موضوعا للاستفتاح في الصباح صرّح بذلك
اشارة الى ذلك والفتح ازالة الاغلاق والمصراعان من الابواب
والشعر ما كانت قافيتان في بيت وبابان منصوبان ينضمان

جميع مدخلهما في الوسط منها والمفتاح آلة الفتح وهي ما يفتح به المغالق
والمفتح مثله وكأنه مقصور من الاول وجمع الاول مفاتيح والثاني
مفاتح بغير ياء ثم استعير لما يتوصل به الى الامر ومنه قوله تعالى وعنده
مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو قال الراغب يعني ما يتوصل به الى غيبه المذكور
في قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا والباء فيهما للآلية كما في ضربت
بالسوط وكتبت بالقلم والفلاح البقاء والفوز والظفر وهو من افلح
كالنجاح من انجح وهذا التركيب وما شاركه في الفاء والعين نحو فلق
وفلذ وفلى يدل على الشق والفتح وفي الكلام استعارة بالكناية وتخييلية
وترشيحية حيث شبه اجزاء الصباح لكونها ظرفا بالمنزل او الدار المقفول
بجامع عدم العلم بما فيه من الحوادث الاستقبالية وطوى ذكر المشبه به
مصرحا بالمشبه واثبت له المصابيح والمفاتيح ثم ذكر الفتح ترشيحا
للاستعارة وهو استعارة تبعية والاضافة في الموضعين لامية او في
الاول لامية وفي الثاني بتقدير من كما في خاتم فضة او بيانية ولا يخفى
لطافة

لطافة تشبيه الرحمة والفلاح بالمفتاح فيكون من اضافة المشبه به الى المشبه
ولعل المراد بمصابيحه طلوع قوس النهار قطعة قطعة اعني القطع
الجزئية للنهار تدريجا ويمكن ان يقال لما كانت الآفاق المائلة
تختلف قطعها باختلاف عروض البلدان ولذا تختلف الليالي فيها صار
لكل افق منها صباح وله مصابيح جمعها بقوله مصابيح ويمكن اعتبارها
بالنسبة الى الآفاق الاستوائية لكن بالاضافة الى الاشخاص
لا بالنسبة الى الانواع ولما كانت الهداية والصلاح مقولين
بالتشكيك طلب اكمل افرادهما وافضل اصنافهما فقال وألبسني
اللهم من افضل خلع الهداية والصلاح البسه الثوب فلبسه وهذا الفعل
وما شاكله من الافعال التي لا يتعلق معناها الحقيقي بالهداية والصلاح
من باب الاستعارة التمثيلية او شبه ما يغشى الانسان عند كونه مهتديا
صالحا من الفيوضات الربانية والكرامات الرحمانية باللباس
لاشتماله على اللابس ثم استعير له اللباس فالاستعارة حينئذ اطلق
اسم المشبه به على المشبه ويحتمل ان يكون تبعية واضافة الخلعة

الا الهداية خاصة للجن الى الماء او بيانية او يقال تشبيه الهداية والصلاح
باللباس كنيتان واثبات الالباس والاخلاع لهما ترشيحان
وهم كثيرا ما يشبهون صلاح الرجال شعاره وتقواه بدثاره واما
هنا فجعل الهداية بمنزلة الدثار وانما سمي اللباس المخصوص بالخلعة
لانه يخلع البدن اي نزع ليصان ويحفظ وفيه ايماء الى ان الصالح
والمهتدي مكرمان عنده تعالى ومعظمان اذ الملك لا يخلع من عبده
الا من اهل اكرامه وعطائه اما تفضلا او لكونه مستحق له لذلك
والهداية الدلالة على ما يوصل او الدلالة الموصلة ولعل الاول اولى
ومعنى تقديره فالمراد بها هنا الاستدامة لان باب ثمرتها المستعد
منزلة اللازم كما اشير اليه بقرينة عطف الصلاح اللازم عليه او يكون
من يدري بعض الاستدامة الى كل حق وصواب والقول له والعمل به
وعدم الرجوع عنه الا باطل وخطاء قال الراغب الاستدامة تحقيق ما
يتحراه الانسان من الهدى على طريق الاختيار اما في الامور الدنيوية والاخروية
قال تعالى هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها وقال ذلك لطلب الهداية

قال المحشي يعني والاهتداء
بمعنى والمراد بالاستداد
الاهتداء صح صح

نحو قوله تعالى قد ضللت اذا وما انا من المهتدين وللتحري الهدى نحو واذ آتينا
موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون ويقال المهتدي لمن يقتدي بعالم
نحو ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون تنبيها على انهم
لا يعلمون بانفسهم ولا يقتدون بعالم وقوله تعالى فمن اهتدى فانما يهتدي
لنفسه يتناول وجوه الاهتداء من طلب الهداية ومن الاقتداء وتحريها
وقوله واني لغفار لمن تاب وعمل صالحا ثم اهتدى معناه ادام طلب الهداية
ولم يعتر عن تحريها ولم يرجع الى المعصية وقوله اولئك عليهم صلوات
من ربهم ورحمة اولئك هم المهتدون اي الذين تحروا الهداية وقبلوها
وعملوا بها انتهى والصلاح ضد الفساد وهو خروج الشيء عن الاعتدال
اللائق به فالصلاح حصول الشيء على الحالة المستقيمة النافعة وكلاهما
يعني انهما ضرر ونافع ولعل المراد به هنا الدوام والثبات قال الجزري
في اسماء الله تعالى ونهي لكن صلاح العباد والصالح قيل هو ان لا كان
كان فسادا وقيل هو المقيم بما يلزمه من حقوق الله وحقوق الناس وكذا
قال الزجاج في معاني القران الصالح هو الذي يؤدي ما افترض الله عليه

ويؤدى الى الناس حقوقهم ولما كانت للهداية انواع مترتبة من افاضة القوى
ونصب الدلائل الفارقة وارسال الرسل وانزال الكتب وكشف السرائر
على القلوب واراءة الاشياء كما هى اما بالوحى والالهام طلب ان تكون الطلعة
التى هى الهداية من فضل الخلع فى هذا النوع لان استعمال فعل مضاف
مشروطا بان موصوفه بعضها مما اضيف اليه داخلا فيه بحسب مفهوم اللفظ و
انكان خارجا بحسب الارادة لان المقصود من استعماله هذا التفضيل
موصوفه حيث ركبه فى هذا المفهوم العام وبالجملة المراد بالهداية اما استدامة
او هداية الرسل او هداية لغيره فيكون المراد بافضلها على الاول الثبات
عليها والرسوخ فيها وعلى المعنيين الاخيرين الايصال الى المطلوب اذ كان الاصح انها
عبارة عن الدلالة على ما من شانه الايصال الى البغية من غير ان يشترط فى
مدلولها الوصول ولذلك كانت الدلالة التكوينية المنصوبة فى الافاق
والانفس والبينات الواردة فى الكتب السماوية على الاطلاق بالنسبة
الى البرية كافة برها وفاجرها هدايات حقيقية فائضة من الله وتحقيق
ان يكون بافضلها هنا الهداية الخاصة وهى كشف الاسرار على المهدى
الى

بالوحى والالهام وهى مرتبة صاحب الدعاء ومن هو فى رتبته وكذا الكلام فى
الصلاح المذكور فى هذا المقام فلا يكون الصلاح اول البداية ولا اول
يوسف عليه السلام توفنى مسلما والحقنى بالصالحين فقد قالوا انه اراد
بالصالحين الصالحين من آبائه فقط وان الالحاق بالصالحين فوجهه ان
اجتماع النفوس البشرية بالانوار الالهية له اثر عظيم وفوائد جمة كالمرايا المستنيرة
المتقابلة التى تنعكس اضواؤها وتتضاعف انوارها الى حيث لا يطيقها العيون
الضعيفة وكلما كانت اكثر كان الاشراق اظهر فلا يرد عليه نظر بما تقرر فى محله
ولا يذهب عليك انه قد اجاب دعوته حيث جعله من صالح المؤمنين
كما اخبر عنه بقوله عز اسمه وان تظاهرا عليه فان الله مولاه وجبريل وصالح المؤمنين
للاتفاق على ان المعنى فى الاية سيدنا امير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى
ابنائه المعصومين ولما كان الخشوع من احسن صفات الصالحين واشرف
سمات المتهجدين وكان من اسباب اجابة الدعاء ادعوا ربكم تضرعا
وخفية يا موسى كن اذا دعوتنى خائفا مشفقا وجلا وعفر وجهك
فى التراب واسجد لى بمكارم بدنك واقنت بين يدى فى القيام وناجنى

حيث يتجنّى يخشيه من قلب وجانب التهمة منه لا اشهال **وَاغْرِسِ اللّهُمَّ**
لِعَظَمَتِكَ فِي شِرْبِ جَنَانِي يَنَابِيعَ الْخُشُوعِ غرس الشجر يغرسه
غرسًا اثبته في الارض كاغرسه كذا في القاموس والعظم في صفات
الجسم كبر الطول والعرض والعمق والله تعالى جلّ قدره عن ذلك وهو الذي جاوز
قدره وجلّ عن حدود العقول حتى لا يتصور الاحاطة بكنهه وحقيقته فعظمته جلاله وعظمه
وقدره فهو منصرف الى عظم الشأن وجلالة القدر وقيل ان عظمته تعالى صفة
اضافية ثابتة له تعالى بالقياس الى ضعف العبد وقصوره وانانيته لغيره عزّ وجلّ
والا فليس لما سواه في جنب وجهه تعالى وجود حتى يتصف بالعظمة بالقياس اليه
لكن الانسان يتصور لضعفه بقوته الوهمية وجودا استقلاليا وبواسطة وجه الموهوم
يثبت للعالم وانفسهم وجودا استقلاليا يعين اليها وجه الحق فيتصف بالعظمة ثم بقدر ما
يظهر قصور وجهه وضعفه وقصور وجهات الانانية وضعفها يزيد في
نظره عظمة الحق ولهذا قيل ان ظهور الانسان سبب خفاء الحق في هذا العالم
فبقدر انكساره يظهر وجه الحق وعظمته وكبريائه والشرب بالضم والكسر
وبالكسر الماء والحظ منه وفي التنزيل لها شرب ولكم شرب يوم معلوم
والمراد

والمراد به هنا العرق الذي به تعمير القلب وحياته وشبهه بالمعدن لذلك وهو
ظرف للغرس والاضافة لامية والجنان بالكسر المهجة وبالفتح القلب وهو
المراد هنا سمي به لاجتنانه واستتاره ونبع الماء نبعا ونبوعا خرج من
العين والينبوع العين او الجدول الكثير الماء وينابيع الخشوع
مفعول غرس والاضافة بيانية او لامية او من قبيل اضافة اللجين
الى الماء والخشوع التذلل والخوف والخضوع وعن النبي صلى الله عليه وآله
انه رأى رجلا يعبث بلحيته في صلوته فقال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه
وفي الصحاح خشع ببصره غضه ولعله شبه جنانه بالجنان فاثبت
له الغرس ثم الاسقاء وانما قال الينابيع الا انه جعلها متعلقات
الغرس توسعا او ضمنا الاغراس معنى الانباع او الابداع
اي اغرس منبعا او مودعا في شرب جناني او كان في الاصل
شجرات الخشوع بقرينة ذرفات الدموع وفي بعض النسخ
اغزر اللهم وهو من الغزارة بمعنى الكثرة يقال اغزر القوم اذا كثرت
البان مواشيهم وهو قريب الا انه يناسبه التعليل بالعظمة وقد بلغنا

فدل على ان الخشوع كما يكون بالقلب يكون بالجوارح ٢
[illegible]

ان في نسخة كان يخطبه عليه السلام كان فيها غرس والكلام انما هو فيها اذا
الغرس ليس من ملايمات الينبوع وانما الملائم لها الغزارة والنبع وما
شاكل ذلك ومن الناس من يقول ان غرس محمول على التضمين بمعنى
الاخراج بقرينة ينابيع فانها ليست من متعلقات الغرس ولا يصح ان يكون
من معلولاته فاستعماله مع الينابيع يوجب التضمين اي اغرس مخرجا وتعقبه
بعضهم بان استعمال الغرس على اصله ومعناه الذي هو غرس الشجر مطلقا في هذا
المعنى بعيد جدا غير مانوس على ان التضمين بهذا المعنى غير مصرح ويمكن ان يقال انه
محمول على التجريد فان الغرس اخراج التراب من الارض وادخال الشجر
فيها فلو جرد عن الثاني واستعمل في الاول كان المعنى مستقيما وانما لم يقل اخرج
مكان غرس لكون الترشيح ابلغ بيانه ان في ينابيع الخشوع استعارة
مكنية وهي انه شبه الينابيع باشجار رطبة خضر فاستعير لها الينابيع واثبت
لها الاغراس الملايم للاشجار المشبه بها فهي تخييلية وترشيحه نظيره فاذاقها
الله لباس الجوع والخوف حيث لم يقل فكساها لان الترشيح ابلغ قال صاحب
الكشاف في لباس الجوع والخوف استعارة تصريحية وهي انه شبه ما غشي

الانسان

الانسان عند الجوع والخوف من بعض الحوادث باللباس لاشتماله
على اللابس ثم استعير له اللباس وهي مكنية وهي انه شبه ما يدرك من اثر الضرر
والالم بما يدرك من طعم المر والبشع حتى اوقع عليه الاذاقة بمنزلة التخييلية
فيكون تخييلية ولا يخفى بعد هذه التوجيهات والتاويلات من التكلف
والاظهر ان النسخة كانت في الاصل ينابيع الخشوع بتقديم النون على
الموحدة من النبع وهو شجر يتخذ منه القسي قال ابن الاثير في النهاية
قيل كان شجرا يطول ويعلو فدعا عليه النبي صلى الله عليه وآله فقال لا اطالك الله
من عود فلم يطل وفي القاموس النبع شجر للقسي والسهام ينبت في قلة
الجبل وقولهم لو اقتدح بالنبع لاورى مثل في جودة الراي لانه لا نار فيه وعليه فلا
اشكال مع مناسبة التعليل فانه عليه السلام لما اراد ان يطلب خشوعا كاملا
كثير الافراد بالغا طولا عاليا على القلب وعلى جميع الجوارح والاعضاء ليكون
التوجه والاقبال على الله تعالى والخوف منه والاعراض عما سواه دائما مستمرا
بحيث لا يشغله شان عن ذلك الشان توسط صفة العظمة لتجعلها وسيلة للطلب بما هو
عظيم وهو الخشوع المشبه بالنبع في طوله وعلوه وعروقه وكثرته وعدم

واغصانه ثم لما المعنى يبالغ في ذلك ليشعر بجرجده وجده وجهد فيه
جمعه ليكون اوفى بتاديه المرام واول في العرض المسوغ له الكلام والمراد
استدعاء حالة تتمكن معها عظمته تعالى في القلب وعند تغلب الخوف والخشية
في قلبه وليستولي عليه فينتج ذلك خشوعه واقباله على الله تعالى بكليته وذهابه اليه بكليته
وانما خص الجنان بموضوعية الخشوع لانه بمنزلة السلطان والجوارح بمنزلة
العسكر فاذا توجه السلطان الى جانب توجه العسكر اليه فمتى توجه القلب الى
جانب الله تعالى توجه كل جارحة اليه ولذا قال عليه السلام لو خشع قلبه
لخشعت جوارحه واعلم ان كلا من الفرح والحزن قد يوجب الدمع
الا ان ما يحصل من الاول بارد ومن الثاني حار لان الفرح كيفية يتبعها حركة
الروح الى خارج البدن قليلا قليلا طلبا للوصول الى الملذ فاذا تحرك الروح
الى الخارج انفصل اجزاء الشؤون واتصل بعضها ببعض فتخرج الرطوبات
الباردة المجتمعة في الدماغ والحزن كيفية يتبعها حركة الروح الى الداخل
قليلا قليلا هربا من المؤذي فاذا انقبض الروح متراجعا نحو الدماغ
عصر شيئا من الرطوبات الباقية فيه مسخنة بها تبقى والا نهدام الى
اشار

اشار بقوله **واجرِ اللهمّ من اماقي زفراتِ**
الدموع اذا الهيبة وهي السطوة والخوف يقال هابه يهابه
اذا خافه واذا وقره وعظمه يوجب انقباض الروح كما في صورة
الهرب من المؤذي وقيل الهيبة خوف داع للخضوع من استشعار تعظيم ولذلك
يستعمل في كل محتشم قال الشاعر: اهابك اجلالا وما لك قدرة:
علي ولكن ملء عين حبيبها: وقال العارفون الهيبة حالة فوق الخوف مقتضاها
غيبة القلب عن علم ما يجري من احوال الملوك من احوال النفس بما يرد عليه من الحق
اذا عظم الوارد واستولى على سلطان الحقيقة وقالوا وهي لا تمكن الا
في كل قلب منيب اخبار ولا تلم الا بساحة كل مصطلح تواب والموق بهمزة
وغيره طرف العين الذي يلي الانف وفي نهاية ابن الاثير موق العين موخرها
وماقها مقدمها وجمع الموق اماق وهي متعلقة باجر ومن ابتدائية
والزفر النهر الكثير الماء والاضافة بتقدير من او من قبيل اضافة الذهب
الى الاكيال حيث شبه الدموع بالزفرات ثم قدمت عليها واضيفت اليها
والدمع ماء العين من حزن او سرور والجمع الدموع كالمنع والمنوع

والدمعة القطرة منه ولما كان البكاء إلا الكسيحا فرقا وخوفا وصفا محمودا
وفيه دلالة على رقة القلب التي هي دليل الإخلاص وجمود العين من القسوة
المؤذنة بالبعد من الله ما يورث لا تطول في الدنيا فيقسو قلبك وقاسي القلب مني
بعيد وقد ورد أن بين الجنة والنار عقبة لا يجوزها إلا البكاؤون من خشية الله
وما من شيء إلا وله كيل أو وزن إلا الدموع فإن القطرة تطفئ بحارا
من النار فإذا اغرورقت العين بمائها لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة وإذا
فاضت حرمه الله على النار ولو أن باكيا بكى في أمة لرحموا وما من قطرة
أحب إلى الله من قطرة دموع في سواد الليل مخافة من الله ولا يريد بها غيره
ومن ذرفت عيناه من خشية الله كان له بكل قطرة عين من الجنة على
حافتيها من المدائن والقصور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر استدعاه من الله عز وجل وطلبه منه ولما كان الخشوع من أسباب
الدموع ومن جملة عللها فإن من غفل قلبه عن الله كيف يدمع عينه مخافة
منه قدمه عليها وطلبه قبلها يشعر بذلك في ليكون الكلام على طبق نظم
الطبع ونظرا منه فائدة الخشوع الشرعي تشبيه قوله صلوات الله عليه من آماقي

أ

صريح في صحة إطلاق صيغة الجمع على الاثنين حقيقة إذ الأصل في الإطلاق هو الحقيقة
فما نقل عن صاحب الفتوحات ومجدي الكشف والكرامات أنه قال رأيت رسول الله
في بعض الوقائع فسألته عن أقل مراتب الجمع وقلت ذهب فريق إلى أنه
ثلاثة وفريق إلى أنه اثنان فما الحق فقال خطأ هو للكل بل فيه أن بعضها وبعض
الجمع لا جمع الفرد وجمع الزوج فأقل مراتب الأول ثلاثة وأقل مراتب الثاني
اثنان أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين هذا ولما كان
الفقر والفاقة وضيق المعاش يشوش الإنسان فيمنعه عن الخشوع والدموع
بل قد يحدث فيه طيش وخفة في عقله العالية ولذا استعاذ منه عليه وز
بذلك بعض حدود الله ويرتكب محارمه إذا لم يكن قانعا بما يصيبه من
الدنيا وكانت القناعة كنزا من خزائن الله في اسمه استدعاه منها
ليكون حاجزا له يكف به نفسه عن ذلك فقال **وَأَدِّبِ الْهِمَمَ**
نَزْقَ الْحُرْفِ فِتْنِي بِأَزِمَّةِ الْقُنُوعِ أدبه علمه فتأدب
والأدب محركة حسن التناول أدب كحسن أدبا فهو أديب كذا في
القاموس وقيل الأدب رياضة النفس ومحاسن الأخلاق وقال أبو زيد

الانصاري الادب يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الانسان في فضيلة من
الفضائل وفي حواشي ملا عبد الغفور اللاري على شرح الجامي الادب نگاه داشتن
حد هر چيزي ولعله عليه السلام ضمنه معنى الازالة والمنع اي ادب الله مزيلا ومانعا
زفاف الخرق مني وهو الادب بالتمام لان القوى الحيوانية لما كانت مائلة بحسب
حكم الشرع خارجة عن تحت حكم العقل فلا بد لها من مانع يمنعها عن ذلك والقسر على امره
ونهيه وهو تاديب الله ومنعه اياها بازمة الشرع ولذا قال صاحب الحدائق جعل
الغذاء الادب صورة العقل لانه يمنع العاقل عن ارتكابه ما لا يستغرب ارتكابه
وانما رجحنا تضمين المنع على الازالة لان الاول مطابق لما هو الغرض من
الثاني فانهم اختلفوا في الخلق فقيل هو غريزي من جنس الخلقة لا يستطيع
تغييره خيرا كان او شرا كالحال وما هذه الاخلاق الا غرائز فمنهن محمود
ومنها مذموم ولن يستطيع الدهر تغيير خلقه لئيم ولا يستطيعه كريم ويدل عليه
قوله من اتاه الله وجها حسنا وخلقا حسنا فليشكر الله ومحال ان يمكن المخلوق
تغيير خلق الخالق فالتكليف بتهذيب الاخلاق تكليف بما لا يطاق وقيل هو
مكتسب لقوله حسنوا اخلاقكم فلو لم يكن مكتسبا لما امر به وما لا نرى

كثيرا

كثيرا من الناس يزاولون ويمارسون خلقا من الاخلاق حتى يصير ملكة وقيل
الحق ان جملة غريزي وتمامه مكتسب وبيانه ان الله تعالى خلق الاشياء على ضربين احدهما
بالفعل ولا اختيار للعبد فيه عملا كالسماء والارض والنسمة والثاني بالقوة وهو
ما خلقه خلقا ما وجعل فيه قوة النجاح وسهل للانسان سبيلا الى تحصيله بعون الله كالنخل
وان يفسده افساده حتى والخلق من الثاني يجري هذا المجرى في انه لا سبيل الى تغييره
القوة التي هي السجية والغريزة وجعل له سبيلا الى اسلاسها ولهذا قال تعالى وقد
خاب من دسيها ولو لم يكن كذلك لبطلت فائدة المواعظ والوصايا والوعد والوعيد
والامر والنهي ولما جوز العقل ان يقال للعبد لم فعلت ولم تركت وكيف يكون
هذا في الانسان ممتنع وقد وجدناه في بعض البهائم ممكنا فالوحشي قد ينقل بالعادة
الى التانس والجامح الى السلاسة لكن الناس في غرائزهم مختلفون فبعضهم جبل جبلة سريع
القبول وبعضهم بطيئة القبول وبعضهم في الوسط وكل لا ينفك من اثر قبول
وان قل ومن هنا ولعله في الادعية من طلب التوفيق لمكارم الاخلاق
ومحاسن الاعمال وفي الاحاديث من الامر بها والحث عليها وقال الراغب
واري ان من منع من تغيير الخلق فانه اعتبر القوة نفسها وهذا صحيح

فان النوى صالح ان ينبت الانسان منه نخلا ومن اجاز بغيره فانه اعتبر ما لها
ما في القوة لا الوجود وامكان اتصالها بهما له نحو النوى فانه ان يتعهد فهو نخلة
وان يترك مهملا حتى يفسد وهذا ايضا صحيح فاذا اختلف فيها يجب اختلاف نظيرها
انتهى وانت خبير بان كلام صاحب القبسات هاهنا جلت له الفداء مزيج الدر الله به مما لا يمكن ان
تغير الخلق والسلام ما بقي الذي سبق ولكن بفضل الله وحسن توفيقه كما قال لا فهما جمع
من اهل البيت لهم هذا وارف الوثوب والشره والتبقي والطيش والحدة عند الغضب
ومنها ما ورد في رواية عبد الله قال قلت لابي عبد الله عليه السلام انا لنرى بعض
اصحابنا بغير النزق والحدة والطيش فاغتم بذلك غما شديدا وارى
من خالفنا فاراه حسن السمت قال لا تقل حسن السمت فان السمت سمت الطريق ولكن قل قال فقلت حسن السمت
حسن السيماء فان الله عز وجل يقول سيماهم في وجوههم قال قلت
فاراه حسن السيماء وله وقار فاغتم لذلك قال لا تغتم لما رايت من نزق
اصحابك ولما رايت من حسن سيماء من خالفك ان الله
تبارك وتعالى لما اراد ان يخلق آدم خلق تلك الطينتين ثم فرقهما
فرقتين فقال لاصحاب اليمين كونوا خلقا باذني فكانوا خلقا بمنزلة الذر
يسعى

يسعى وقال لاهل الشمال كونوا خلقا باذني فكانوا خلقا بمنزلة الذر
يدرج ثم رفع لهم نارا فقال ادخلوها باذني فاول من دخلها محمد صلى الله عليه وآله
ثم اتبعه اولوا العزم من الرسل واوصياؤهم واتباعهم ثم قال لاصحاب الشمال
ادخلوها باذني فقالوا ربنا خلقتنا لتحرقنا فعصوا فقال لاصحاب اليمين
اخرجوا باذني من النار فخرجوا لم تكلم منهم النار كلما ولم تؤثر فيهم اثرا فلما
راهم اصحاب الشمال قالوا ربنا نرى اصحابنا قد سلموا فاقلنا ومرنا بالدخول
قال قد اقلتكم فادخلوها فلما دنوا واصابهم الوهج رجعوا فقالوا يا ربنا
لا صبر لنا على الاحتراق فعصوا فامرهم بالدخول ثلثا كل ذلك يعصون
ويرجعون وامر اولئك ثلثا كل ذلك يطيعون ويخرجون فقال لهم كونوا
طينا باذني فخلق منه آدم قال فمن كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء
ومن كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء وما رايت من نزق اصحابك
وخلقهم فمما اصابهم من لطخ اصحاب الشمال وما رايت من حسن سيماء من
خالفكم ووقارهم فمما اصابهم من لطخ اصحاب اليمين انتهى وفيه اشياء
تظهر مما تامله ولا الجبر الذي تبرأ من حديث الطينة فهو هم ضعيف

وظن سخيف قد ذكرنا وجه ضعفه وسخفه في شرح قوله او خرز لتسنا المعول لابطال الجبر
والتفويض فليطلب من هناك وفي اضافة النزق الى الخرق تنبيه بحذف العاطف
وضعيف النزق الى الخرق لشدة امتزاج بينهما في المناسبة اللفظية والمعنوية
كما ان الشيخ الرضي في نظايره وسمى هذا التركيب شبيها بالمزجي والخرق ضد الرفق
وضدها وولد الرفق يمن والخرق شوم وفي اخر من قسم له الخرق حجب عنه الايمان ومن
صاحب الدعا جعلت له العذار من الخرق المعاجلة قبل الامكان والاناة بعد
الفرصة والخرق فيه بمعنى الجهل والحمق وان لا يحسن الرجل العمل والتصرف في الامور
وهذا من جملة معانيه كما صرح به علما اللغة وعن النبي عليه السلام لو كان الخرق
يرى ما كان شي مما خلق الله اقبح منه وفي القاموس الخرق الحمق وقد علم ان الحدة
غير الخرق المذموم فان من الكياسة ترك ما ظاهره ظاهر الشر فيرى تحته والله
ويرجع باطنه الى قلب سليم منطو على الخير وذلك من خفية العقلا مراجعة وفي
الحديث المشهور عنه عليه السلام خيار امتي احداؤها وقال عليه السلام
الحدة تعتري خيار امتي هذا وكلمة من ابتدائية واللازمة كالائمة جمع زمام وهو
ما يعار ويجعل في انف البعير ليقاد به وايضا للملابسة او السببية والظرف معلق بأ...

العنو

والقنوع بالضم السؤال والتذلل والرضا بالقسم ضد ومن دعائهم نسأل الله
القناعة ونعوذ به من القنوع وفي المثل خير الغنى القنوع وشر الفقر الخضوع
والقناعة الرضا باليسير من العطاء وقد قنع يقنع قنوعا وقناعة بالكسر اذا رضي
وقنع يقنع بالفتح قنوعا اذا سأل والى المعنيين المذكورين اشار من قال العبد
حر ان قنع والحر عبد ان طمع فاقنع ولا تطمع فما شي يشين الا الطمع فقنع الاول
بالكسر بمعنى رضي والثاني بالفتح بمعنى سال وقيل القناعة الرضا من الكفاية و
في شرح المحقق الطوسي بعد ما عدها من الانواع المندرجة تحت العفة هي ملكة
من الاعتدال في القوة الشهوية بانها رضا النفس في المآكل والملابس وغيرها
بما يسد الخلال من اي جنس اتفق وقد ورد في شان القناعة والحث عليها
من الكتاب والسنة ما لا يخفى وفيه ولا تعجبك اموالهم ولا اولادهم
ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا وبالقناعة
فسر الرزق الحسن في قوله لنرزقنهم رزقا حسنا وبها فسرت الحيوة الطيبة
في قوله عز وجل لنحيينه حيوة طيبة وعن الباقر عليه السلام من
قنع بما رزقه الله فهو اغنى الناس وبيان ذلك ان حاجات الناس كثيرة

فاغناهم اقل حاجة لان الغنى هو عدم الحاجة فلذلك كان الله سبحانه اغنى الاغنياء
اذ لا حاجة به الى شيء نقل ان رجلا من حاشية سلطان راى حكيما ياكل ما سقط
على الارض من البقل فقال له لو خدمت السلطان لم تحتج الى اكل هذا فقال الحكيم
وانت لو قنعت بهذا لم تحتج الى خدمة السلطان وقال صفوان بت ليلة استمع
بالمنى واقلب قلبي الى احوال الغنى فكنت البحر الاخضر بالذهب الاحمر وجعلت ما بين
كوفان الى اسياف عمان فاخرة اللباس وسارحة النعم فاذا الذي يكفيني من
ذلك رغيفان وطمران وقال وهب خرج العز والغنى يجولان فلقيا القناعة
فاستقرا وقد قررت في الاخبار بان تقنع بما يصيب من الدنيا تقنع بالقليل
وتشكر باليسير وفي الحديث القناعة كنز لا ينفد عز من قنع وذل من طمع
وعن صاحب الدعاء وجعلت له الغذاء الاكثر اغنى من القناعة ولا امال
اذهب للفاقة من الرضا بالقوت ومن اقتصر على بلغة الكفاف فقد انتظم وتبوأ
خفض الدعة والرغبة مفتاح النصب ومطية التعب والحرص والكبر والحسد دواع
الى التقحم في الذنوب والشر جامع مساوي العيوب شبه عليه السلام قوى النفس الامارة
التي ينشأ منها النزق ويصدر عنها الشرور المفتقرة الى التاديب للنزق

بالنوق

يكفيني

بالنوق بجامع عدم الانقياد والسكون وترك الشهوة فاثبت لها الازمة
اما التعدد ها او للاشارة الى انها لا تنقاد ولا تطيع بزمام واحد او لاختلاف متعلقات
الشهوة واحتياج النفس في الكف عن كل واحد منها بزمام وقاعدة اخرى
وصبر آخر ففيه استعارة بالكناية وتخييل او ترشيح واضافة الازمة الى القنوع
اضافة اللجين الى الماء او اللام فيه بيانية او بتقدير من او بتقدير حرف تشبيه
نزق الخرق وهو من الكيفيات النفسانية بالناقة المحتاجة الى التاديب
بالازمة وسكت عن ذكر المشبه به وذكر المشبه فالاستعارة مكنية واثبات
التاديب بالازمة له تخييلية ثم شبه القنوع بالازمة فانه كما يمنع
الزمام نزق الناقة يمنع القنوع نزق النفس ثم قدم المشبه به واضيف الى المشبه
كما في ذهب الاصيل ولجين الماء ووجه الشبه المنع والمنع الملتهم او سكن ولو ش
نف واضطرابها لاجل الفقر وعدم الصبر بازمة القنوع ولما كان الخرق
اي الفقر منشأ نزق النفس وقلعها اضافه اليه والاضافة مما يكفيه ادنى ملابسة كما
في كوكب الخرقاء او المراد ازاله واذهب شدة الخرق من بازمة القنوع
وعطف لين العريكة باستعمال الرفق والخضوع ثم بيت قد حبب دعوة ترم

هذه اذ لا اختلاف بين الامة في انه كان ازهد اهل زمانه طلق الدنيا ثلثا وكان
يصوم النهار ويقوم الليل وكان يفطر على جريش الشعير من غير ادام الا نادما
الحسان بسمن او زيت وكان اخشن الناس مأكلا وملبسا ولم يشبع من
طعام قط وكان يقول والله لدنياكم هذه اهون من عراق خنزير في يد
مجذوم وكان يقول يا دنيا يا دنيا اليك عني أبي تعرضت ام الي تشوقت
لا حان حينك هيهات هيهات غري غيري لا حاجة لي فيك قد طلقتك ثلثا
لا رجعة لي فيك فعيشك قصير وخطرك يسير واملك حقير وهذا شيء اخشن
لم يشاركه فيه غيره ولم ينل احد بعض درجته وكان لعلاه سرليف وكان
يرقع قميصه من جلد تارة وبليف اخرى وقل ان يأتدم فان فعل فبالملح
او الخل فان ترقى فبنبات الارض فان ترقى فبلبن ومن كلامه عليه السلام
وايم الله يمينا استثني فيها بمشية الله لاروضن نفسي رياضة تهش معها
الى القرص اذا قدرت مطعوما وتقنع بالملح مأدوما وتسيلن للصوف
لبوسا ولادعن مقلتي كعين ماء نضب معينها مستفرغة دموعها اتمتلئ
السائمة من رعيها فتبرك وتشبع الربيضة من عشبها فتربض وياكل علي من زاده
فيهجع

فيهجع قرت اذا عينه اذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة
المرعية الى آخر كلامه وهو مذكور في نهج البلاغة صلوات الله عليه من باب الزهد والعبادة

الهي ان لم تبتدئني الرحمة منك بحسن التوفيق فمن السالك بي
اليك في واضح الطريق الذي اي الهي ومعبودي او مفزعي وملجاي او من يسلك بي الى
قبلة او من الى التضرع في شدائدي والامر الاول تقع على كل معبود ثم غلبت
معبود بحق حيث لا يطلق على غيره تعالى وان الشرط في الاستقبال وقد نص ارباب
البيان ان الاصل فيها ان لا جزم بشيء من طرفي الشرط لكنها قد تستعمل في مقام
الجزم لنكتة قال صاحب التبيان قد تستعمل ان في الجزم لا للاحتياط كما اذا
سأل العبد عن سيده هل هو في الدار وهو يعلم انه فيها فيقول ان كان اخبرك
اخبرك فيحتاط بالتي هي خوفا من السيد واما لتقرير وقوع الجزاء وتحققه
نحو قول السلطان لمن هو تحت قهره ان كنت سلطانا انتقمت منك وعبارة
الدعاء من هذا الباب والنكتة فيها لا الاحتياط ولا تقرير وقوع الجزاء وتحقق
حيث علق الفكر من يسلك اليه تعالى في واضح الطريق بعدم ابتداء الرحمة
منه بحسن التوفيق فانه جازم بذلك وهو امر محقق عنده كيف والهداية امر لديه

وجمع ليعود اليه وهذا منزوع الى اللطف انه تعالى اجرانا على سنن الانبياء والاولياء و صلحاء
والصالحين في تحصيل الخيرات والنجاة من الشرور ونجانا عن الشر عز وجل وسلب
القوى والقدر على انفسهم وبالغ في استدعاء لطفه في افكارنا قال الاكثر
ينسانا ويمن نفسنا منعك التوفيق واللطف عنا عن سلوك طريق معرفتك
وسبيل طاعتك وفي هذا الكلام دلالة على بطلان قول من قال بعدم مدخلية توفيق الله
وخذلانه في افعال العباد وهم المشهورون بالمفوضة اذ الانسان بمجرد جده
وجهده لا يصل اليه ما قدر وصوله اليه بالاختيار فان الجد وحده ليس بسبب موجب
بل يحتاج وصوله اليه الى شرائط اخر وحسن التوفيق عبارة عن استجماع تلك
الشرائط وسوء التوفيق عبارة عن فقدانها كلا او بعضا والرحمة النعمة
ومن ابتدائية اي الرحمة المبتداة من جنابك من غير استحقاق مني واللام في
في بابية او من اضافة الصفة الى الموصوف اي توفيق حسن والتوفيق لغة
جعل الشيء موافقا لآخر وعرفا جعل الله فعل العبد موافقا لما يحبه ويرضاه
وهو وان كان في الاصل موضوعا على وجه يصح استعماله في السعادة و
الشقاوة ولذلك قيده بان يكون حسنا لكنه في الاستعمال الا انه قد صار متعارفا
في الخير

في السعادة فقط ولعل المراد بقولهم التوفيق توجيه الاسباب نحو المطلوب
الخير وقيل هو الدعوة الى الطاعة والمآل واحد والتوفيق مما لا يستغنى
الانسان عنه في كل حال كما قيل لحكيم ما الشيء الذي لا يستغنى عنه في كل حال فقال
التوفيق والمراد بتوفيقه تعالى اياه عليه السلام تسديده وتذكيره ولطفه به والهامه
القيام بما اتاه من آداب الاولياء واخلاق الاصفياء من صدق الا
نقطاع اليه والتوكل عليه وقوة اليقين به واطمئنان القلب بفضله فلم
يلتفت الى غيره ولا الى نفسه وهكذا من كان دائم المراقبة لربه دقيقا
لمحاسبة نفسه فقد قام معها على ساق بمقام الخصم الالد عند الشقاق كان
مستوجبا للعصمة من ربه مطرحا لاشعة انوار لطفه ومحبته ويقال سلكت
الطريق سلوكا من باب قعد اي ذهبت فيه وفي القاموس سلك المكان
سلكا وسلوكا وسلكه غيره وفيه واسلكه اياه وفيه وعليه ويده في الجيب
واسلكها ادخلها فيه ولعله ضمنه معنى الهداية ولذا عداه بالى والسلوك
الى الله تعالى هو التقرب اليه بالاعراض عن الدنيا الدنية وحقارتها وفنائها
ثم باتيان الفرائض معه وجميع النوافل فانها قربان كل تقي ثم

براعات الاداب والسنن ثم الصبر على البلايا والمحن وملازمة الذكر ومداومة
الفكر والتنحي عن الشهوات النفسانية والهواجس الشيطانية وحجاب الهموم بها
واحدا مع اخلاص النية وصفاء الطوية والعمل بما تعلم شيئا فشيئا ومراقبة
انا فانا الى ان يصير العلم عيانا بعد يقين ويترقى من علم اليقين الى عين اليقين ومنه
الى حق اليقين وقد اشار اليه صاحب الدعاء جعلت له الفداء عند ذكر السالك على ما هو
المذكور في نهج البلاغة حيث قال قد احيا عقله وامات نفسه حتى دق جليله ولطف غليظه
وبرق له لامع كثير البرق فابان له الطريق وسلك به السبيل وتدافعته الابواب الى
باب السلامة ودار الاقامة اثبت رجلاه بطمانينة قلبه في قرار الامن والراحة
بما استعمل قلبه وارضى ربه انتهى كلامه صلوات الله عليه وسلامه ويحتمل ان يكون المراد
بابتداء الرحمة منه تعالى حسن التوفيق او التوفيق على السلوك عليه احداث الشوق في
السالك واهتياج قلبه وجذبه الى الارادة ومحبته والمواظبة عليه فان الشوق هو
ادراك لذة المحبة اللازمة لفرط الارادة الممتزجة بالم المفارقة يكون في خلال
السلوك بعد اشتداد الارادة ضروريا وربما كان حاصلا قبل السلوك وذلك
اذ احصل الشعور بكمال المطلوب ولم تنضم اليه القدرة وفات الصبر على المفارقة
وكلما

وكلما ترقى السالك في سلوكه كثر الشوق وقل الصبر حتى يصل الى المطلوب
فيخلص حينئذ لذة نيل الكمال من الالم وتنتفي الشوق كذا افاد المحقق الطوسي
قدس سره في بعض رسائله والاضافة في واضح الطريق من اضافة الصفة
الى الموصوف وفي الكلام استعارة تحقيقية تصريحية حيث شبه العبادات
والرياضات والمجاهدات الشرعية بسلوك الطريق ثم ذكر المشبه به واريد المشبه
والمراد بوضوحه انه تعالى خلق الانسان بشرا سويا مكلفا ونصب لهم
الادلة على ربوبيته ووحدانيته واستحقاقه الطاعة والعبادة وقد ركب فيهم
وفي غيرهم من عجائب خلقته وغرائب صنعته وشهدت بها عقولهم التي
ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهداية لكن هذا الطريق
مع وضوحه مخوف وفيه مهالك ومواقع والسالك فيه يحتاج
الى العنايات الربانية والهدايات السبحانية فانه ما دام في سيره الى
الحق يكون مضطربا غير مستقر الخاطر بخوف العاقبة وما يعرض
في اثناء السير والسلوك من العوارض العائقة كالانحراف عن القصد
في حبائله واستيلاء القوى الشهوانية بحسب مجرى العادة في استعمال

الشهوات المألوفة فإن هذه وأمثالها تصد السالك عن السلوك إلى الحق
وهم عطف على خوف منها ومن خواطر الشيطان وهو لا يأمن أن يأتيه من
أي جهة أمكن منها الإتيان فليس للتخلص من نزغ الأبالسة ملتجأ إلا
وليا له يحفظه من جميع الجهات فإذا هب نسيم العناية الأزلية وارتفعت
الحالة الظلمانية بنور القلب بنور اليقين وحصلت الراحة والاطمئنان وزال
الخوف وظهرت تباشير الأمن والأمان كما سبق اتفق في كلام صاحب الدعاء
جعلت له الفداء وهذا المقام من مقامات أصحاب النهايات لا من أحوال أرباب
البدايات لأن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون **وَإِنْ أَسْلَمَتْنِي**
أَنَاتُكَ لِقَائِدِ الْأَمَلِ وَالْمُنَى فَمَنِ الْمُقِيلُ عَثَرَاتِي
مِنْ كَبَوَاتِ الْهَوَى يقال أسلم فلان فلانا إذا ألقاه في الهلكة كَبْوَة
ولم يحمه من عدوه وهو عام في كل من أسلمته إلى شيء لكن غلب عليه الإلقاء في
الهلكة ومنه الحديث إني وهبت لخالتي غلاما فقلت لا تسلمه حجاما ولا صائغا ولا
ولا قصابا أي لا تعطيه لمن يعلمه إحدى هذه الصنائع والأناة على وزن حصاة
اسم من تأنى الأمر إذا تمكث ولم يعجل والمراد بها هنا الحلم وتأخير العقوبة والاستدراج
والأمل

ولما كان الغرض الغائية الإلهية سوق كل ناقص إلى كماله اقتضت عنايته
سبحانه عدم معاجلة العباد بالعقاب والانتقام والأخذ بالذنوب والمعاصي
في هذه الحيوة الدنيا لرجاء التوبة ورجوع الإنابة ولذلك أنظرهم ببقاء الدنيا
وأمهلهم مدة حيوتهم فيها فالعبرة خلقه تعالى الآية قود من باب قال
وقيادا إذا تقدمها أخذ بقيادها وهو خلاف السوق ومنه قائد الجيش
لأميرهم كأنه يقودهم وجمعه قادة وقواد وقد يقال للدليل أيضا قائد
بهذا الاعتبار ومنه القائد الغر المحجلين في الدعاء متعلق بقدير من ولقد
الآمال تتعلق بالتمني ولعل اللام فيه بمعنى إلى واحتمال كونها لام التقوية
للعامل بعيد فإنها إنما تزيد لتقوية عامل ضعيف كالمصدر وشبهه فإنه
لكونه فرعا في العمل عن الفعل ضعيف فاحتاج إلى التقوية والعامل هنا فعل
متقدم فأية حاجة إليها فتأمل والأمل محركة الرجاء وحقيقته ابتهاج النفس
لانتظار ما هو محبوب عندها فتوحاته لها تصدر عن علم وتقتضي علما
وقال بعضهم أكثر استعمال الأمل فيما يستبعد حصوله فإن من عزم على سفر
إلى بلد بعيد يقول أملت الوصول إليه ولا يقول طمعت إلا إذا قرب منه

فان الطمع لا يكون الا فيما قرب حصوله وقد يكون الامل بمعنى الطمع والرجاء بين
الامل والطمع فان الراجي قد يخاف فان لا يحصل ما مول ولهذا استعمل بمعنى
الخوف فان قوي الخوف استعمل استعمال الامل وعليه قوله من لا يرجوا
ان تدنو مودتها ومنشا الامل الحرص على الاسباب الدنيوية وجمع الغايات
الفانية وثمرته الاعراض عن الامور الاخروية الموجبة لاشق الشقاء ولذلك
قال صلى الله عليه وآله جعلت لي الفداء ان اخوف ما اخاف عليكم اثنتان
اتباع الهوى وطول الامل اما اتباع الهوى فيصد عن الحق واما طول الامل
فينسي الاخرة بيان ذلك ان طول توقع الامور المحبوبة الدنيوية
يوجب دوام ملاحظتها ويستلزم دوام اعراض النفس عن ملاحظة احوال
الاخرة وهو مستعقب لانمحاء ما تصور في الذهن منها وذلك معنى النسيان لها
وبذلك يكون الهلاك الابدي والشقاء السرمدي وقد ورد من الاثار
والاخبار في التحذير من طول الامل والنهي عنه ما تضيق عنه دائرة الاحصاء
وقطع ساقه قدم الاستقصاء وكفى في ذلك قوله تعالى ربما يود الذين كفروا
لو كانوا مسلمين ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون
وفي

قبيحا ان ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي الى طول الامل من اخلاق الكافرين
لا من صفات المؤمنين وفي وصية النبي صلى الله عليه وآله يا اباذر اياك والتسويف باملك
فانك بيومك ولست بما بعده فان يكن لك غد فكن في الغد كما كنت في اليوم
وان لم يكن غد لم تندم على ما فرطت في اليوم يا اباذر كم من مستقبل يوما لا يستكمله ومنتظر غدا
لا يبلغه يا اباذر لو نظرت الى الاجل ومسيره لابغضت الامل وغروره يا اباذر كن كانك
في الدنيا غريب او عابر سبيل وعد نفسك من اصحاب القبور يا اباذر اذا اصبحت فلا تحدث
نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وعن انس ان النبي صلى الله عليه وآله
خط خطا وقال هذا الانسان وخط الى جنبه خطا وقال هذا اجله وخط اخر بعيدا منه
فقال هذا الامل فبينما هو كذلك اذ جاءه الاقرب وفي خطبة لصاحب الدعاء
جعلت لي الفداء واعلموا ان الامل يسهي العقل وينسي الذكر فاكذبوا الامل
فانه غرور وصاحبه مغرور فمن عين الامل وامن سروره وضروره وفي حديث
قدسي يا موسى لا تطول في الدنيا املك فيقسو لذلك قلبك وقاسي القلب
مني بعيد هذا ومن الشيء قدره لان المتمني يقدر حصول ما يتمناه والتمني
تشهي حصول الامر المرغوب كحصول ما يحتاج اليه من اهل ومال واولاد

وأسباب وحديث النفس بما يكون وبما لا يكون ومنه ما قال صاحب الدعاء
جعلت لك الفداء لا تتكل على المنى فإنها بضائع النوكى والأصل في من أن يطلب به
الأمر الذي يعرض لذي العلم فيفيد تشخيصه إلا أنه هنا استعمل بمجرد الاستبعاد
والاستشعار كما في قولك من ذا فعل كذا إلا من ليس لعثرته يقال حنك والإقالة
التجاوز عن الذنب وأصله من أقال عثرته إذا رفعه من سقوطه ومنه الإقالة
في البيع لأنها رفع العقد ومنه أقيلوا في فلتت بخيركم وعن فيكم وفي الحديث
أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم وفي رواية أخرى ذوي المروات وأقال الله عثرته استعارة
للتجاوز عن الذنوب والعثرة السيئة والخطيئة من عثر يعثر من باب قتل عثارا
بالكسر إذا كبا وسقط لأنها سقوط في الإثم وقيل هي المرة من العثار في المشي وهو الزلة
ومنه العاثور المكان الوعث الخشن لأنه يعثر فيه ومنه قول أبي يوسف يعقوب المعروف
بابن السكيت وكان من أكابر علماء العربية وعظماء الشيعة وهو من أصحاب الجواد والهادي عليهما السلام
في التحذير من عثرات اللسان يصاب الفتى من عثرة بلسانه وليس يصاب المرء من عثرة
الرجل فعثرته في القول تذهب برأسه وعثرته في الرجل تبرء على مهل قيل إن المتوكل العباسي
أمره أن يدرس ولديه المعتز والمؤيد فقال له يوما أيما أحب إليك ابناي هذان أم الحسن والحسين
فقال

فقال إن قنبرا خادم علي عليه السلام خير منك ومن ابنيك فقال المتوكل للأتراك سلوا
لسانه من قفاه ففعلوا فمات وهذا من غريب ما وقع من رزية هذا والكبوة العثرة ومنه الجواد
قد يكبو ومن هدايته وإضافته من إضافة الصفة إلى الموصوف والهوى مقصورا
وهو الذي يميل إليه القلب من المحبوبات والمشتهيات هوى مع الركب اليمانين مصعد
والتحقيق أن الهوى ما يحكم الطبع بلائمته ولا يرى فيه المآل بل يخالف العقل
والشرع بمعونة الوهم وانخداعه فيختار العاجل ولو كان فانيا دون الآجل
ولو كان باقيا فلا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وفي الحديث أبغض إله عبد
في الأرض الهوى والشيطان وأما من خاف ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة
هي المأوى فحاصل هو النفس التي ما أطاعته أحد ضلة الهوى إلا الهوى من عقابه والمعنى
ان القيتني أنا تائب فيما خير عقوبتك وحلمك الأقائد من حبل الذل والمتي يقود في
وتجرني إليه حيث ما تجر في فكر خبر الذي في المقبل عثرته إلى المبتداء ... من الهوى
الكناية العاثرة فتشبيه النفس الأمارة بالسوء الميالة إلى الشر بالشخص الذي الجامح
عدم البصيرة والاستشهاد الأطرق القصوى استعارة بالكناية وإثبات القائد له
تخييل وإسناد الإسلام إلى الأناة مجاز عقلي وتشبيه الأغلاط الناشئة عن زلة قدم

النفس بفعل المنهيات وكف المامورات الموجبة لكونها ناشية بذلك منقهرة
الا الاقالة بالعثرات في المعنى استعارة مصرحة او هو تشبيه للمعقول بالمحسوس
وكذلك تشبيه الهوا بالناقة التي تخبط العاشرة بمكينة اخرى واثبات الكبوة تخييل او ترشيح
وهذه الفقرة الجليلة من ادق الكلام وافصحه وفيها دلالة على ان تجاوز بعض الهفوات
الدنيوية نعوذ بالله منه ومن موجباته لطف من الله على عباده يوجب تنبيههم على سيئات
اعمالهم واعراضهم عن الدنيا واقبالهم على الاخرة وان تاخيرها استدراج
ينشأ منه الامال والاماني وانهما يقودان لصاحبهما الى المهالك ثم يلقيانه فيها
واذا ما ترتب عليهما نسيان الاخرة وتاخير التوبة واقباله على الدنيا
وامورها مستغرقا فيها الا ان يختطفه الموت وهو غافل عنه غير مستعد له
فطول في الاخرة حسرته وندامته **تذنيب** قوة الفكر بين العقل والقوى العقل وا
فوقها والهوى تحتها فمتى ارتفعت الفكرة ومالت نحو العقل صارت
رفيعة فولدت المحاسن واذا اتضعت ومالت نحو الهوى صارت
وضيعة فولدت القبايح ومن شان العقل ان يرى ويختار ابدا الافضل والاصلح
في العواقب وان كان على النفس في المبدأ امونة وشقة والهوى على ضد

ذلك

من ذلك فانه يوثر ما يدفع الموذي في الوقت وان كان يعقب مضرة من غير
نظر منه في العواقب كالصبي الارمد الذي يوثر اكل الحلاوات واللعب في الشمس
على اكل الهليلج والحجامة ولذا قال عم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار
بالشهوات وايضا العقل يرى صاحبه ما له والهوى يريه ما له من ما عليه ويعمي عليه ما يعقبه
من المكروه ولهذا قال عليه السلام حبك الشي يعمي ويصم فعلى العاقل ان يتهم
رايه في الاشياء التي هي حلية ويظن انه هوى لا عقل ويلزمه ان يستقصي النظر
فيه قبل امضاء العزيمة حتى قيل اذا اعرض لك امران فلم تدر ايهما الصواب
فعليك بما تكرهه لا بما تهواه فاكثر الخير في الكراهة قال الله تعالى عسى ان تكرهوا شيئا
وهو خير لكم وقال الله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ولهذا قال
الاحنف بن قيس كفى بالرجل رايا اذا اجتمع عليه امران فلم يدر ايهما الصواب
ان ينظر اعجبهما اليه واغلبهما عليه فيحذره هذا وللانسان مع هواه ثلث احوال
الاول ان يغلبه الهوى فيستعبده كما قال الله تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه
افانت تكون عليه وكيلا الثانية ان يغالبه فيقهر مرة ويقهر مرة واياه قصد
مدح المجاهدين وعناه صلى الله عليه وآله بقوله وقد سئل اي الجهاد افضل قال جهاد هواك

وقال عليه السلام جاهدوا اهواءكم كما تجاهدون اعداءكم والثالث ان يغلب هواه
كالانبياء والاوصياء وكثير من صفوة الاولياء وهذا المعنى قصده النبي صلى الله عليه وآله
بقوله ما من احد الا وله شيطان فقيل يا رسول الله ولا انت فقال ولا انا الا ان الله
قد اعانني عليه حتى ملكته فان الشيطان يتسلط على الانسان بحسب وجود الهوى

وَاِنْ خَذَلَتْنِي نُصْرَتُكَ عِنْدَ مُحَارَبَةِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ
فَقَدْ وَكَلَنِي خِذْلَانُكَ اِلَى حَيْثُ النَّصَبِ وَالْحِرْمَانِ

خذله من باب قتل خذلا ترك نصره واعانته فهو خاذل والاسم الخذلان
بالكسر والاسناد فيه وفي وكلني مجازيان عقليان وفي الاول تجريد فان الخذلان
هو ترك النصر كما سبق وخذلانه تعالى نعوذ بالله منه ان يترك المرء ونفسه لسوء استعداده
وشناعة صنيعته فيمنع منه الطافه الخاصة وفيه دلالة على ان خذلانه سبحانه مقابل
عبارة التوفيق والخذلان بحيث لا يصل الى حد الالجاء والجبر وفيه شيء فيهما
فقول المعتزلة لا صنع له تعالى في فعل العبد الا بالاقدار والمحاربة كالمجادلة
مصدر من باب المفاعلة واقع بين اثنين فصاعدا يفعل كل مع صاحبه
ما يفعله هو به وهي من الحرب استعارة من المجاهدة وهي الجهاد الاكبر
مجاهدة

المشار اليه بقوله عليه وآله السلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وهي مجاهدة
النفس الامارة بالسوء لشهوة البطن والفرج والغضب وساير اللذات والعيوب
وهي اعدى عدو المرء يشهد بها عقول كثير من الناس فامرهم بايام رهم والمحاربة
معها بالمجاهدة والرياضة وتصفية الباطن واركانها الجوع ثم السهر ثم العزلة
ثم الصمت ثم ذكر الله تعالى وهو عند اهل السلوك كلمة التوحيد والمحاربة
مضافة الى الفاعل او المفعول اي محاربتهما اياي او محاربتي اياهما او
محاربة كل مع الاخر بناء على ان يكون المراد بالنفس النفس اللوامة او الملهمة
وعلى الاولين الامارة بالسوء المائلة الى الشر فانها في حال الشهوة
بهيمة وفي الغضب سبع وفي المصيبة طفل وفي النعمة فرعون وفي الشبع تراها
مختالة وفي الجوع مجنونة ان اشبعتها بطرت وان اجعتها صاحت
وجزعت ومن رداءتها وجهلها انها اذا همت بمعصية او انبعثت
لها شهوة لو تشفعت اليها بالله تعالى ثم برسوله وبجميع انبيائه وكتبه
ورسله والملائكة المقربين وتعرض عليها الموت والقبر والقيمة والجنة
والنار لا تعطي القيادة فلا تسكن ولا تترك الشهوة ثم انك تستغلها بمنع

رغيف او اعطى رغيف فتسكن وترك شهوتها فتعلم خستها و
رداءتها وجهلها وغفلتها فاياك والغفلة عنها طرفة عين واعلم
ان المحققين على ان النفس الانسانية اي النفس الناطقة شيء واحد فاذا مالت
الى العالم العلوي كانت مطمئنة واذا مالت الى الشهوة والغضب سميت
امارة وهذا في اغلب احوالها لانها بالعالم الحسي وقصورها فيه فلا جرم اذا
خليت طباعها انجذبت الى هذه الحالة فلهذا قيل انها من حيث امارة بالسوء
وان كانت منجذبة تارة الى العالم العلوي وتارة الى العالم السفلي سميت لوامة
ومنهم من ذهب الى ان المطمئنة هي الناطقة بالعلوم والنفس الامارة منطبعة
في البدن تحلها الشهوة والغضب وساير الاخلاق الرذيلة وفيه اثبات
القدرة للعبد وكونها مؤثرة فيما يصدر عنه من الافعال والتروك والالتجاء
منه الى ربه والمدافعة مع اعداء عدوه ومخاصمته في حال سكينته وحشوه فقول
الجبرية لا مؤثر في الوجود الا الله باطل فهذا شرح قوله عليه السلام بهذا الكلام الدال
لا جبر ولا تفويض بل امر بين امرين وقد فصلنا القول فيه في بعض رسائلنا
المعمولة لشرح قوله عليه السلام وقد بينا معنى قولهم لا حول ولا قوة الا بالله انا نملك
مع الله

مع الله شيئا ولا نملك الا ما ملكنا ما هو املك منا كلفنا ومتى اخذه منا وضع
تكليفه عنا فليتوقف من هناك من اراد الوقوف عليه والشيطان هو عدوك
ومترصد صرف قلبك عن الرحمن الكريم بمناجاته فيعال من الشطن وهو البعد
لبعده عن الحق تعالى او عن الخير يريد ابعاد المتقرب الى الله لكونه ابعد من اجله
او فعلان من الشيطان وهو البطلان والهلاك والاحتراق لانه
باطل في نفسه مبطل لمصالحه ومصالح من ابطل من اجله هالك باللعنة
يريد اهلاك من لعن لاجله محترق غضبا عليه اذ راه يتقرب الى ربه
والالف واللام فيه للجنس فيدخل فيه جنوده ولو جعل للعهد جاز
ويدخل فيه جنده تبعا والمثبتون لوجود الشياطين اختلفوا في حقيقتهم
فالمتكلمون منهم قالوا هي اجسام شفافة يتشكل باي شكل شاءت وتقدر
على الولوج في بواطن الحيوان وتنفذ في منافذها الضيقة نفوذ الهوى
المستنشق وظاهر بعض الاخبار يعضده وقال قوم هي النفوس الارضية
المدبرة للعناصر وقيل هي النفوس الناطقة الشريرة المفارقة ابدانها

فتتعلق بالنفوس الشريرة وتعاونها على الشر والفساد وقيل هي نفوس مجردة
تتصرف بالتعلق وتدرك بالته هي كرة الاثير واول من خلق منهم من النار وقال جمهور
الفلاسفة ان الشيطان عبارة عن الوهم المعارض للعقل وجنوده سائر القوى
التابعة له في معارضة العقل في شخص الكفار والفاسقين عن اوامر الله تعالى والوهم
رئيس القوى البدنية فهي اذن عند معارضتها ومتابعتها جنود ابليس وقبيله
قالوا والمراد بكونه خلق وقبيله من نار ان الارواح الحاملة لهذه القوى
اجسام لطيفة تتكون من لطائف الاخلاط وهي حارة جدا لا سيما الاخلاط
والنارية والهوائية عليها اغلب وتولدها عنها اسهل وهي اقرب اجزاء
البدن وكذلك القلب الذي هو منبعها فكانت تلك الارواح كالابدان لهذه
القوى فلذلك نسبوها الى النار **تذنيب** فان قلت كيف يتصور المحاربة
بين الانسان والشيطان وهو لا يراه على العيان ولا يشاهده في المكان
قلت قد ظهر جوابه على مسلك الفلاسفة واما على طريقة المتكلمين فمحاربة
الشيطان للانسان عبارة عن تسويله ووسوسته وتزيينه له ما حرم الله عليه
ودعوته

ودعوته لا لذلك رجاء ان يعينه بذلك فيهلكه كما قال وما كان لي عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وحقيقته ان الانسان مهما هو بحضر الشيء ذكره
ذلك فيحدث له ميل جازم يترتب الفعل على حصول ذلك الميل فمحاربة
ذلك الشيء كيرو اجابته حصول ذلك الميل الذي هو من شان النفس ولذلك
المحققون الشيطان الاصلي هو النفس وذلك ان الانسان اذا احس شيئا
او ادركه ترتب عليه شعوره بكونه ملايما له او منافرا ويتبع هذا الشعور
الميل الجازم الى الفعل او الترك وكل هذه الاشياء من شان النفس ولا مدخل للشيطان
في شيء من هذه المقامات الا بان يذكره شيئا مثل ان الانسان كان غافلا عن صورة
امراة فيلقي الشيطان حديثه في خاطره قال امين الاسلام الطبرسي في الاية المذكورة
دلالة على ان الشيطان لا يقدر على اكثر من الدعاء والاغواء وانه ليس عليه عقاب
معاصيهم وانما عليه عقاب الدعوة فحينئذ ومحاربة الانسان للشيطان عبارة عن
كفه نفسه عن طاعته واجابته لما يدعوه اليه ويسوله له وذلك انما يكون
بتوفيق الله ونصرته على فعل الطاعة وكف المعصية وعدم الالتفات الى ما يلقيه

الى الشيطان من خطراته فانه يقهر ويغلب ومما يطرد اللعين عن الانسان ذكر الله
كما فهم عن النبي صلى الله عليه وآله ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فاذا
ذكر الله خنس وان نسي التقم قلبه والخطم من كل طائر منقاره ومن كل دابة
مقدم انفه وفمه وعنه صلى الله عليه وآله ان الشيطان ليجثم على قلب ابن آدم له خرطوم كخرطوم
الكلب اذا ذكر العبد الله عز وجل خنس اي رجع على عقبه واذا غفل عن ذكر الله تبارك وتعالى
يوسوس وعن ابن عباس ان الله تعالى جعل الشيطان يجري من بني آدم مجرى الدم
قيل وجريانه لا حقيقي فانه لطيف من نار لا يمنع سريانه كالدم او مجازي لكثرة وسوسته
وملازمته سد المجاري بالجوع وقيل انه يلقي الوسوسة في مسام لطيفة فتصل الى القلب
وقيل معنى جريانه انه لا يفارق ابن آدم حيا كما لا يفارقه دمه وهذا من ضرب المثل
والجمهور حملوه على ظاهره قالوا ان الشيطان جعل له هذا القدر من التطرق الى
باطن الادمي بلطافة هيئته فيجري في العروق التي هي مجاري الدم الى ان يصل الى قلبه
فيوسوسه على حسب ضعف ايمانه وقلة ذكره وكثرة غفلته وبعده ويقدر
تسلطه وسلوكه الى باطنه بمقدار قوته ويضعف بدوام ذكره وخلوص توحيده
وقيل

وقيل ان ابليس قال يا رب انك خلقت آدم وجعلت بيني وبينه عداوة فسلطني عليه
فقال جعلت صدورهم مساكن لك فقال رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك و
رجلك وشاركهم في الاموال والاولاد فشكا آدم الى ربه فقال يا رب انك
خلقت ابليس وجعلت بيني وبينه عداوة وبغضا وسلطته علي وانا لا اطيقه الا
بك فقال لا يولد لك ولد الا وكلت به ملكين يحفظانه من قرناء السوء
قال رب زدني قال الحسنة بعشر امثالها قال رب زدني قال لا احجب
عن احد من ولدك التوبة ما لم يغرغر والغرغرة تردد الروح في الحلق وفي الكافي بسند
صحيح عن احدهما عليهما السلام قال ان آدم عليه السلام قال يا رب سلطت علي
الشيطان واجريته مني مجرى الدم فاجعل لي شيئا فقال يا آدم جعلت لك
ان من هم من ولدك بسيئة لم تكتب عليه فان عملها كتبت له سيئة ومن هم منهم
بحسنة فان لم يعملها كتبت له حسنة وان عملها كتبت له عشرة قال يا رب
زدني قال جعلت لك ان من عمل منهم سيئة ثم استغفر غفرت له قال و
يا رب زدني قال لهم التوبة وبسطت لهم التوبة حتى تبلغ النفس هذه

فقال تجري منهم مجرى الدم
فقال رب زدني

قال يا رب حسبي هذا وقوله فهذه وكلني اي الجأني وفوضه وكلت امري الى فلان اي
الجأته اليه واعتمدت فيه اليه كذا في نهاية ابن الاثير وفي القاموس وكل الامر
اليه وكلا وكولا سلمه وتركه وحيث ظرف المكان بمنزلة حين وهو ظرف
الزمان ويجوز ان يكون مستعارا للزمان وهو على المشهور بين اكثرهم
مبني على الضم مضيف الى الجملة كما في قولك قعد زيد حيث قعد عمرو وان الى المفرد
كما في حيث الغضب والحرمان اما على الاول فلمشابهته بالظروف والغايات
في حذف المضاف اليه لان الجملة المضاف هو اليها لما كانت مؤولة الى
المفرد كانت كانها محذوفة واما على الثاني فلان اضافته الى المفرد لما
كانت نادرة والنادر كالمعدوم حكما حكموا عليه بالبناء واجروا عليه
حكم الاغلب والاكثر خلافا لبعضهم حيث ذهب الى انه في هذه الصورة معرب
للشذوذ [illegible] يوجب بناءه فعلى الاول حيث هنا مضموم وعلى الثاني مجرور والغضب
التعب ومنه فاطمة بضعة مني ينصبني ما انصبها اي يتعبني ما اتعبها والحرمان
مصدر حرمه الشيء حرمانا بالكسر منعه والمحروم الممنوع من الخير ووجه ظم فان عداوة الشيطان

حولان

للانسان بالجبلة والذات فاذا وجد معاونا وهو النفس الامارة
بالسوء غلب عليه وظفر به وخاصة عند خذلانه في ورطه [illegible] فيه و
ويستبعده ويستخدمه في مراداته المشتملة لافعاله القبيحة واعماله السيئة
وتصير تلك الاشياء عادة للانسان وجبلة فيه وطبيعة ثانية فيقسر النفس
ان ظلمة التي هي جوهرة شريفة ودرة لطيفة شيطانية فتكون من اهل اللعين
محشورة مع الشياطين محترقة بنار الجحيم مشاركة لهم في عذاب الجحيم فنعوذ بالله
من الشيطان الرجيم **الهي اتراني اتيتك الا من حيث الامال**
ام علقت باطراف حبالك الا حين باعدتني
ذنوبي عن دار الوصال حرف النداء محذوف كما
في يوسف اعرض عن هذا يعني اخبرني يا الهي هل اتيتك وقت الآمال
وكلمة ام متصلة ويكون لطلب تعيين احد الامرين وعلامتها ان يكون معادلة
الهمزة الاستفهام كما في قولك ادبس في الاناء ام عسل ويجوز ان
يليها الجملة والمفرد بخلاف المنقطعة اي اخبرني اي الفعلين كان واقعا

والهمزة لانكار الفعل اي لم تقع شيء منها ولكن ما كان ينبغي عدم وقوعها وهذا
معنى التوبيخ والتشبيه على الخطاء لترتدع وتنزجر عما كانت تفعله فيما
مضى ففي هذا الاستفهام تقرير بمعنى التحقيق والتثبيت فان عدم وقوعها
امر ثابت محقق وانكار بمعنى انه ما كان ان يكون ما كان ويوجد
في بعض النسخ لفظ الا بعد قوله اتيتك وقوله باطراف حبالك والاظهر
عدمها لانه يتكلم في مقام الاعتراف بعدم رجوع النفس عن المعاصي
والذنوب والاقرار بعدم انقلاعها عن المساوي والعيوب وفي صدد
توبيخها وتهديدها بانها مع كونها ذات امال وذنوب لا تاتي الله
تقتنيه
لاجل الامال بل لم ترجع ولا تتوب عما صدرت عنها من الذنوب والا
على قبايح احوالها وشنايع اقوالها وهذا من خصايص النفس الامارة
ولا على النسخة الاخرى فلعله اشارة الى مقام النفس اللوامة بانها لا تاتي الله
الا من جهة الامال ولا ترجع اليه وقت البعد عن دار الوصال والاظهر
اتيان الى التين فلا وهذا ايضا قبيح مذموم وايضا تركه بل منع عبادته والانقطاع
عن

عن جلب النفع ودفع الضرر كما اشار اليه مع خير البشر ما عبدتك خوفا من
نارك ولا طمعا في جنتك بل وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك والاولى ان
يكون اصل الكلام صادرا عن اللوامة واللوم فيه متوجها الى الامارة وكلمة من
تعليلية مثلها في قوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا وقوله نقضت حاجتي
ونقض من حيائه وقوله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب اي لمكان الاول
والحبل الرباط والرسن والعهد والذمة والامان والجمع حبال قوله فاذا
حبالهم وعصيهم تخيل اليه انها تسعى وانما اسند التعلق باطراف الحبال
دون نفسها اظهارا للعجز والقصور والمراد بها هنا التوبة والانابة والندامة
على ما مضى ونية ترك المنهيات وفعل المامورات فيما ياتي من زمان
التكليف فانها اسباب اذا علق المذنب باطرافها توصله الى دار الوصال
وتقربه الى من هو منتهى الامال والدار محل يجمع البناء والعرصة
ففي الكلام استعارة تصريحية او تشبيه للمعقول بالمحسوس فان دار وصاله
جلاله عز شانه الرفيعة حيث تناله فواتح رحمته وفضله وكرامته الدائمة الذي

لا يتغير حتى يا تعلية القدر ولا يزول عنه بالستر والحجاب فهو كناية عن القرب منه والرفعة
عنده بلا واسطة بين الثواب تشبيها بالقرب المكاني وليس المراد به الملاصقة في
المساكن ولا بالاكمال الاتصال شي بشي كما يتوهمه المجسمة ومن يحذو حذوهم
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا بل المراد التبتل والانقطاع الى الله والتجافي
عن دار الغرور والترقي الى عالم النور والانس بالله والوحشة مما سواه وتصيير
الهموم هما واحدا الجعل الفكر مستغرقا في اسرار الملكوت وقصر الحواس على
اجتلاء انوار الجبروت فان العارف اذا جلس متخليا بربه بلغ بذلك
راحة لنفسه وفراغا لسره ودعة لعقله وطمأنينة لقلبه ونورا مشرقا قد
جلاه وتاج بها لكلاه وصار جليسا لربه وشعارا لخالقه ومعتزما جبارا رقه
ومنادما لمالك دار الفناء ودار البقاء مشرفا بحضرة سلطان السماء
وهو متوق نفسه في اوقات البكاء والدعاء اليه في كما متوق نفس المريض
الى الغذاء والشفاء والعطشان الى الذيذ الشرب والماء قيل لراهب ما اصبرك
على الوحدة قال انا جليس ربي اذا شئت ان يناجيني قرات كتابه

واذا

واذا شئت ان اناجيه صليت وفي كتاب التوحيد عن الصادق ع
ان روح المؤمن لاشد اتصالا بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها
وفي مصباح الشريعة عنه عليه السلام العارف شخصه مع الخلق وقلبه مع الله
لو سهى قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقا اليه والعارف امين ودائع الله
وكنز اسراره ومعدن نوره ودليل رحمته على خلقه ومطية علومه وميزان
فضله وعدله قد غني عن الخلق والمراد والدنيا ولا مونس له سوى الله ولا نطق
ولا اشارة ولا نفس الا بالله من الله مع الله فهو في رياض قدسه متردد ومن لطائف
فضله متزود والمعرفة اصل وفرعه الايمان وعن العسكري عليه السلام من انس بالله
استوحش من الناس وعلامة الانس بالله الوحشة من الناس وسئل الصادق عليه السلم
بال المتهجدين احسن الناس وجها لانهم خلوا بالله سبحانه فكساهم من نوره وفي
خبر انه قال كان فيما اوحى الله الى موسى بن عمران كذب من زعم انه يحبني فاذا
جنه الليل نام يا ابن عمران لو رايت الذين يصلون لي في الدجى وقد مثلت
نفسي بين اعينهم يخاطبوني وقد جليت عن المشاهدة ويكلموني وقد عززت

عن الحضور يا بن عمران هب لي من عينيك الدموع ومن قلبك الخشوع ومن بدنك
الخضوع ثم ادعني في ظلم الليالي تجدني قريبا مجيبا وفي سيد الساجدين ع
في مناجاته للمحبين الهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلا
ومن ذا الذي انس بقربك فابتغى عنك حولا الهي فاجعلنا ممن اصطفيته لقربك
واخلصته لودك ومحبتك وشوقته الى لقائك ورضيته بقضائك ومنحته
بالنظر الى وجهك وحبوته برضاك واعذته من هجرك وقلاك وبوأته مقعد
الصدق في جوارك وهذا الكلام منه عليه السلام اشارة الى الجنة العقلية التي
للمقربين وهي جوار الله وحضرته المشار اليها بقوله سبحانه ان المتقين
في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر فلا يبعد ان يكون المراد
بالوصول هذه الجنة والمجاورة قال صاحب عرائس البيان وصف الربانيين بقوله
هذه منازل المتقين الذين اتقوا على الله بنعت المعرفة والمحبة وخرجوا بها
عن من البرية وتلك المنازل عالم الشهادة ومقامات الغيبية جنانها
زخارف الانس وانوارها انوار القدس اجلسهم الله على بساط القربة والمداناة التي
يدعى

لا يتغير صاحبها بعلة القهر ولا يزول عنها بالحجاب والستر لذلك سماه
مقعد الصدق اي محل كرامة دائمة وقربة دائمة ومواهب سرمدية وزلفة ابدية
انتهى وسئل ابو جعفر عن شيء من الغريب قال الذي يطلبه رضوان في الجنة فلا يجده
ويطلبه مالك في النار فلا يجده ويطلبه جبرئيل في السموات فلا يجده ويطلبه ابليس
في الارض فلا يجده قال له اهل المجلس وقد تفطرت قلوبهم يا ابا جعفر فاين
يكون هذا الغريب قال في مقعد صدق عند مليك مقتدر قال بعض العارفين فمن
من اصحابنا ان هؤلاء الاصفياء وان كانوا من جهات هوياتهم العقلية مقربين
منه تعالى جالسين في مقعد الصدق تحت قبة الجبروت لكنهم من جهة نفوسهم
المطيعة لامر الله المسلمة لحكمه يسرحون في مراتع اللذات ويتنعمون بنعيم
الجنات فلارواحهم التي هي عقولهم بالفعل جنات معنوية من المعارف والعلوم
ولانفسهم جنات صورية من اللذات والشهوات شاهدها من طرق قواها
الحسية والعملية من اكل وشرب ونكاح وغيرها جزاء بما صبرت في الدنيا
من لذاتها وحبست عن قواها من شهواتها والملائكة يدخلون عليهم من كل باب

سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار انتهى ولما كانت الذنوب المبعدة عن
دار الوصال من جملة اعمال النفس الامارة بالسوء وشهواتها البهيمية والسبعية من الكبر
والحسد والعجب والغرور والحرص وحب الجاه والمال ونحوها كلها في عهدة النفس ومتفرع
على القوة الماضية **فبئس المطية التي امتطت نفسي من**
هواها الهوى مادام متمكنا في ارض النفس لا يمكن مواخذة الالات عنها
رأسا بل كلا وفيها حالات الا ما كانت اولا والالزم تخلف المعلول عن علته التامة
والمطية فاعل فعل الذم والموصول بصلته صفة للمخصوص بالذم وهو المطية المحذوفة
المعينة بصفته بمطية المذكورة لان اللام فيها للعهد الذهني وهي لم احد غير معين يصير
معينا بذكر المخصوص ففي الكلام تفصيل بعد اجمال فيكون اوقع في النفس
ومن هو الا بيان للمطية المخصوصة بالذم فهو المخصوص به حقيقة لانه لما قال
فبئس المطية واجمل فكانه سئل عنها وقيل ما هي فقال هي نفس الذي امتطته
الرحلة سيئة لانها تمطي بها في ازيد وتزيح ولا تقف الا عنده وهذا اسند حال الهوى
فانه يزيح السير مريد الذهاب جدا لا يقف موقفا اصلا وكذلك شبهه بالمطية
وجهها به

وجهها به والمطية انما هي التي تركب مطاها اي ظهرها يقال مطا اذا جد في السير واسرع
وهذا مقام النفس اللوامة والذم فيه توجه الى الامارة فدل الكلام مع انه عليه السلام
كان ما قد عليها انه دماغها صدرت عنها من الذنوب تابعا عما ارتكبه من المساوي
والعيوب وهذا من اجل المقامات واشرف الصفات واحسن السمات
روي ان عابدا عبد الله سبعين عاما صائما نهاره قائما ليله فطلب الى الله
حاجة فلم تقض فاقبل نفسه فقال من قبلك اتيت لو كان عندك خيرا
قضيت حاجتك فانزل الله اليه ملكا فقال يا ابن ادم ساعتك التي ازريت
فيها على نفسك خير من عبادتك التي مضت **تذنيب** توبيخ النفس
ومعاتبتها باب عظيم في ابواب المرابطة في سبيل الله فان للعارفين
في سبيل الله ومرابطتهم مع انفسهم مقامات خمس المشارطة ثم المراقبة
ثم المحاسبة ثم المعاقبة وضربوا لذلك مثالا دقيقا لو ابتغى ان يكون
حال الانسان مع نفسه حاله مع شريكه اذا اسلم اليه مالا ليتجر به فالعقل
هو التاجر في طريق الاخرة وتطلبه وربحه تزكية النفس اذ بها فلاحها

قد افلح من زكيها فالعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة اذ يستسخرها
فيما يزكيها كما يستعين الانسان بشريكه وكما ان الشريك يصير خصما
منازعا يجاذبه في الربح فيحتاج ان يشارطه اولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه
ثالثا ويعاقبه رابعا فكذلك العقل يحتاج الى هذه المقامات الخمس الاول المشارطة
وهي ان يشارط النفس اولا فيوظف عليها الوظائف ويامرها بسلوك
طريق ورشدها اليه ويحرم عليها غيره كما يشترط التاجر على شريكه الثانية
المراقبة وهي ان لا يغفل عنها لحظة فيلحظ حد خوضها في الاعمال ويلاحظها
بالعين الكالية فان الانسان ان غفل نفسه واهملها لم ير منها الا الخيانة
وتضييع راس المال كالعبد الخائن اذا انفرد بمال سيده الثالثة
المحاسبة وهي ان يحاسبها بعد الفراغ من العمل ويطالبها بالوفاء بما
شارطها عليها اولا فان هذه تجارة ربحها الفردوس الاعلى فتدقيق الحساب في هذا
اهم من التدقيق في ارباح الدنيا لحقارتها بالنسبة الى نعيم الآخرة فلا
ينبغي ان يترك مناقشتها في ذرة من حركاتها وسكناتها وخطراتها
ولحظاتها

ولحظاتها فان كل نفس من انفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن ان
يشترى بها كنز من كنوز الآخرة لا يتناهى نعيمه ولا ينقطع مقيمه قالوا وينبغي للانسان
ان يخلو عقيب فريضة كل صبح بنفسه ويقول لها يا نفس ما لي بضاعة الا العمر ومهما
فني فقد فني راس مالي ووقع الياس من التجارة وطلب الربح وهذا اليوم جديد قد
امهلني الله فيه ولو توفاني لقلت رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت فاحسبي انك
توفيت ثم رددت فاياك وتضييع هذا اليوم والغفلة فيه الرابع المعاقبة
والتوبيخ وقد علمت ان لك نفسا امارة بالسوء ميالة الى الشر وقد امرت بتقويمها
وقودها بسلاسل القهر الى عبادة ربها وطاعة خالقها فسبيل المعاقبة والتوبيخ ان
يعد على النفس عيوبها ويذكر لها ما هي عليه من الجهل في ارتكاب المعاصي والحمق في
سلوك سبيل الشيطان لتذل وتنكسر وتضعف سورة شهوتها وتستعد بذلك الى امتثال
اوامر الله وزواجره قال بعض العارفين النفس شرود جموح فان اهملتها لم تظفر
بها بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والملامة كانت نفسك هي النفس
اللوامة الخامس المعاقبة والمجاهدة وذلك اذا راى نفسه قد قارفت وهمت بها

فينبغي ان يعاقبها بالتضييق عليها في الامور المباحة ويأخذها بالصبر عنها وان اداها تفوت
وكسلها عن شيء من الفضائل وورد من الاوراد فينبغي ان يؤدبها بتثقيل الاوراد
عليها ليكون مهانة نفسها من الطاعات جبرا لما فات **فواها لما سولت لها**
ظنونها ومناها اي تلهفا او توجعا او تعجبا فان واها في الاصل من
الاصوات الجارية مجرى لفظ الاذان ثم نقل الى باب المصادر وانتصابه المصدرية من غير
ان يصير اسم فعل فحكمه حكم المصادر وهو للتعجب وفي الحديث من ابتلي فصبر فواها واها
قيل معنى هذه الكلمة التلهف وقد توضع موضع الاعجاب بالشيء يقال واها له وقد
ترد بمعنى التوجع ويقال آها ومنه حديث ابي الدرداء ما انكرتم من زمانكم فيما
غيرتم من اعمالكم ان يكن خيرا فواها واها وان يكن شرا فآها آها وفي كتب
الادبية في افعال التعجب واها كلمة تستعمل في التعجب منصوبة على المصدرية ولم يجئ
فعلها عند الاكثر وقال الجوهري تعجبت من طيب الشيء قلت واها له اي ما اطيبه والتسويل
تحسين الشيء وتزيينه وتحبيبه الى الانسان ليفعله او يقوله يقال سولت له نفسه
كذا او سول له الشيطان اغواه وفي التنزيل سولت لهم انفسهم ما كانوا يعملون

وانما اسند التسويل الى ظنونها ومناها ليدل بذلك على خستها وغرورها بانها
تظن امرا او تتمناه فيصير بذلك عندها محبوبا مستحسنا معقولا فاستتر
فضله وهي على غير بصيرة ويقين منه فانها مثلا تتمنى البقاء في الدنيا وطول
بقائها فيها فتأخذ في تحصيل ما يحتاج اليه من اموال وآلات واسباب وتؤخر
التوبة والاقبال على الامور الاخروية الى الكهولة ومنها الى الشيخوخة وهكذا من وقت
الى وقت ومن يوم الى يوم ومن شهر الى شهر ومن سنة الى سنة وهذا منها مجرد تسويل
شيطانها وتغرير نفسها في مسند ظنونها ومناها فانها ليست على يقين من بقائها
الى الكهولة فربما يأتيها موتها من ساعتها بغتة فيتخطفها وهي غافلة عنه
غير مستعدة له مستغرقة في الدنيا وامورها فتطول حسرتها وندامتها في
الآخرة وهذا منها غريب عجيب توقع هجوم الموت في كل ساعة فانك
لا تدري الموت نازل فما عذر من يلهو وقد شاب راسه وقد انقضت ايامه
وهو غافل **وتبا لها لجرأتها على سيدها ومولاها**
التب النقص والخسار والقطع والهلاك تبت يدا ابي لهب قال تعالى تبت

تبا فهو منصوب بفعل مضمر متروك الاظهار اي تبت نفسي تبا بجرئتها با
لاقدام على معصية سيده والاحجام عن طاعته فالمضاف محذوف
واضافة الجرءة الى الضمير لقصد تعظيم شان المضاف فان تعظيم الذنب حال
الاعتراف والاعتذار ادعى لقبول التوبة ولا اضافة السيد الى الضمير فاما
للتهويل او تعظيم شان المضاف او اظهار التاسف والتحسر على عدم طاعته
وانقياد امره والتعبير عنه بانه سيده ومولاه ادخل والاضافة اخصر الطرق
الموصلة اليه او للتنبيه بانه ما كان ينبغي للعبد ان يجترئ على سيده سيما
سيد ذات ومالك الملوك الذي اوجده وانعم نعما ظاهرة وباطنة
بل غير متناهية ان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والجراءة بالضم الشجاعة
وهي صرامة القلب على الاهوال وربط الجأش في المخاوف وهي فضيلة
بين التهور والجبن فالتهور هو الثبات المذموم في الامور المعطبة والجبن
هو الفزع من الامور المعطبة فان قلت كيف يجوز على الامام المعصوم ان يقول
نفسه وتغليب هواه الا ان يجترئ على سيده ومولاه قلت هذا من باب
تعبيرهم

تعبيرهم بالفعل عن مشارفته اي شارفت ان تقول نفسي لان التقول قد وقع
منه ترحيب وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم اي شارفوا
ان يتركوا الصحيح ووقوع جزاء الشرط الخوف بعد الموت ومنه قول الشاعر
الى ملك كاد الجبال لفقده :: تزول وزال الراسيات من الصخر :: فان المراد
شارفت الزوال لان الزوال وقع وعلى هذا فلا بد فان قيل ان المعصوم
لما كان في قالب البشر وصاحب ناسوت وكانت له قوى حيوانية تقتضي ذنبه
تداعيه الى الشر والضرر شارفت ان تقول له المعصية والجراءة عليها ويمكن في ذلك
بانها في العصمة او يكون هذا من باب عدهم للاشتغال بالمباحات ذنبا
واعتقادهم كونه خطيئة مع ما فيه من كمال الخضوع والخشوع لله او الاعتراف
بالتقصير اذ في جميع الطاعات والعبادات وقد مر فيه كلام بسيط او يكون هذا
من باب تعليمهم الامة والرغبة كيفية الطاعة والعبادة والخضوع والخشوع
هو المولى اسم يقع على جماعة كثيرة والمراد به هنا الرب او المالك او المنعم
او المعتق بالكسر او السيد فلطف التفسير وملائمته لسوء حاله وشناعة ما له ذنبا

افعاله وقبائح اقواله واستشعر منه خوفا وندم عما كان منه رجع الى قرع باب
الرجاء والهرب من كثرة الاهواء فقال **الهي قرعت باب رحمتك**
بيد رجائي وهربت اليك لاجئا من فرط اهوائي
ملاسوى قرعت لبابك حيلة فلئن رددت فاي باب اقرع القرع الدق
والقرب قرع ناقة ضربها بسوطه ومنه ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن
فلول من قراع الكتائب ومنه من قرع الباب ولج وولج ومنه ما ورد في الخبر
من يكثر قرع الباب يفتح لك والرجاء بالفتح والمد حالة نفسانية موجبة
لفرحها بسبب توقع امر مطلوب مظنون حصوله ويقال لجأت الى فلان
اذا استندت اليه واعتضدت به والفرط من افرط في الامر اذا جاوز فيه الحد
اي من كثرة اهوائي وتجاوزها الحد وبيد رجائي متعلق بقرعت وفيه استعارة
بالكناية وتخييل وكذا في تشبيه الرحمة بالمنازل المحوشة في دار معلق بابها
استعارة واثبات الباب تخييل والقرع ترشيح والبواب الديار
الفاتح لباب الرحمة هو المخاطب جلت عظمته وعمت رحمته ومن فرط

اهوائي

اهوائي متعلق بهربت والاضافة لامية واليك متعلق بلاجئا وهو منصوب
على الحالية من ضمير المتكلم اي وليت هاربا مستندا اليك طالبا ومعتضدا بك فرارا من شدة الاهواء
المفرطة بالاعداء المهلكة والهرب منهم والالتجاء الى الله فالاستعارة بالكناية وترشيح
وفيه دلالة على غاية تلك الاهواء الطاغية ومغلوبية النفس الضعيفة وقهرها
في الغلبة عليها وجعلها منقادة تحت قهرها العقاب الى اعانة الله تعالى ونصرته والاعتصام بحضرته.
وعلقت باطراف حبالك انامل ولائي مجتبى لا لا فالاضافة
لامية والاستعارة مكنية وتخييلية وترشيحية حيث شبه الولاء بالشخص الذي ثم
اثبت له الانامل والعلاقة او جبود ثم او معتقة لك لانك منعم متبرع ولم
تبرء من ضمان جريرته وليس له وارث سواك والانامل رؤوس الاصابع وفيه وفي
اسناد العلاقة الى الاطراف نوع اشعار بالعجز والقصور كما سبق في نظيره والولاء بالفتح
اصلا القرب والدنو ويطلق على ولاء العتق وهو قرب احد الشخصين بالآخر
على وجه يورث الارث بغير نسب ولا زوجية وفي اطراف حبالك استعارة
تصريحية وترشيح او تخييل ولما عبر فيما وبه وما فيه بنوره ومعاصيه ثم التجاء الى

قارعا باب رحمته تعالى باطراف جناح وهو تعالى حث على التوبة والندم و
كتب على نفسه الرحمة والكرم فقال توبوا الى الله جميعا انه هو التواب الرحيم
ان الله يغفر الذنوب جميعا فرع على ذلك قوله فاصفح اللهم عما
اجرمته من زللي وخطائي اي الا ان الاعتراف بالذنوب والاقرار
بالمعاصي والعيوب موجب لغفرانها بسبب لكتمانها بحيث لستراتها ففي الكافي عن
الباقر عليه السلام اما والله ما اراد الله من الناس الا خصلتين ان يقروا بالنعم فيزيدهم
وبالذنوب فيغفر لهم وعنه عليه السلام والله ما ينجو من الذنوب الا من اقر بها
وقال الصادق عليه السلام والله ما خرج عبد من ذنب الا بالاقرار وفي الاقرار خمس
فوائد الانقطاع الى الله وانكسار القلب وفيه من الفضيلة ما لا يخفى ان الله عند المنكسرة
قلوبهم وربما يحصل عنده رقة القلب وهي دليل الاخلاص وعنده تكون الاجابة
وربما كان سبب البكاء وهو سيد الاداب الى ما سوى ذلك من الامور التي قرن عليها السلام
والصفح العفو والتجاوز واصله من الاعراض بصفحة الوجه كانه يعرض بوجهه عن ذنبه
ومنه الصفوح في صفة الله تعالى وهو العفو عن ذنوب العباد والمعرض عن عقوبتهم
تكرما

تكرما وقيل الصفح هو ان تعرض عن الشيء وتوليه بصفحة وجهك وتبقى له اثرا ما
والعفو ان تعفو فلا تبقى له اثرا وقيل العفو ان لا تؤاخذ والصفح الاعراض وعدم
التثريب والاعراض فهو من حيث شموله العدم تذكيره اخباره كان ابلغ ولعله لذلك
اثره عليه السلام والعفو ابلغ من وجه اخر وهو المحو بالكلية من عفت الريح اذا ذهبت اثره
ومنه رسم عفى من بعد ما قد امحى وكلمة ما عبارة عن الذنوب والمعاصي وكان ما تم
ولفظة من تعليلية اي من الذنوب التي وقعت وصدرت مني للذي جاز زللي وخطائي
ويحتمل ان تكون مبهمة مفيدة للعموم مفسرة بمدخول من فلفظة من بيانية
والزلل الخطاء والذنب فالعطف للتفسير واصله من زلت القدم اذا زلقت
ولم تثبت ففيه استعارة مصرحة او تشبيه المعقول بالمحسوس قال الزمخشري
هو نوع من انتقال الجسم من مكان الى مكان يقال ان زل من مكانه زللا من باب
ضرب تنحى والاسم الزلة بالكسر والزلة بالفتح المرة ثم استعير لزوال عن
الحق والصواب والخطاء مهموز بفتحتين ضد العمد وهو ان تفعل شيئا من غير
ان تقصد فعله ومنه رفع عن امتي الخطاء والنسيان وما استكرهوا عليه وقيل

انه العدول عن الصواب بان يريد غير ما يحسن ارادته فيفعله وهو المأخوذ به او يريد
ما يحسن فعله ولكن يقع له خلاف ما يريد او يريد ما لا يحسن فعله ويتفق منه خلافه
فهو مخطئ ارادة مصيب فعلا فهو مذموم بقصده غير محمود بفعله وقد يطلق على
المعصية وان كان فاعلها متعمدا من انها ضد الصواب والخطيء الذنب والاثم
يقال خطئ في دينه خطأ اذا اثم وَأَقِلْنِي اللّٰهُمَّ مِنْ صَرْعَةِ رَدَائِي
الصرعة بضم الصاد وفتح الراء الذي يصرع الناس ولا يصرعونه وبفتح الصاد وسكون الراء
مصدر صرعه اذا رماه والقاه على الارض ومنه المصروع وهو المختل الفاسد العقل من خلل
في العقل والفكر فيورثه اضطرابا كالمجنون فيلقيه على الارض والعامة يزعمون ان
الشيطان يخبطه فيصرعه وبعضهم يظنون ان الخبط الجن اياه فيختلط عقله والرداء
بالمد معروف وهو الثوب او البرد الذي يضعه الانسان على عاتقه وبين كتفيه فوق
ثيابه شبه به الخطيئة والذنوب والاثام والعيوب مبالغة في كثرتها واحاطتها
واشتمالها وغلبتها من قبيل قوله تعالى بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته
او اشعارا بلزومها وعدم انفكاكها من صاحبها صير الدعاء جعلها له الغطاء

من الهلاك البقاء ولا بقاء فليحفظ الرداء فالاستعارة تحقيقية تصريحية او
يكون من الردى بمعنى الهلاك كما يوجد في بعض النسخ والكناية هنا الوقوع في
الاثم فانه الهلاك الابدي والشقاء السرمدي والاضافة من اضافة الصفة الى الموصوف
او اللامية اي اقلني من ذنوبي واثامي الصارعة والاول اوفق بالقرينة [illegible]
والثاني بالتالية فَإِنَّكَ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ تعليل الدعاء
او مزيد استدعاء الاجابة فان العبد اذا جنى خطأ ففديته على سيده ومولاه
فكيف اذا كانت الجناية بالاضافة الى المولى وتاكيد الجملة الغرض كمال قوة يقينه
فانك بحذف حرف الجر وهو قياس مطرد او نقول لما كان مضمون الخبر مظنة
التردد والانكار حسن فيه التاكيد والقول بان المخاطب به هو الله تعالى وهو
لا يتردد في سيادته ومولويته كيف وهو سيد السادات ومولى الموالي
مجاب بان امثال هذه الخطابات من قبيل السمع باجابة واكثر ما يخاطب الله
بالعبارات مما فيه التاكيد من هذا القبيل وقد ذكر الزمخشري وعبد القاهر ان له وجوها
اخرى غير دفع الشك ورد الانكار منها الاهتمام بمضمون الكلام وتقريره

واذا ركبان الغاية به كاف انا فتحنا وانا اعطيناك ولم يثلها والمولى اسم يقع
على جماعة كثيرة الرب والمولى والسيد والمنعم والمعتق والناصر والمحب والتابع
والجار وابن العم والحليف والعقيد والصهر والمنعم عليه والاولى بالتصرف
ومنه من كنت مولاه فعلي مولاه اي من كنت اولى منه بنفسه فيصدق
كل واحد لها ما يقتضيه المقام وسيما معنى السيد ومعتمدي لاني لا اعتمد
الا عليك ولا اثق الا بصفحك واقالتك ولا التفت الى شيء من الوسائط
بيني وبينك فاوردت رجائي عليك مسترفدا افضالك متلبسا بالاعتماد على
وفائك بما وعدت الراجين لك من انجاح مطالبهم واسعاف مآربهم قالوا
من عرف الله بجوده وكرمه وغناه قصده ورجاه وعلامة رجائه رغبته في
عبادته وحبه لطاعته والاعتماد على فضله وخيره وعدم الالتفات الى غيره
والاشارة بقوله ورجائي لاني لا ارجو الا فضلك والرجاء قيل ظن تحقق
حصول ما فيه مسرة وقيل تعلق النفس بحصول محبوب في المستقبل وهو مقام
رجاء المغفرة قالوا مع عدم التوبة عن السيئات ورجاء لقبول الحسنات ورجاء
لتغفر

للتفضيل والمصدر بمعنى المفعول اي مرجو فيه مبالغة كما في قولها انما هي اقبال وادبار
وقول الهوى مع الركب اليمانين مصعد فالمجاز لغوي ويمكن ابقاء المصدر بحاله
على ما هو حقيقة بجعل التجوز في الاسناد وهو اوفق بما عليه ائمة المعاني حيث جعلوا التجوز العقلي
في انما هي اقبال وادبار حاملين المجاز اللغوي قالوا لم ترد بالاقبال غير معناه الحقيقي حتى يكون مجازا
في الكلمة وانما المجاز في ان جعلها لكثرة ما تقبل وتدبر كانها تجسمت من الاقبال والادبار
فهو تشبيه لما كان حقيقا بان يكون رجاء كل راج في كل ما يرجو محسنا كان ام مسيئا فكانما
صار رجاء مجسما فالتجوز في الاسناد ويمتنع ان يكون الرجاء معادلا للخوف كما ورد
ان ليس من عبد مؤمن الا وفي قلبه نوران نور خيفة ونور رجاء لو وزن لم يزد
على هذا ولو وزن هذا لم يزد على هذا قال بعض الاعلام وذلك لان المؤمن
لا يخلو عن تصور اسباب الخوف والرجاء وتجويز وقوع كل واحد منهما بدلا
من الآخر بحيث لا يرجح احدهما على الآخر اذ لو رجح الرجاء لزم الامن في غير موضعه
فامنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ولو رجح الخوف لزم
اليأس الموجب للهلاك لانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ومنه طرز

ان الخوف غير القنوط وانه والرجاء ينبغي ان يكونا متساويين مطلقا
واما الرجاء الصرف البحت فمذموم قيل للسيد الصادق عليه السلام ان قوما
من مواليك يلمون بالمعاصي ويقولون نرجو فقال كذبوا اولئك ليسوا لنا بموال
اولئك قوم ترجحت بهم الاماني من رجا شيئا عمل له ومن خاف شيئا هرب منه
قال بعض العارفين الرجاء والخوف كجناحي الطائر اذا استويا استوى الطائر وتم
طيرانه واذا نقص احدهما كان جار باله فسقط على رأسه واذا ذهبا هلك الطائر
وقال ابو عثمان المغربي من حمل نفسه على الرجاء تعطل ومن حملها على الخوف قنط
ولكن ينبغي ان يخاف العبد راجيا ويرجو خائفا **وغاية مناي** وذلك
لان لكل احد مطلوبا في حوائجهم حتى يشير اليك فليس فوق مطلوب اولياء المطلوبين منك
الجأ لعبد يأسهم عن المخلوقين وطلبهم منهم و الحاصل ان الغاية تطلق على المدى والنهاية
وعلى امتداد المسافة وعلى الغرض والمقصود من الشيء وعلى الراية والعلامة وهذه
الفقرة تحتمل وجوها الاول ان تكون الغاية بمعنى الغرض والمقصود اي هو جل وعز
مقصودي من جملة مقصودي او ذريعة اي كل من له مطلب وعجز عن تحصيله بسعيه توسل اليه لا

الثاني

الثاني ان يكون المراد بها النهاية اي الرب لا كغاية امال الخلق يدعون عند انتهائها
باسمائه العظام الثالث ان يكون المقصود انه لا غاية لافكارهم ومصنوع
عقولهم اذ غاية ما يصل اليه افكارهم ويحصل في اذهانهم موصوف بالصفات
الزائدة الامكانية وكل موصوف كذلك فهو مصنوع **في منقلبي ومثواي**
في وقت رجوعي من الدنيا الى الاخرة بعد الموت وقراري في قبري والجنة ان احب او لعدم النجاة
من العذاب والمنقلب الانقلاب من السفر والعود الى الوطن ومنه دعاء السفر اعوذ بك
من كآبة المنقلب وهو بفتح اللام مصدر ميمي بمعنى الانقلاب وهو الرجوع مطلقا اي مرجعي
يعني انه يعود كل روح بعد ما فارق البدن الى وطنه الاصلي ويتم الخير وسيعلم
الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون والمثوى المقام والمسكن والمنزل من ثوى
بالمكان يثوي اذا اقام فيه ومنه والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام
والنار مثوى لهم والله يعلم متقلبكم ومثواكم والجار والمجرور اما متعلق بكل من الفقرات
الثلث او مقصور على الاخيرة منها اي انت غاية منائي في انقلابي من سفري هذا
واقامتي في جوارك وديارك ولما طلب عليه السلام الصفح عن ذنبه والاقالة من عثرته

زوجه غاية وهكذا خيره ولكن
ذاته غيرما هو غاية له

حيوته ورام الالقاء في جواره ودياره وكان الوهم من احكم الفطار في ذلك متكلما منه انه
يطرده ويرده ويخيّبه عما قصده استبعد منه ذلك فقال إلهي كيف تطرد
مسكيناً التجأ إليك من الذنوب هارباً
الالتجاء كيف اسم يسئل به عن الحال اي عن كيفية الشيء وصفته التي عليها وههنا
للاستفهام الانكاري بمعنى الانكار الواقع والتعجب منه كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله
وعند رسوله الآية وفي توجيه الانكار الى كيفية طرده تعالى المسكين الملتجئ اليه من المبالغة
ما ليس في توجيهه الى نفس طرده بان يقال اتطرد مسكينا التجأ اليك لان كل موجود
يجب ان يكون وجوده على الطرق البرهانية وهي اعني كيف في محل النصب على التشبيه
بالحال او الظرف اي على اي حال او في اي حال وصفة تطرد مسكينا والطرد
الدفع والابعاد طردت الرجل طرداً اذا ابعدته فهو مطرود وطريد
وطردته اي دفعته والمسكين من المسكنة وهي الذلة والافتقار وهو مفعيل
من السكون ويطلق على من لا كسب له ولا مال يفي بمؤنته وهل هو اسوء حالا
ام الفقير خلاف والحق انه اسوء حالا لما ورد في الصحيح عن ابي عبد الله الصادق
انه

انه قال الفقير الذي لا يسأل الناس والمسكين اجهد منه والبائس اجهدهم والمراد به
هنا من لا حيلة له ولا قدرة له على كسب حسنة بل هو مغمور في بحار الذنوب مستور
في حجب العيوب فهو اسوء حالا من الفقير ولذا اثره وفي الكلام استعارة
تحقيقية تصريحية او استعارة تمثيلية وجملة التجأ اليك منصوبة محلا صفة له والالتجاء
الاستناد والاعتصام تقول لجأت الى فلان والتجأت ولجأت اذا استندت اليه
واعتضدت به اي التجأ الى رحمتك ومغفرتك وعفوك وصفحك بحذف
المضاف وهارباً حال من ضمير الفاعل ومن الذنوب متعلق به والهرب
الفرار وهما مترادفان وفرار العبد الى الله تعالى على مراتب فاولها الفرار من
بعض اثاره الى بعض كالفرار من اثر غضبه الى اثر رحمته كما قال تعالى حكاية عن
المؤمنين في التضرع اليه ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا
الآية فكأنهم لم يروا الا الله تعالى وافعاله ففروا من بعضها الى بعض الثانية ان يفنى
العبد عن مشاهدة الافعال ويترقى في درجات القرب والمعرفة الى مصادر الافعال
وهي الصفات فيفر من بعضها الى بعض كما ورد عن زين العابدين عليه السلام اللهم اجعلني

اسوة من قد انهضته بني وزلت عن مصارع المجرمين فاصبح طليق عفوك
من اثر سخطك والسخط والعفو صفتان فاستعاذ باحديهما من الاخرى ثم
ان ترقى من مقام الصفات الى ملاحظة الذات ففر منها اليها كقوله لا
لا ملجأ منك الا اليه وكما ورد في الدعاء في القيام الى الصلوة منك وبك ولك
واليك اي منك الوجود وبك قيامه ولك الحكم واليك رجوعه ثم اكد ذلك بقوله
بقوله لا ملجأ ولا منجى ولا مفر منك الا اليك وقد جمع الرسول صلى الله عليه وآله
هذه المراتب حين امر بالقرب في قوله تعالى واسجد واقترب فقال في سجوده اعوذ
بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك فاستعاذ
اولا ببعض افعاله من بعض ثم ترقى الى مصادرها فاستعاذ ببعض صفاته
من بعض ثم ترقى الى ملاحظة الذات فاستعاذ به منه فهذه ثلث مراتب
للفرار الى الله تعالى والمرتبة الثالثة هي اول مقام الوصول الى ساحة العزة ثم
للسباحة في لجة الوصول درجات لا تتناهى كذا نقل عن بعض العارفين
ولا يخفى ان ما نحن فيه من القسم الاول اذ المراد انه فر من عقاب الذنوب

دعو

وهو اثر الغضب الى كنف حمايتك وهو اثر الرحمة فتأمل ومعنى هذه التعدية
فعلم من ابتدائية والمضاف محذوف اي هربت من عذابها او خوفها الى ملك
وهذه التعدية تحتم اذ لا معنى من ذات الذنوب فان قلت هلا حملت على معنى
التعليل ليكون المعنى هربت اليك من اجل الذنوب قلت يعين كونها ابتدائية
مقابلتها بالى قال الشارح وتعرف من الابتدائية بان تحسن في مقابلتها الى
نحو تبرأت من فلان الى فلان حتى انه قال من التعليلية نحو لم آتك من سوء
ادبك كانها ابتدائية لان ترك الاتيان حصل من سوء الادب وتشبيه الذنوب
بالعدو الغالب بجامع الاهلاك والاضرار استعارة مكنية والهرب منها اليه
ترشيح ثم انه عليه السلام التفت بعد ما استبعد من التكلم الى الغيبة حيث لم يقل
كيف تطردني تفننا في الكلام واستعطافا بالمسكنة والذلة واشعارا
بان المسكين الملتجي لا ينبغي طرده فهو على طريقة قوله الهي عبدك العاصي اتاكا
مقرا بالذنوب وقد دعاكا ∴ فان تغفر فانت لذاك اهل ∴
وان تطرد فمن يرحم سواكا ∴ فان في ذكر المسكنة وكذا الاقرار والغفران

من استحقاق الرحمة وترقب لشفقة ما ليس في تطرده وتخيبه وترده وهو ظمآن

أم كيف تخيب مسترشداً قصد إلى جنابك ساعيا

خاب يخيب خيبة حرم وخيبه الله لم ينله ما طلب وفي المثل الهيبة خيبة ويقال

خيبة لزيد بالرفع والنصب دعاء عليه ومنه الحديث خيبة لك ويا خيبة الدهر

والرشد بالضم والسكون وبفتحتين والرشاد الهدى والاستقامة وقال

الواحدي الرشد إصابة الخير وهو خلاف الغي ومنه إرشاد الضال أي هدايته

الطريق وتعريفه وقال الراغب الرشد خلاف الغي يستعمل استعمال الهداية يقال رشد يرشد رشدا وقال بعضهم الرشد أخص من الرشد فإن الرشد بالضم يقال في الأمور الدنيوية والأخروية والرشد بفتحتين في الأخروية لا غير والمراد هنا عناية إلهية تعين الإنسان عند توجهه في أموره فتقويه

على ما فيه صلاحه وتفتره عما فيه فساده وأكثر ما يكون ذلك في الباطن نحو قوله تعالى

ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين فالمسترشد من يطلب الرشد

والهداية ساعياً وجاهداً في ابتغاء مرضاته وجهاده كقوله والذين جاهدوا فينا

لنهدينهم سبلنا وقصدت الشيء وله وإليه من باب ضرب طلبته بعينه وقصدت قصده

نحوت نحوه والجملة في محل النصب على الوصفية والسعي العدو والمبالغة في الذهاب

والمشي والكد فيه والجد والتصرف في كل عمل ويتعدى بالمعنى الأول بإلى وبالمعنى الثاني

باللام

باللام وفي محكم اللغة السعي الكسب وكل عمل من خير أو شر وقال العيني في المصباح

أصل السعي التصرف في كل عمل وعليه قوله تعالى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وساعياً منصوب

على الحالية والتمييز وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب جل من ذلك الملك الكريم المنجح النعيم السعادة

بالكناية وإثبات الجناب وهو الفناء والرحاب والناحية تخييل أو ترشيح والمراد

أنه تعالى بكرمه لا يخيب من قصده فما أشغله عنك وتبتل بشراشره إليك لترشده مرشد الحق

واليقين وتنظمه في سلك الأولياء المتقين **أم كيف تطرد ظمآنا**

ورد الحياض شاربا الرد المنع يقال رده عنه ردا

وهو كناية عن الحرمان ومنع المعروف ومنه رد السائل إذا حرمه ولم يعطه شيئا والظمأ

شدة العطش ومنه قول القاضي عبد العزيز الجرجاني: يقولون لي فيك انقباض وإنما

رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما: إذا قيل هذا مورد قلت قد أرى ولكن نفس الحر تحتمل الظما:

والظمآن كالعطشان وزنا ومعنى ويقابله الريان وفيه استعارة تحقيقية تصريحية حيث

شبه الراجي المحتاج إلى الرحمة والمغفرة بالظمآن ثم ذكر المشبه به وأريد المشبه وتقول وردت

الماء وردا وورودا إذا حضرته لتشرب وقال ورد زيد علينا أي حضر والورد خلاف الصدر
ويقال الورد الماء الذي يورد

بلطف الله

[illegible]

وهو افاتها اياه ثم استعمل في غيره مجاز اتفاقا في الاساس وردوه ام لم تطيعه واوردت
على غمض وهو ابدل على انه مستعار بعد فلعله عليه السلم ضمنه معنى التوجه فعداه بعلى
والحوض معروف وهو ما يجتمع فيه المياه وحياضك بحذف المضاف اي حياض
رحمتك وعفوك ومغفرتك ففيه استعارة بالكناية وتخييل والورود ترشيح
وشاربا منصوب على الغاية اي الشرب او الادارية اي قصد الشرب كماه لوا
نظيره في قوله فتبسم ضاحكا وهو ايضا من علامات المشبه به **تذنيب**
كلمة ام متصلة لطلب التصور وتعيين احد الامرين مع العلم بثبوت اصل الحكم و
علامتها ان تكون معادلة لهمزة الاستفهام وقرينة لها كانه في قولك
ادبس في الاناء ام عسل وتجويز ان يليها الجملة وهي كما في الاخرى الجزء الاول
وتسأل الهمزة لذلك فاني في الواقع قبلها لا خبر كقولك انها لابل
ام شاة فانك لما ظننت انها ليست بابل اعرضت عن هذا الاخبار
ثم شككت في انها شاة او شيء آخر فاستفهمت عنها بقولك ام شاة اي
بل هي شاة ولا استفهام كقولك ازيد عندك ام عمرو ابي عمرو حين تقصد
الاضراب

والمنقطعة لطلب التصديق ولا يليها الا الجملة

الاضراب عن الاستفهام الاول بالاستفهام الثاني وما نحن بصدد بيانه
من هذا الباب لان كلمة ام منقطعة لاستيفاء همزة الاستفهام والجملة الواقعة
قبلها استفهامية فيكون للاضراب عن سؤال الى اخر وذلك انه لما عني عليه السلم
انه لا يطرد الهاربين ليقصد الاضراب عنه الى الاستفهام الثاني ثم لما خطر له انه
قد اسمه لا يخيب المسترشدين القاصدين الى جنابه اضرب عنه ثانيا فاستفهم بالثالث لما
علم انه جلت جلالته لا يرد الشاربين الواردين الى حياضه اكثر ذلك ايضا بقوله
كلا وحياضك مترعة في ضنك المحول حاشا وسبحانك
وانزهك ان اصفك بهذه الصفات او انسبك الى تلك السمات
فانها صفات واجب تنزيهك عنها وكلا ردع في الكلام وتنبيه وزجر و
معناه انته لا تعتقد انه تعالى متصف بها ومنسوب اليها فهو ردع عن وهم اتصافه
بها كما سبق اليه الايماء الا انه عليه السلم لما اضرب عن الاولين خص الانكار
بالثالث ولذا قال وحياضك مترعة مملوة ومنزعة فيا قبر معن كيف
واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا واترعت الحوض ملأته وانضك

الفسق ومصدر يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث ومنه قوله لا دون عرض هم
ذا ابن فان له معيشة ضنكا ضيقا والاضافة من باب جرد قطيفة واخلاق ثياب
والمحول كالمحول جمع وهو الجدب وفي الاصل انقطاع المطر الارض فمحل وزمن فهو ماحل
والمعنى انه كيف اصفك بهذه الصفات وحياض جودك وكرمك مملوة من مياه العفو
والاحسان والرحمة والغفران في سنوات مجدبة مقطوعة عنه العشب ففي الكلام استعارة
تمثيلية او استعارة مكنية وتخييلية وترشيحية حيث شبه الجود والفضل والكرم والرحمة والمغفرة
والنعم بحذف المضاف بالمياه ثم اثبت لها الحوض والاتراع بشارة هذا الكلام منه عليه السلام
اشارة الى ان حوض رحمة ربه جل وعز لا تنفد وبحار مغفرته وفضله لا تنزف فاتسع
ايها المذنب العاصي والمدبر الآيس رحمة ربك تعالى ولا تقنط من رحمته ومغفرته ان ربك لذو
مغفرة للناس على ظلمهم ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وورد في الخبر عن
سيد البشر عليه وآله السلام انه بعدد قطرات المطر انه قال ليغفرن الله في يوم
القيامة مغفرة ما خطرت قط على قلب احد حتى ان ابليس ليتطاول لها رجاء ان تصيبه
بيان تقول تطاولت لها ان وردت ووقعت عينها حتى ابديت واظهرت
دابر

وجهي وتصديق لذلك ما ذكرنا وفي الكافي عنه عليه السلام لولا انكم تذنبون فتستغفرون الله
لخلق الله خلقا حتى يذنبوا ثم يستغفروا الله فيغفر لهم ولكن لا بد لمن رجاها خالص
بعد الحصول لها ترك الانهماك في المعاصي والذنب لئلا الا يستعد لها ولا ينظر الى احوال
الانبياء والاوصياء والاولياء واجتهادهم في الطاعات وصرفهم العمر في العبادات
ليلهم ونهارهم اما كانوا يرجون الله عفوه ورحمته واحسانه ومغفرته بلى انهم كانوا
اعلم بسعة رحمته وارجى لها ولكنهم ان رجاء المغفرة من دون سابقة العمل غرور
محض وسفه بحت فصرفوا في العبادات اعمارهم وقصروا على الطاعات ليلهم
ونهارهم فاياك ان يغرك الشيطان ويثبطك عن العمل ويشغلك بمحض الرجاء
ومجرداته وقد عرفت ما قيل لسيدنا الصادق عليه السلام وما قال في جوابه
فتذكره واعلم انه قد جاء في الخبر عن الرضا عليه السلام ان الله تعالى ينزل ملكا
الى السماء الدنيا كل ليلة في الثلث الاخير وليلة الجمعة في اول الليل فيامره فينادي
هل من سائل فاعطيه سؤله هل من تائب فاتوب عليه هل من مستغفر فاغفر له
يا طالب الخير اقبل ويا طالب الشر اقصر فلا يزال ينادي بهذا حتى يطلع الفجر فاذا طلع

عادا الى محله من ملكوت السماء حتى بدالك انه عين جلاله فنجا بابه من سؤال الرجاء
وذلك ذلك شار عليه السلام بقوله **فبابك مفتوح للطلب والوصول** الباب
محل الشيء واصله من الاسية كباب المدينة والدار ثم تجوز فيه فاستعمل فيما يتوصل به
الى الشيء ومنه انا مدينة العلم وعلي بابها يعني به يتوصل اليه وابواب المغفرة هي الاسباب
التي بها يتوصل اليها اي باب رحمتك وفضلك واحسانك وجودك وثنائك
بحذف المضاف ففيه مكنية وتخييل وترشيح او تشبيه لمن طلب حاجة طوله وعم نواله بالمنعم
الجواد المحسن الكريم فاثبت له باب مفتوح للطالبين ودخول الراغبين ليستفيضوا
من كرمه ويقتبسوا من نعمه صلت نعماؤه وعظمت الاؤه وتعالى بابه تعالى عبارة عما
يتوصل به الى تحصيل نعمه من الاسباب اذ كان الباب في الاصل كالطريق لخلل الدار الذي يتوصل منه اليها
ثم استعير لكل ما يتوصل به الى الشيء وذكر الفتح تخييل او ترشيح وتشبيه ان يكون كمن فيه
جوابا عما يقال من اين علمت انه لا يطرد السائلين ولا يخيب المسترشد ولا يرد الطامعين
فقال لان بابه مفتوح للداخلين وجوده مباح للطالبين ؛ هر كه آيد گو بيا و هر چه
خواهد گو بگو ؛ كبر و ناز و حاجب و دربان درين درگاه نيست ؛ قال محمود الوراق

شاد الملوك قصورهم وتحصنوا من كل طالب حاجة او راغب فارغب الى
ملك الملوك ولا تكن بادي الضراعة طالبا من طالب حكان رجلا قال
لرابعة العدوية اني قد عصيت الله افترينه يقبلني ان انا انبت قالت
ويحك انه يدعو المدبرين عنه فكيف لا يقبل المقبلين عليه والوصول الدخول
في الشيء ومنه حديث المقداد فلما ان وغلت في بطني اي دخلت وقد وغل يغل
وغولا **وانت غاية المسؤل ونهاية المامول** الفان
جمع سائل كالقعود والجلوس والفسوق جمع قاعد وجالس وفاسق فالمراد انه
تعالى غاية كل سؤال السائلين بحذف المضاف ونهاية امال الآملين ويجوز ان
يكون المفعول بمعنى المصدر كالمفتون في قوله تعالى بايكم المفتون وان كان مصدرا
كالعقول والغموس والحدوث فهو بمعنى المفعول كالخلق والعكس وفي يوجد في
بعض النسخ المسؤل مهموزا بهيئة المفعول وهو الاظهر لتوافق القرينتان
والمراد كما سلف ان لكل احد في حوائجهم مطلوبا حتى ينتهي اليه تعالى فليس فوقه
مطلوب فهو الغاية والنهاية وهذا وان كان خبر لفظا الا انه انشاء معنى

اي ينبغي لكل احد ان يجعل الله غاية سطالبه ونهاية مآربه بان ينوي شيئا بالكلية وبربه
ولبه وجاهه الا غير ذلك فهو تتميم لما عبادة الله من حيث انه يستحق للعبادة ولو
قال في اول نهاره اللهم ما عملت في يومي هذا من خير فهو لابتغاء وجهك وما تركت
فيه من شر فتركته لنهيك عنه او يا وان ذهل عن النية في بعض الافعال او التروك
وكذا يقول في اول ليله وتجزيه نية الاجمال مطلقا في اولها ولا يحتاج الى التجديد لانفهامها وان
كل واحد منها مبانيا للصانع كالتعقيب الواقع بعد النية وبالجملة كلما كان له سبحانه
من الافعال والتروك حتى المباحات لو قصد فيها الله تعالى وقصد التوصل الى عبادته فهو
غايته ولما كان نفوذ اسمه وخلقه في كل شيء جواهره واعراضه التي هي من فعله
او من افعال العباد من حيث الخلق والاقدار والتمكين في الحكم والامر والنهي كان
كل شيء صالحا لان يكون له غاية فلا عجب بان اذن بالقصد والملاحظة وبهذا
التقرير يظهر ان الالف واللام في المسؤول والمأمول للاستغراق الافرادي
ويحتمل ان يكون المراد كلا في انهم يطلبون منه تعالى حوائجهم بعد ياسهم من المخلوقين
قال زرعة بن محمد كان رجل في المدينة وكانت له جارية نفيسة فوقعت
في قلب

في قلب رجل واعجب بها فشكا ذلك الى ابي عبد الله عليه السلام فقال تعرض لرؤيتها
فكلما رايتها فقل اسأل الله من فضله ففعل فما لبث الا يسيرا حتى عرض لوليها
شيء الا الرجل فقال يا فلان انت جاري واوثق الناس عندي وقد عرض لي
سفر وانا اودعك فلانة جاريتي لتكون عندك فقال الرجل ليس لي امراة
ولا معي في منزلي امراة فكيف تكون جاريتك عندي فقال اقومها عليك
بالثمن وتضمنه لي وتكون عندك فاذا انا قدمت فبعنيها وان نلت منها
نلت ما يحل لك ففعل وغلظ عليه في الثمن وخرج الرجل فمكثت عنده ما شاء الله
حتى قضى وطره منها هذا ولما شبه النفس في جموحها بالناقة اثبت لها الازمة
وهي امر محسوس اشار اليها بالاشارة الحسية فقال **الهي هذه ازمة
نفسي عقلتها بعقال مشيتك** هذه مبتدأ وازمة
نفسي خبره عقلتها جملة مستانفة كان المخاطب قال اي شيء عقلتها
حتى تسكن وتنقاد لك في امر دينك ودنياك قال عقلتها بعقال مشيتك
او هذه مبتدأ وازمة نفسي بدل منه وعقلتها بعقال مشيتك خبره والعقال الشد

والحبس والمنع عقل البعير يعقل عقلا شده وظيفه الى ذراعه ومنه العقال لانه
يعقل العاقل ويمنعه عن ارتكاب الامور التي لا ينبغي ارتكابها والعقال الحبل
الذي يعقل به البعير ومنه قوله: ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال وفي اضافته الى
المشبه اضافة اللجين الى الماء او بيانية او لامية بتشبيه المشبه بشخص له عقال يعقل به
الجموح ثم تشبيه النفس بالبعير الجامح استعارة بالكناية والازمة والعقل والعقال
كلاهما من ملائمات المشبه وقد سبق ان في العدول عن الزمام الى الازمة ايماء لطيف
الا انها لا يكون لها زمام واحد بل لابد في انقيادها وطاعتها من ازمة متعددة
اي تسلط القوة العقلية على القوى النفسية المتضادة واهوائها المتنازعة المتداعية
الى الشرور والغرور وجعلها منقادة تحت حكم العقل وذلك انما يحصل بدوام الذكر
والفكر وقصر النظر في عواقب الامور والتيقظ من دار الغرور والتوصل الى عالم النور
كما هو من شأن اصحاب الدعاء ومن سلم اليهم حكمهم وقطع زمامها بعقال شرعية الكتابية
من تفويض امرها اليه والتوكل في صلاحها والتيقظ من غيره والذهاب بشارة اليه
وفيه دلالة على انها امارة بالسوء ميالة الى الشر لولا ان تداركها رحمة من الله والطاف خفية
فهوهم

فهو هم الجبر موقوع ولمشيته معنيان احدهما تعلق بالشيء وهو من صفات الذات
قديمة هي نفس ذاته سبحانه وهي كون ذاته بحيث يختار ما هو الخير والصلاح وهي نفس علمه
الحق بالمصالح والخيرات وثانيهما تعلق بالمشيء وهو الحالة السبحانية ايانا بالجبب حسب الاشارة
وليست زائدة على ذاته تعالى ومع المخلوقات ومع المخلوقات بل هي نسبة بينهما تحدث بحدوث ح
المنتسبين وَهَذِهِ اَعْبَاءُ ذُنُوبِي دَرَأْتُهَا بِرَحْمَتِكَ اي اشارة اليه
اشارة عقلية او حسية فهو امر مبهم تفسيره الاعباء فصحة الحمل وافادته باعتبار
ابهام الموضوع وتعيين المحمول كما في هذا زيد والحمل انه لما شبه الذنوب بحال له
مقدار وحجم يحتاج الا فراغ شغلا احرج الاعباء وهي امر محسوس مشاهد فجعلها
مشارا اليها بالاشارة الحسية على قياس ما سبق والعباء ضرب من الاكسية
الواحدة عباءة وعباية وقد يقع على الواحد لانه جنس فالاعباء اما جمع او جمع جمعه
والمراد بها هنا صحائف الاعمال ففيه استعارة تحقيقية تصريحية او هذه اشارة
الى الصحائف وهي المشبه والاعباء بحذف اداة التشبيه المشبه به والاضافة
لامية اي صحائف اعمال الذنوب فيكون تشبيه المعقول بالمحسوس كتشبيه الحجة بالشمس

وتسمية الذنوب وهي الاعراض الغير المتحيزة بالذات بالاجسام المتحيزة بالذات
الملائمة للمكان ثم اثبات الاحجار لها وهي الاجسام مكينة وتحييز والقول بتجسم
الاعمال مع تقدير ثبوته انما هو في النشأة الاخرى ولعله يشير بذلك الى القول الاول كان شيء
فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر وقد ورد في الخبر ان لكل انسان معه ملكان بين
كتفيه فلعلهما لسانهما وحراسهما فهما ومدادهما ريقهما وصحفهما فؤاده فيكتبان
عمله الى موته ودرا انتهار رحمتك مستانفة كان المخاطب جاهل قدره قال في تفعل وهذه
الذنوب الكثيرة وان عذابك شديد ودرا انتهار رحمتك السابقة فضلك والباء لا
بينة او آلية او استعطافية والدرء الدفع ومنه ادرؤا الحدود بالشبهات
والحديث الاخر اللهم انا ندرءك في نحورهم ويمكن ان يكون هذه اشارة الى
الصفات الذميمة والاخلاق الردية اما آثارا او الملكة في النفس فان كلما يدرك
الانسان بحواسه يرتفع منه آثار الى الروح ويجتمع في صحيفة ذاته وخزانة مدركاته وكذا
كل مثقال ذرة من خير او شر مكتوبا باثمه وخاصية ما رسخت بسبب الالتفات وتاكدت   بعلمه بر اثره ٢
بالصفات وصار خلقا وملكة فان ذلك حجاب وحيث فليعد الثواب والعقاب
رقل

فكل انسان نفسه صحيفة اعماله وهو كتاب مكتوم اليوم عن مشاهدة الابصار وانما
يكشف بالموت ورفع ما تورده الشواغل الحسية المعبر عنها بقوله واذا الصحف
نشرت فاذا حان حين ذلك وهو يوم تبلى السرائر صار الغيب شهادة والسر علانية والخبر
عيانا فيقال لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم
حديد وهذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون فمن كان في غفلة
من حساب سره فاذا وقع بصره على ذلك والتفت الى صحيفة باطنه وصحفة
قلبه يقول يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها قال الله تعالى
وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا اقرأ
كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وعلى هذا فيكون قوله **وَهٰذِهِ اَهْوائِي**
الْمُضِلَّةُ وَكَلْتُها اِلىٰ جَنابِ لُطْفِكَ كالتفسير لما سبق ولما شبه هواه
بالشخص المضل فكأنه جعله امرا محسوسا فاشار اليه بهاء الاشارة ووكلت فلانا
الى فلان من باب وعد الى كذا اليه وفوضت امره اليه فجعلته متوكلا ومعتمدا
عليه ومنه لا تكلني الى نفسي طرفة عين وكلتها جملة مستانفة او خبر على قياس

ما سبق من اخيتها وبجانب الغناء والزحل والناحية اي صرف امرها
الى ناحية لطفك لتلطف بي وتعينني عليها وتحفظني عن اختلالها فهي في الكلام
استعارة تمثيلية او مكنية وتخييلية حيث شبه الهوى بالشخص المضل ثم اثبت له الاضلال
وكذا الامال فرس شبه اللطف بالفضاء الواسع او بالشخص القادر على اصلاح الفاسد
وترويج الكاسد بارشاد الضال او صرفه عن الضلال ثم اثبات الناحية والجانب
له الاستعارات المذكورة واللطف قال علم بدقائق المصالح وغوامضها وما دق منها
واللطف ثم ايصالها الى المستصلح بالرفق دون العنف وقيل هو تصرفه في الذوات تصرفا
خفيا بفعل الاسباب المعدة لافاضة كمالاتها وقيل هو الجود عن القضا وقيل
الارادة وايصال نفع فيه ويمكن ان يكون ههنا المعنى العرفي المشهور وهو
ما يقرب به العبد الى الطاعة ويبعد عن المعصية واللطف في اللغة البر والتكرمة وفلان
لطيف بالناس اي بهم يبرهم ويلطفهم وفي بعض الاخبار في جواب زنديق
اللطيف منا على حد اتخاذ الصنعة او ما رايت الرجل يتخذ شيئا يلطف
في اتخاذه فيقال ما الطف فلان فكيف لا يقال للخالق الجليل لطيف اذ خلق
خلقا

خلقا لطيفا وجليلا وركب في الحيوان منها ارواحها وخلق كل جنس متباينا
من جنسه في الصورة لا يشبه بعضه بعضا فكان له لطف من الخالق اللطيف
الخبير في تركيب صورته ثم نظرنا الى الاشجار وحملها اطايبها الماكولة وغير
الماكولة فقلنا عند ذلك ان خالقنا لطيف لا كلطف خلقه في صنعتهم الحديث
ولما فوض امره اليه تعالى واقر بكثرة الذنوب والمعاصي والهوى اخذ في التضرع
والاستغاثة والدعاء فقال فَاجْعَلِ اللّهُمَّ صَباحِي هذا نازِلاً عَلَيَّ
بِضِياءِ الْهُدى لفظ هذا اشارة الى الصباح الحاضر فهو اما بدل منه او
تأكيد له كانه قال اخر هذا ايسر للبلد والباء للملابسة وهي مع مدخولها متعلقة
بنازلا لا منصوبة محلا على الحالية من ضمير نازلا والمراد بملابسته للهدى وقوعه فيه
بان يكون ظرفا للحسنات والطاعات دون المعاصي والسيئات ونحا في
الضياء الى الهدى اضافة اللجين الى الماء فشبه الهدى بالنور في الدلالة على المطلوب
والتقدير هدى كالنور ثم قدم المشبه به واضيف الى المشبه كقوله في الريح تعبث بالغصون
وقد جرى ذهب الاصيل على لجين الماء وهذا التشبيه متداول بينهم حتى انهم

بشهوا السنة وكلما هو علم وهداية بالنور تخيلا منهم انهما حالة سايحة من الإشراق والبهجة
وكلما هو جهل وضلالة بالظلمة ظنا منهم انهما حالة سواد وظلام والنزول انما يجى اذا
الصعود والنزول يستلزمان الحركة وهي من خواص الاجسام والصباح كلام سالف
ليس منها في الكلام استعارة مكنية وتخييلية ولعله صلوات الله عليه جعل حضرة
الاجسام المقابلة لضياء النير الاكبر في اول النهار الذي هو عبارة عن الصباح محل نزول
الضوء منها اليها او هو مبني على كون الضوء جسما متحركا من المضيء الى المستضيء
كما ذهب اليه قوم من الاوائل والاكثرون والمحققون على بطلانه الا ان ادلتهم
كلزوم كونه ساترا او كون ما هو اشد ضوءا اشد استتارا لا تقوم عليه حجة فان
بعض الاجسام الشفافة غلظة وكثرة موجبة لزيادة ظهور ما خلفه والقول بان
غلظ صفحة من البلور جدا موجبة لما تحتها ستر لا يدل على ان كل شفاف كذلك
فان كرة الهواء والنار وافلاك تحت الثوابت مقدار ما هي ما بين في الابعاد
والاجرام يزيد على خمسة عشر من الالف الف فرسخ ولا يورث ما خلفه سترا فتقدر
حينئذ الضوء يجوز ان لا يصير كثرة الحد ستر ما خلفه لا بد لنفيه من دليل والسلام

في الدين والدنيا بفعل المأمورات وترك المنهيات والدنيا
بجلب المنافع ودفع المضار ومنه ترك الدنيا بل ترك الآخرة فان الدنيا حرام على
اهل الآخرة والآخرة حرام على اهل الدنيا وهما حرامان على اهل الله قال صاحب الدعاء
وسيد الاوصياء وسند الاصفياء امير المؤمنين عليه السلام لانه ابقيت الارض والسماء
ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله ما يدلك على مساوي الدنيا وعيوبها اذ جاع
فيها مع خاصته وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته فلينظر ناظر بعقله اكرم الله
محمدا صلى الله عليه وآله بذلك ام اهانه فان قال اهانه فقد كذب والعظيم وان قال اكرمه فليعلم
ان الله قد اهان غيره حيث بسط الدنيا له وزواها عن اقرب الناس منه
فتأسى متأس بنبيه واقتص اثره وولج مولجه والا فلا يأمن الهلكة فان الله جعل محمدا
صلى الله عليه وآله علما للساعة ومبشرا بالجنة ومنذرا بالعقوبة خرج من الدنيا خميصا وورد الآخرة
سليما لم يضع حجرا على حجر حتى مضى لسبيله واجاب داعي ربه فما اعظم منة الله عندنا
حين انعم علينا به سلفا نتبعه وقائدا نطأ عقبه والله لقد رقعت مدرعتي هذه
حتى استحييت من راقعها ولقد قال لي قائل الا تنبذها عنك فقلت

اذهب عني فقد ابتهج محمد القوم الشوق ومن طريق الكافي وانا صحة ارضيت الله كلام
عرض علي ربي ان يجعل لي البطحاء ذهبا فقلت لا يا رب ولكن اشبع يوما واجوع
يوما فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك
وعن صاحب الدين جعلت له الفداء النفس تبكي على الدنيا وقد علمت ان السلامة فيها
ترك ما فيها وقال بابي وامي صلى الله عليه وآله لما بلغه كلام حكيم من الحكماء: كل
من لقوه يشكو دهره: ليت شعري هذه الدنيا لمن: قال عليه السلام والصلاة
انما الدنيا لمن طلقها: والكفر فيها القوت وكفى: فان بذلك يسلم دينه ودنياه
فلا منافاة بين ما طلبه بها وما روي عنه سلام الله عليه ان الدنيا والآخرة عدوان
متفاوتان وسبيلان مختلفان فمن احب الدنيا وتولاها ابغض الآخرة وعاداها
وهما بمنزلة المشرق والمغرب وماش بينهما كلما قرب من واحد بعد من الآخر وهما
ضرتان ان رضيت احديهما اسخطت الاخرى وبيان ذلك ان الطالب للدنيا
بقدر توجهه في طلبها وامعانه في تحصيلها يكون غفلته عن الآخرة وبعده وانقطاعه
عنها ونعلم ان الناس في امر الدين والدنيا على ثلثة اصناف صنف منهمكون في الدنيا
لذاتها

بلا التفات منهم الا مراعاة الدنيا وهم عبدة الطاغوت وشر الدواب ومخلفون بعيد عن رحمة الله
وصنف يراعون امر الدين من غير التفات منهم الى مصالح الدنيا وصنف توسط
وفى الجانبين حقهما وهم عند الحكماء هم الافضلون لان بهم قوام امر الدين والدنيا
وقال بعض المحققين من اصحابنا ان ترك الدنيا بالكلية ليس هو مطلوب الشارع
من الزهد فيها والتخلي عنها لان الشارع يراعي نظام العالم باشتراك الخلق في عمارة
الدنيا وتعاونهم على المصالح ليتم بقاء النوع الانساني وترك الدنيا واهمالها بالكلية
تهدم ذلك النظام وينافيه بل الذي امر به الشارع الحكيم (في الدنيا) القصد واستعمال متاعها على
على القوانين التي وردت بها الشرع والوقوف فيها عند الحدود المقررة وتهذيب العيش ان
تعديها وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجماعة من اكابر الصحابة اميال الى طريق
التقشف مع شاركتهم اهل الدنيا في تدبير احوال المدن وصلاح العالم غير منقطعين
عن اهلها ولا معتزلين بذا وهذه طريقة حفظ في القضاء وسلم من آب بعد سلامة حلف
من الآفات النفسانية والآراء الفاسدة والعقائد الباطلة مثل الكفر والكبر والحسد
والنفاق في الدنيا ومن العقوبة في الآخرة وسلامة الخلوص من الآفات واصطلاحا هيئة

يكون بدن الانسان ومزاجه وتركيبه بحيث تصدر عنه الافعال كلها صحيحة سليمة فهي بهذا المعنى
مرادفة للصحة فيكون اسنادها الى الصباح مجازا او المراد ان يكون صاحبه فيه سالما في دينه ودنياه
فالالف واللام فيهما عوض عن الضمير وتقديم الدين على الدنيا اما للاهتمام او لرعاية الفاصلة
والدين في اللغة الطاعة والجزاء وفي العرف الشرعي هو الشريعة الصادرة بواسطة الرسل عليهم السلام ولما كان
اتباع الشريعة طاعة مخصوصة كان ذلك تخصيصا من الشرع للعام باحد مسمياته وكثرة
استعماله صار حقيقة دون سائر المسميات لانه المتبادر الى الفهم حين اطلاق لفظ الدين
وقال الراغب الاصفهاني الملة كالدين وهما اسمان لما شرع الله لعباده على لسان
الانبياء ليتوصلوا بها الى جوار الله والفرق بينهما ان الملة لا تضاف الا الى
النبي الذي تستند اليه نحو اتبعوا ملة ابراهيم ولا تكاد توجد مضافة الى الله ولا الى
احاد امة النبي ولا تستعمل الا في جملة الشرائع دون احادها فلا يقال للصلوة ملة الله
كما يقال دين الله وفي عدم اضافتها الى الله نظر قد بينا وجهه في رسالتنا المسماة بمجامع
الشتات فليطلب من هناك وقيل الملة والدين متحدان بالذات ومختلفان
بالاعتبار فان الشريعة من حيث يجتمع عليها تسمى ملة ومن حيث انها يطاع بها تسمى دينا

والدنيا

والدنيا اسم لهذه الحيوة الفانية وهي فعلى من الدنو سميت بها لدنوها
وبعد الاخرة ومنه السماء الدنيا لقربها من ساكني الارض ولما اخص كونها صفة كان
التعريف اذ لا يقال دار دنيا مع عدم اختصاص الصفة بكاد واحدة بل تكون تارة
نكرة واخرى معرفة كان كونها صفة كلا صفة ولذا حكم عليها بالاسمية قال ابن جني
الدنيا والاخرى صفة الا انها خرجت الى مذهب الاسماء **وممسائي جنة**
من كيد العدى عطف على صباحي وترك الاشارة للاشارة الى عدم قابليته للاشارة
لعدم حضوره بعد فان محل اسم الاشارة ان يشار به الى المحسوس المشاهد والمعدوم
يستحيل احساسه ومشاهدته فيمتنع الاشارة الحسية اليه ومسائي مفعول اول للجعل وجنة
ثان له وهي بالفتح الستر والوقاية ومنه الصوم جنة من النار والجمع الجنن بضم الجيم
وفتح النون ومنه سميت الترس جنة لانه يواري حامله ويستره ويقيه مما يؤذيه من
الضربات والطعنات وهذا هو المراد هنا ففي الكلام تشبيه بليغ اي اجعله
كجنة واقية تدفع عني ما ينزل بي من كيد العدى الى احلائي او ابنيه او الاعم و
الاوسط او سطا ليكون الفقرة الثانية تاسيسا لانه خير من التاكيد ولا يخفى

لكن تشبيه المثل بالجنّة لجامع الستر والتواري منها من كيد العدى متعلق بالجنّة
والاحتياط فرد لابسه والكيد المكر والخديعة والاحتيال والاجتهاد وبه سميت الحرب كيداً وقيل
هو ارادة مضرّة الغير خفية لا استتارها يكيده ممن يكيده لكن ما يستعمل ذلك في الشر وبالجملة هو
السعي في افساد جهة الاحتيال و قال بعض العلماء الكيد ارادة مضرة الغير خفية وهو
من الخلق الحيلة السيئة ومن الحق تعالى التدبير بالحق مجازاة اعمال الخلق والمكر من جانب
العبد ايصال المكروه الى الانسان من حيث لا يشعر ومن جانب الحق هو ارداف النعم
مع المخالفة وابقاء الحال مع سوء الادب واظهار الكرامات من غير جهد وقيل الكيد
بدوّه السعي في الحيلة والخديعة ونهايته القاء الانسان من حيث لا يشعر في امر مكروه لا سبيل
الى دفعه والعدى بالكسر الغرباء وبالاجانب الاعداء واما بالضم فهو الاعداء خاصة وهو الاوفق
بالمقام لقوله عليه السلام الهوى والدنيا والاعداء اربعة الهوى والدنيا والشيطان والنفس
الامارة بالسوء وهذه الاربعة مجموعة في دعائهم عليهم السلام فيا غوثاه ثم واغوثاه
بك يا ربّ من هوى قد غلبني ومن عدو قد استكلب علي ومن دنيا قد تزينت لي
ومن نفس امارة بالسوء الا ما رحم ربي فانظر الى هذا الدعاء كيف خرج عند ذكر النفس

مخرج

مخرج الاستعاذة ولا يكون الاستعاذة الا ممن يخاف على نفسه من اشد الاعداء القهر والاستيلاء
من استيلم في قبض عدوه هلاك لا محالة فعليك بالدعاء والتضرع وحياء القلب لعلك
تنجو من تلك المهالك قال بعض اصحابنا العدو ضربان باطن لا تدرك ذاته بالحواس وهو
اثنان الشيطان وهو عدو كل عدو يعادي معاداة جوهرية وقد حذرنا الله تعالى منه غاية
التحذير فقال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا الى غير ذلك من الآيات والثاني
النفس الامارة واشار اليها بقوله ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي وظاهر
مدرك يحاجز عن الانسان وهو ضربان ضرب مصطلح العداوة قاصد الى الاضرار
اما مجاهرة واما مسارة وذلك اثنان واحد يعادي كل احد وهو كل احد
سبعي الطبع خبيث الطينة مبغض لكل ما لا يحتاج اليه في العاجل يبغض الى
كل نفس يحارش كل من يخالفه وهو الذي عنى الله بقوله شياطين الانس والثاني
عدو خاص العداوة وذلك اما بسبب الفضيلة والرذيلة كمعاداة الجاهل
للعالم واما بسبب تجاذب نفع دنيوي كالتجاذب في رياسة ومال وجاه
واما بسبب مجاورة موروثة للحسد كمعاداة بني الاعمام بعضهم لبعض وذلك

في كثير من الناس كالطبع قال رجل لسعيد بن شيبة انا والله احبك يا ابا معمر قال

قال استشد فلك قال وكيف ذلك قال لانك لست بجاد ولا ذي رحم

نسيب ولا شريك في صناعة واكثر العداوة بين الناس متولد من ذلك وضرب عدو

غير مصطفى بالعداوة لكن يؤذي بالانسان الا ان يقع بسببه في مثل ما يقع من كيد

عدوه فسر عدو الذلك كالاولاد والازواج ومنه ذلك قال تعالى ان من

ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال صلى الله عليه وآله ليس عدوك الذي

ان قتلته اجرك الله في قتله وان قتلك ادخلت الجنة ولكن اعدى عدوك نفسك

التي بين جنبيك وامراتك تضاجعك واولادك الذين من صلبك هؤلاء لهم

بالمثناة يقابل الصباح وهو الشفق الذي يظهر في افق المغرب بعد الغروب وفيها

تشبيهان شكلا وتقابلا وضعفا لان الصبح يبتدأ اولا بياضا ضعيفا

طولا ثم ينبسط في ذلك الضياء مع الافق ثم يميل الى الحمرة الى طلوع الشمس والشفق

بالعكس لان بعد الغروب يظهر في الافق حمرة منبسطة ثم بياض دقيق طولا الا انه

يشعر بالغيبة **وَوِقَايَةً مِنْ مُرْدِيَاتِ الْهَوَى** اشارة الى طلب الستر

والحياء

والصيانة عن الاعداء الداخلة كما ان ما قبلها ايماء الى طلب الوقاية والدعاء

الى الاعداء الخارجة وهو عطف والظرف متعلق بالوقاية وهي الستر والصيانة

وحفظ الشيء مما يؤذيه ويضره تعالى وقيت الشيء اقيه وقيا ووقاية اذا

صنته وحفظته من الاذى قال الله تعالى فوقيهم الله شر ذلك اليوم واضافة المرديات

الى الهوى اضافة الجزء الى الكل اي اهواء المردية المهلكة الموقعة في قعر الخطيئة

المرتبة في لجة بحار السيئة فيكون من قبيل قوله وهذه اهواء المضلة او يكون

من باب خاتم فضة اي المرديات التي هي من الهوى وقد سبق شرح الردى

والهوى والمراد بالوقاية الوقاية مما يترتب على من السيئات وتبعاتها وهي الوقاية

التي يترتب لها محلا الكرم ومن حولهم المؤمنين بقولهم وقهم السيئات ومن تق السيئات

يومئذ وذلك هو الفوز العظيم ولما كان من شرائط الدعاء اجابة ومن آداب

اعتقاد الداعي قدرة الله على فعل مطلوبه كما ورد في الخبر عن سيد البشر يقول الله عز وجل

من سئلني وهو يعلم اني اضر وانفع استجيب له قال عليه السلام **إِنَّكَ قَادِرٌ**

عَلَى مَا تَشَاءُ اي طلبت منك ما طلبت لانك قادر على ما تشاء ان تعطيه

لمن تشاء والقادر من يصح منه الفعل والترك او الذي ان شاء فعل وان
لم يشأ لم يفعل والقدرة التمكن من ايجاد الشيء وقيل صفة تقتضي التمكن
وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله عبارة عن
نفي العجز عنه واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على
مقدار قدرته على ما تقتضيه مشيته وفيه دلالة على عموم قدرته تعالى وكونها
شاملة لعامة الممكنات وهو كذلك لان علة المقدورية هي الامكان عامة
فالقدرة عامة فهذا رد على الثنوية والديصانية وسائر الفرق المباينة لنا
في هذا الاصل الذي هو من اعظم الاصول الاسلامية ولذا اتى بالجملة الاسمية المصدرة
بحرف التاكيد واما افعال العباد فهي وان كانت مقدورة له تعالى الا ان مشيته الحكيمة
لا تتعلق بها لمنافاته الحكمة والتكليف **تؤتي الملك من تشاء و**
تنزع الملك ممن تشاء كالدليل على قدرته تعالى ولذلك ترك العاطف
ومعناه انك تعطي ما تشاء منها وتسترد كذلك قال صاحب الكشاف في الحديث
القدسي انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني
جعلتهم

جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن
توبوا الي اعطفهم عليكم وهو معنى قولهم كما تكونون يولى عليكم وقيل المراد بالملك
النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم **وتعز من تشاء وتذل من تشاء**
بيدك الخير انك على كل شيء قدير في الدنيا والاخرة او الدين بالنصر
والادبار والتوفيق والخذلان يقال اعزه الله جعله عزيزا يغلب ولا يغلب او عزه الله
اكرم وجهه وفي الحديث الصحيح عنه عليه السلام من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر خفضه الله وروي عن عبد الله بن سلام
في الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال ان في السماء ملكين موكلين بالعباد فمن تواضع
لله رفعاه ومن تكبر وضعاه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان التواضع يزيد صاحبه رفعة
فتواضعوا يرفعكم الله وعن عمرو بن شيبة قال كنت بمكة بين الصفا والمروة فرايت
رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان فاذا هم يعنفون بالناس ثم عدت بعد حين فدخلت
بغداد فكنت على الجسر فاذا انا برجل حاف حاسر طويل الشعر فجعلت انظر اليه
واتاملها فقال لي ما لك تنظر الي فقلت له شبهتك برجل رايته بمكة ووصفت
له الصفة فقال انا ذلك الرجل فقلت ما فعل الله بك فقال اني ترفعت

في موضع شواضع فيه الناس فوضعني الله حيث ترفع الناس واعزازه قال
من يشاء عبارة عن جعله اياه معظما موقرا يحبب ميل القلوب الى تعظيمه و
توقيره ومحبته وحبابه اذلاله واهانته والاستخفاف به ظاهرا او باطنا
والذل بالضم ضد العز ويعبر عنه بالمهانة والضعة والحقارة وذلك لئلا يلزم كما ذكره [illegible]
اذ لا قال الجوهري اذله وذلله وتذلله والشر تقتضي بالعرض فان الشرور الذاتية
وهي الاعدام بما هي اعدام لا تستدعي سببا موجودا مؤثرا بل علتها عدم الوجود ولا
الشرور العرضية فهي وان استدعت علة موجبة الا ان هذا الاستدعاء انما هو
من حيث كونها شرورا مجعولة صادرة من المبدأ الذي هو صرف الوجود بالعرض
والشيء بحسب مفهومه اللغوي يقع على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه كائنا ما كان عند ائمة
في اللغة مصدر شاء اطلق على المفعول واكتفي في ذلك باعتبار تعلق المشية به من
حيث العلم والاخبار به فقط فيشمل الواجب والممكن والممتنع وقد يخص بالممكن موجودا
كان او معدوما كما هنا بقرينة تخصيص تعلق القدرة به اذ المراد به التمكن من
الايجاد والاعدام المختصين به وذهب القاضي وجمع من الاشاعرة الى ان الشيء
يختص

يختص بالموجود وان المعدوم ليس بشيء ولا ذات ولا ماهية وهو ايضا مذهب الحكماء
قالوا الشيء اسم لما هو جهة الشيئية ولا يقع على المعدوم والمحال ولا علم بالمحال اصلا
اذ لا شيئية له ولا هو مما يتمثل في ذهن او يتصور في وهم وانما المعلوم المتصور
المتمثل في الذهن عنوان المفهوم من لفظه وهو ممكن ما من الممكنات ليس بازائه
حقيقة من الحقائق وشيء من الاشياء ابدا واما الاول فمذهب المعتزلة وجماعة من الاشاعرة
وقال الزمخشري والبيضاوي الشيء اعم العام كما ان الله اخص الخاص يجري على الجواهر
والعرض والقديم والحادث بل على المعدوم والمحال وفي هذا المقام مخصوص بدليل العقل بالشيء الذي
لا يتعلق القدرة به كالمستحيل والواجب وجوده لذاته وقال القطب العلامة كل من قال بان
الوجود عين الماهية مثل الاشعري واتباعه قال بان المعدوم ليس بشيء لانتفاء الماهية
عند العدم ومن قال بان الوجود غيرها فهم قد اختلفوا في ذلك والنزاع انما هو
في المعدوم الممكن لا في المعدوم الممتنع فانه ليس بشيء عند الفريقين انتهى وهذا
لا ينافي ما صرح به الزمخشري والبيضاوي لان كلامهما بحسب مفهومه لغة وما ذكره من
النزاع انما هو في الشيئية بمعنى التحقق منفكا عن صفة الوجود لا في اطلاق لفظ الشيء

على معلوم فانه بحث لغوي لا ينبغي ان يقع بين المحققين لان مرجعه الى الخلف
واستماع هذا ومعنى كونه تعالى على كل شيء قديرا ان قدرته تعالى لا تعجز عما يمكن
تعلق القدرة به من كل جهة امكانية او شيئية تصورية واما الممتنعات فلا جهة لها
ولا شيئية حتى يتصحح كونها مقدورة له تعالى وليس في نفي مقدوريتها نقص على عموم القدرة
كما سبق **تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ**
هذه كتبتها في البيان والدليل والولوج الدخول في مضيق وايلاجهما ادخال
احدهما في الاخر بالزيادة والنقصان كما في الصيف والشتاء او المراد ايلاج كل في الاخر
حال الليل فيه في وقت واحد بحسب اختلاف الافاق لانه في كل وقت ادخل الليل في النهار
مثلا في بقعة من البقاع فقد ادخل النهار في الليل في مقابلها كما في تسامت الخط الاستواء
والجنوبية عنه فان صيف احدهما شتاء الاخر وقال الشيخ الجليل امين الاسلام
الطبرسي في مجمع البيان قيل في معناه قولان احدهما انه ينقص من الليل فيجعل ذلك
النقصان زيادة في النهار وينقص من النهار فيجعل ذلك زيادة في الليل على
قدر طول النهار وقصره والاخر يعني يأتي به بدلا في مكانه وقال البيضاوي الليل في النهار
احدهما في الاخر م

في النهار ادخال احدهما في الاخر بالتعقيب او الزيادة وقال بعض اصحابنا انظر ايها العارف
المتعمق في اسرار حكمة الله وعجائبه لو لم يخلق هذه الاجرام النيرات على الوضع الذي تقع
به التفاوت بين الليل والنهار بان تلج هذه من هذا في ذاك وهذه في هذا على العكس وبقدر
التعاقب بينهما على نظام محكم ونسق مضبوط لما صلحت احوال الخلائق والبلاد ولا اعتدلت
امزجة الحيوان والنبات الذي به قوام الخلق الم تر كيف خلق الله فلا اوضاع
النيرات العلوية ومناطق حركاتها ومدارات سيرها على نحو منتظم به احوال الكائنات
وتنتفع به السفليات فلو ثبتت انوارها او تحركت في فلك لوازمت دائرة لاثرت
بافراط فيما يقابلها وتفريط وراء ذلك ولو لم يكن لها حركة لفعلت ما يفعله السكون
واللزوم ولو لم يكن تارة سريعة وتارة بطيئة ولم تجعل دوائر الحركات البطيئة
وسموتها مائلة عن سمت الحركة السريعة لما لبثت تلك الانوار الا النواحي شمالا
وجنوبا فلم تنتشر اثارها وتنافع ضوئها على بقاع الارض ولولا حركة الشمس
بهذا المنوال من ميلان سمت حركتها الذاتية لسمت حركتها العرضية لما حصلت
الفصول الاربعة التي توجبها تفاوتات ازمنة الليالي والايام ولولا حصولها

لما تم النظام و لا حصلت امزجة الغذاء و فسدت الحرث و النسل في البلاد و قد علمت ان
نشأة الآخرة من الدنيا و ان الدنيا قنطرة الآخرة و في فساد القنطرة قبل العبور اليها حرمان
عن الوصول الى دار السرور و قال قد تبين عندنا و لاولي الالباب غاية الحكمة في اختلاف الليل و النهار و توالجهما
على هذا الوجه المؤدي للنتائج و الآثار ثم فيه كلما انتقص من الليل زاد في النهار و بالعكس
و اطول ما يكون من النهار يوم سابع عشر حزيران عند حلول الشمس آخر الجوزاء
فيكون النهار خمس عشر ساعة و الليل تسع ساعات و هو اقصر ما يكون من الليل ثم ياخذ
النهار في النقصان و الليل في الزيادة الى ثامن عشر ايلول و هو عند حلول الشمس آخر
السنبلة فيستوي الليل و النهار و يسمى الاعتدال الخريفي فيصير كل منهما اثني عشرة ساعة
و يسمى الاعتدال الربيعي ثم يستانف الدور و يرجع الى الاول ثم كلما ازداد في الشتاء
قصرا و بالعكس في الليل و قدر يقرب طول النهار بحسب ازدياد ارتفاع القطب الى حيث
يصير اليوم بليلته نهارا كله و بازائه الليل ثم الى اكثر من ذلك الى حيث يصير نصف السنة نهارا
و نصفها الآخر ليلا فيكون السنة كلها يوما و ليلة و ذلك اذا صار قطب الفلك الاعظم
محاذيا لسمت الرأس و لا عمارة هناك و لا فيما يقرب منها اذ لا يتم به النفع اللازم
في

ثم ينقص النهار و يزيد
الليل الى سابع عشر
من كانون الاول
عند حلول الشمس آخر
القوس ح يصير الليل
خمس عشر ساعة و النهار
تسع ساعات فيكون
الليل في غاية الطول و النهار
في غاية النقصان ثم
ياخذ الليل في النقصان
و النهار في الزيادة الى
سادس عشر اذار عند حلول الشمس آخر الحوت
فيستوي الليل و النهار و يصير كل منهما اثنتا عشرة ساعة م

البلاد عرضها ... يصير

من انحطاط الشمس و لا يصلح المسكن للحيوان و لا يتهيأ فيه شيء من اسباب المعيشة و اما
البلاد التي هي تحت خط الاستواء فالليل و النهار فيها في جميع السنة متساويان
كل منهما اثنتي عشرة ساعة متساوية فلا يتصور فيها ايلاج احدهما في الآخر الا بالتعقيب لا
بالزيادة و النقصان **وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ
مِنَ الْحَيِّ** اخراج الحي من الميت و بالعكس انشاء الحيوانات من موادها
و اماتتها او انشاء الحيوان من النطفة و اخراج المؤمن من الكافر و بالعكس
عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل و النهار و الموت و الحيوة و سعة فضله
دلالة على ان ذلك قدرته على معاقبة الاذلال و العز و ايتاء الملك و نزعه و فيما يتعلق بعكس
و تبديل و هو ان تقدم في الكلام جزء ثم تعكس فتقدم ما اخرت و تؤخر ما قدمت
و هو على وجوه منها ان يقع بين متعلقي فعلين و جملتين كما وقع بين الحي و الميت
حيث قدم الاول و اخر الثاني ثم عكس و هما متعلقان للفعلين في جملتين و تلك ما سبق
وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ بغير طلب و كسب او بغير ان يعرف
سببا لرزقه و يجعله محسوبا في عداد وجه معاشه او بغير تقدير و تقسيط و بما يا في

عليه حساب فيوسع في الدنيا بما توجب الحكمة التوسعة عليه إما استدراجا أو ابتلاء
والمراد أنه يعطي ولا يحاسب نفسه بما أعطاه أو يعطي العبد ولا يحاسب عليه وذلك
لاختلاف استعداد الأشخاص والعلم بأن صلاح بعضهم كما أشير إليه وأن من عبادي
لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده وفي كلام بعض الفقهاء طالب العلم
لا يحتاج إلى الكسب للرزق فإنه يأتيه من عند الله بغير كسب من حيث لا يحتسب وفي
خبر الأصمعي قال أقبلت من جامع البصرة فطلع أعرابي على قعود فقال ممن الرجل قلت من
بني أصمع قال من أين أقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن قال اتل علي فتلوت
والذاريات فلما بلغت قوله وفي السماء رزقكم قال حسبك فقام إلى ناقته فنحرها ووزعها
على من أقبل وأدبر وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت أطوف فإذا
أنا يهتف بي بصوت دقيق فالتفت فإذا أنا بالأعرابي قد نحل واصفر فسلم علي واستقرأ
السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير ذلك
فقرأت فورب السماء والأرض إنه لحق فصاح فقال يا سبحان الله من ذا الذي
أغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى ألجأوه إلى اليمين قالها ثلاثا وخرجت

معها

وفي التخصيص نظر لفهم من عموم
ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب م

بمن م

معها نفسها والأرزاق نوعان ظاهرة للأبدان كالأقوات وباطنة للقلوب
كالمعارف والعلوم والرزق بالكسر اسم للمرزوق وفي الصحاح أنه ما ينتفع به ولا
الخلاف في أن الحرام رزق كما هو مذهب الأشاعرة أم لا كما هو مذهب المعتزلة
فليس هنا موضع ذكره وتقريره فليطلب من موضعه **لا إله إلا أنت**
في كتاب التوحيد بإسناده المتصل إلى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال ما من
الكلام أحب إلى الله عز وجل من قول لا إله إلا الله وما من عبد يقول لا إله إلا الله
يمد بها صوته فيفرغ إلا تناثرت ذنوبه تحت قدميه كما يتناثر ورق الشجر تحتها أقول
وإنما صارت هذه الكلمة أحب الكلمات إلى الله عز وجل لأنها أجمع كلمة وأتم في لفظ
نطق بها في التوحيد دالة على وجه تام مفهوما وعلى وحدته منطوقا وعلى استجماعه
جميع صفات الكمال وتنزهه عن جميع النقائص وليس في الأذكار ما يدل على
ذلك دونها لأنها إما تحميد أو تنزيه بخلاف هذه الكلمة فإنها جامعة بينهما منطبقة
على جميع مراتب التوحيد توحيد الذات والصفات والأفعال أو بقي لما كان الشريك
وهو من يمنع صاحبه أن يتصرف فيما اشتركا فيه على ما يريد وهذا ينافي السلطنة

والملك بعض شيئا اليه تعالى ولذا لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء فكان احب شيئا اليه تعالى بغضه فهو التوحيد المدلول عليه بلا اله الا الله
فكانت احب الكلمات اليه تعالى وبما قررناه ظهر وجه ما في خبر آخر نبوي ما قلت
ولا قال القائلون قبلي مثل لا اله الا الله وفي خبر آخر عنه صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل
لموسى يا موسى لو ان السموات وعامرهن والارضين السبع في كفة ولا اله الا الله في كفة
مالت بهن لا اله الا الله وفي خبر عنه صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة
افضلها قول لا اله الا الله وفي خبر علوي ما من عبد يقول لا اله الا الله الا صعدت
تخرق كل سقف لا تمر بشيء من سيئاته الا طلستها حتى تنتهي الى مثلها من الحسنات
فتقف وفي اخبار اخر ما من شيء اعظم ثوابا من شهادة ان لا اله الا الله وفي آخر
ما في قول لا اله الا الله ثمن الجنة ونظائرها في الاخبار كثيرة وبالجملة افضلية افراد
الذكر قول لا اله الا الله لاشتهارها يستغني عن الاكثار من قولها وقد وردت في
فضلها وشرفها واسرارها وخواصها من طريق الخاصة والعامة ما لا يكاد يحصى
ولذا اختاره اهل السلوك لتربية السالكين وتهذيب المريدين وقد جمعت

نفي

نفي الوهية ما سوى الله واثبات الوهيته وهي متعلقة بالجنان واللسان
وتنقسم فيه فمنها ما يكون باللسان وحده من غير حضور القلب وهي اضعف المراتب
ومنها ما يكون به مع استقرار واستيلاء بحيث تنعقد على معنى المذكور وهي المرتبة
العليا والدرجة القصوى والى هذه الاشارة بقوله والذكر الاكبر لا يغيب عليك
ان قولهم يمد بها صوته يدل على صحة مذهب من قال بان تطويل المد في لا اله الا الله
مندوب مستحسن لان المكلف في زمان التمديد يستحضر في قلبه وذهنه ما سوى الله
من الاضداد والانداد وينفيها ثم يعقب ذلك بقوله الا الله فيكون ذلك اقرب الى
الكمال والاخلاص ومن الناس من يقول بأولوية ترك التمديد مستدلا بانه
ربما مات في زمان التلفظ بلا قبل الانتقال الى الا الله اقول وهذا القول مع كونه
مخالفا لقواعد التجويد مناقضا لصريح الرواية مدفوع بان من مات في زمن
التلفظ بلا قبل الوصول الى الا لا شك انه مات مؤمنا لانه عقد بهذه الكلمة
قلبه ثم اراد ان يخبر بما في ضميره ليكون ذلك دليلا عليه فلم يجد مهلة فلم يلزم منه
كفره وخاصة اذا كان المتلفظ بها مؤمنا وانما يلزم كفره او عدم تعقله

لا الا الايمان ان لو وجد من الفرصة ما امكنه ان يقول الا الله ثم تقاول ومات
واما فضلا الفخر الرازي والعلامة الصدر الشيرازي واثنى عليه في رسالته المعمولة
لتفسير اية الكرسي من ان المتلفظ بهذه الكلمة ينبغي ان يتلفظ بها لينتقل من الكفر
الى الايمان باسرع الوجوه وان كان مؤمنا وانما يذكرها للتجديد فالتمديد اولى
لتحصل في زمان صورة الامتداد في الخاطر وينفيها ثم يعقبها بقوله الا الله فيكون
اللحوق بالبداية اخفى في الكمال فهو مع كونه غير دافع لما سبق من اولوية ترك
التمديد فيما ذكره من اولويته معارض به وانما يرجعه ما ذكرنا كما سلف فان
الانتقال من الكفر الى الايمان على مذهبه قد حصل بمجرد التصديق القلبي كما هو
مذهب الاشاعرة وهو منهم وانما جعل اللسان على الجنان دليلا فهو على مذهبه
كاشف عن ايمانه السابق على زمن التلفظ بهذه الكلمة لا مصحح له ومتمم نعم ما ذكره يصح
على مذهب من قال ان التصديق وحده ليس بايمان بل الايمان هو التصديق مع الاقرار
بالشهادتين كما هو المنقول عن ابي حنيفة والرازي صاحب التجريد وبالجملة فالتمديد بها مطلقا
كما هو ظاهر الرواية حيث رتب ثواب الذنوب على قول لا اله الا الله مطلقا من غير تقييد ابدا بالقصد بها

فترك التمديد اولى حتى يحصل الانتقال من الكفر الى الايمان م

يشعر بعلية الحكم مستحسن اليه مندوب بل الظاهر عندي ان الغرض من التمديد مجرد
تجويد اللفظ وتحسينه على ما تقتضيه القواعد التجويدية لا الاستحضار المذكور فان المتلفظ
بالكلمة ان كان عالما بوضع الفاظها يستحضر الاضداد وينفيها ويثبت الاله الحق
بمجرد الالتفات الى معانيها من غير صورة في اللام لا وان لم يكن عالما او كان ولم يكن
ملتفتا فلم يتيسر له الاستحضار بذلك التمديد فان المدة لا توجب الاستحضار كما لا يخفى
على ذوي البصائر واعلم ان ترتب الثواب على قول لا اله الا الله مشروط بالشروط التي لا يتحقق
بدونها منها ان يكون مواطئا للسانه قلبه وفي جزء من حديث ان لا اله الا الله كلمة
عظيمة كريمة على الله عز وجل من قالها مخلصا استوجب الجنة ومن قالها كاذبا عصمت
ماله ودمه وكان مصيره الى النار فمن امن بالله واليوم الاخر وبما جاء به الرسول ثم قال
لا اله الا الله ترتب عليه ثوابه فالمطلق مقيد والعام مخصص وهذا مما انعقد عليه
اجماع الامة ودل عليه الكتاب والسنة قال الله تعالى ومن اراد الاخرة وسعى لها
سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا وفي صحيح البخاري عن وهب بن
منبه قيل له اليس لا اله الا الله مفتاح الجنة قال بلى ولكن ليس مفتاح الا وله اسنان

فان حجت بمعاج له لسان فتح لك والاّ لم ينفع وهذا الولاية لاهل الولاية كما يدل عليه
قول الرضا عليه السلام لعلمائه روى بعد ذكره عن جبرئيل عن الله عز وجل لا اله الا الله حصني فمن
دخل في حصني امن من عذابي بشرطها وانا من شروطها وقال ابو سعيد الخدري كان
رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم جالس وعنده نفر من اصحابه فيهم علي بن ابي طالب عليه السلام
اذ قال من قال لا اله الا الله دخل الجنة فقال رجلان من اصحابه فنحن نقول لا اله الا الله
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله انما تقبل شهادة ان لا اله الا الله من هذا وشيعته
الذين اخذ ربنا ميثاقهم وفي الكافي عن ابان بن تغلب عن الصادق عليه السلام قال
يا ابان اذا قدمت الكوفة فاروِ هذا الحديث من شهد ان لا اله الا الله مخلصا
وجبت له الجنة قال قلت انه يأتيني من كل صنف من الاصناف أفأروي لهم هذا
الحديث قال نعم يا ابان اذا كان يوم القيمة وجمع الله الاولين والآخرين فتسلب لا اله الا الله
الا ممن كان على هذا الامر ومن نظائرها يظهر ان من لم يكن مواليا لصاحب الامر الذي جعله الله في زمانه
ومن بعده من الائمة سلام الله عليهم تسلب منه ثمرة لا اله الا الله ويكون توحيده وتهليله
في الدنيا مجرد تحريك لسان لا ينتفع به في الآخرة فلا اشكال ولا منافاة بين الاخبار

المطلقة

المطلقة الدالة على ان من قال لا اله الا الله فله الجنة او دخل الجنة وامثالها والدالة
على عدم دخول مخالفينا الجنة وان بذلوا جهدهم وبالغوا في العبادة بين الركن
والمقام حتى صاروا كالشن البالي فانهم ليسوا من اهل التوحيد المنتفعين بتوحيدهم
في الآخرة لما فاتهم من الولاية الشديدة الحاجة اليها في تحقق الايمان الموجب
لدخول الجنة فالمطلق بهذا الوجه ايضا مقيد ومنها ان يكون الموحد تاركا للدين
ورآه ظهريا فعن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وآله قال لا يزال لا اله الا الله تردّ
غضب الرب جل جلاله عن العباد ما كانوا لا يبالون ما انتقص من دنياهم اذا
سلم دينهم فاذا كانوا لا يبالون ما انتقص من دينهم اذا سلم دنياهم فاذا كانوا
لا يبالون ما انتقص من دينهم اذا سلم دنياهم ثم قالوها ردت عليهم وقيل
كذبتم ولستم بها صادقين وهذه العينية حال ابناء دهرنا نعوذ بالله منهم اجمعين ومنها
الموافاة مع التوحيد كما تدل عليه رواية ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وآله ما من عبد قال لا اله الا الله
ثم مات على ذلك الا دخل الجنة وبالجملة المراد بالموحد الذي لا يعذب بالنار اذا كان
محقا بان يكون توحيده يحجزه عما حرم الله وهو علامة خلاصه او دخل الجنة ولو بعد تعذيب

بر خردل من ايمان كان سيئا هو من كان سواليام ثم مات على ذلك فيستاهل عنه فوايد لا اله الا الله فالاحاديث
المطلقة الواردة في هذا الباب كقوله عليه السلام من مات ولم يشرك بالله شيئا احسن او اساء
دخل الجنة وقول الصادق عليه السلام ان الله حرم اجساد الموحدين على النار وامثال ذلك
متعددة بما ذكرنا فلا اشكال ولا تعارض ثم لما كان مبدأ الكمالات هو وجوب الوجود كما ان منشأ النقايص
امكان الوجود فالمعبود بالحق هو الذي ثبت له وجوب الوجود وثبت نفي الامكان فمعنى لا اله الا الله
لا واجب الوجود الا الله فصح تقدير الممكن والموجود في خبر لا الا ان فيه تجنيس اما
الاول فلان مفهوم ان الا يمكن ان يكون واجب الوجود فيندفع قال المشهور
وهو ان اللازم امكان وجوده تعالى لا ثبوت وجوده فلا يتم التوحيد بان ما يمكن ان
يكون واجب الوجود فهو واجب الوجود والا يكون اما ممتنع الوجود او ممكنه وعلى التقديرين
لا يكون واجب الوجود والا لزم الانقلاب واما الثاني فلان حاصله وهو ان اللازم نفي وجود
الشريك لا نفي امكانه فيندفع بان نفي وجوب الوجود عما سواه يستلزم نفي
امكان واجب الوجود عنه ايضا والا لثبت له نقيضه وهو امكان وجوب الوجود له فثبت له
وجوب الوجود لما سبق هذا خلف واما ما قيل من عدم احتياج الا الى الخبر وان الا الله مبتدأ وخبره

لا اله او كان الاصل الله اله فقدم الا اريد بحصر زيد لا ولا الا ومعناه ان المعبود بالحق لا غيره ففيه
انه مع كونه لما عليه النحاة من وجوب تقدير الخبر يرد عليه ان الاعتراض باق على ما لو اذا لا معنى
لنفي ذات لا اله بل لا بد من نفي وجود او امكان ومنهم من قال ان هذه الكلمة نقلت شرعا
لنفي الامكان والوجود عن اله سوى الله مع الدلالة على وجوده تعالى وان لم يدل عليه لغة وفيه
ان هذه الكلمة مشهورة بكلمة التوحيد فمن قالها فهو موحد وان لم يعلم او يثبت عنده
الحقائق الشرعية وكذا التقدير مستحق للعبادة لا يدل على نفي التعدد مطلقا بل على نفي المستحق
فقط وللصوفية هاهنا ادوار ادوار لانها مفهوما من وجود غيره تعالى ادوار انواع النقص عنه ولو اجمال كلمة الا
على معنى الغير وجعلوها بدلا عن محل اله المنفي فصار المعنى نفي غيره تعالى مطلقا لا في مفهوم الالوهية
وهذا هو التوحيد العالي الذي هو نفي الشرك على الاطلاق المثبت بالدليل المعقول والمنقول
قالوا والمناقشة بانه لا يلزم من انتفاء غيره ثبوته مندفعة اذ لا شك في وجود موجود ما وما
ذهب اليه السوفسطائية من انه لا موجود في الحقيقة بل هو خيال ووهم فهو خيال موهوم
واما بطلانه معلوم واشتد كل من له ادنى بصيرة اذا اضيف بصيرته نحو هذا الكلام
يعرف ان الغرض منه نفي الالوهية عما سوى الله واثبات الالوهية لا نفي ما سواه بالكلية

وثبات وجه فقط وهذا يليق بالحكيم العليم ان يقول في كتابه العزيز الذي رسوله الكريم علما
انه لا اله الا الله ويريد وحدته في الوجود وهو يفيد وحدته في الالوهية وهم يتبعون ما تشابه في
المتشابه يضلون ويضلون فطوبى للذين هم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين
وتاويل الجاهلين وشاء ويلهم هذا المعنى كون هذه الكلمة كلمة توحيد انها تفيد ان
الوجود واحد ويلزم منه ان يكون الاله واحدا فيكون دلالتها على وحدة الوجود مطابقة
وعلى وحدة الاله التزاما وهذا الكلام تحريف الكلام عن وجهه بل ابطال الكلمة واتمام
حروفه الا ذلك وهم يعلمون قطعا انه ليس المراد به ذلك لتعزير الناس في دعوتهم الا انهم
الفاسدة وارائهم الكاسدة فنزلوا القران على طبق مذهبهم وفسروه باهوائهم واشتهائهم
على علم منهم قطعا انه غير مراد به فذرهم وما يشتهون ومنهم من رام ان يصرف عن ويذب
بالكلية وهو يقول بالوحدة اعلم ان الذكر القلبي من اعظم علامات المحبة لان
من احب شيئا اكثر ذكره دائما او غالبا وان جهل الله كرعشد الطاعة والمعصية
سبب لفعل الطاعة وترك المعصية وهما سببان لزيادة الذكر ورسوخه وهكذا يتمادى الى

ان

ان يستوي في المذكور وهو الله سبحانه مع القلب ويتجلى فيه فالذاكر يحبه حبا
شديدا او ينفصل عن جميع ما سواه حتى نفسه اذ الحب المفرط يمنع من مشاهدة
غير المحبوب وهذا المقام يسمى مقام الفناء في الله والواصل الى هذا المقام
لا يرى في الوجود الا هو وهذا المعنى وحدة الوجود لا بمعنى انه تعالى متحد مع الكل لانه محال
وزندقة بل بمعنى ان الوجود في نظر الفاني هو لا غيره لانه تجاوز عالم الكثرة وجعلوا
ظهره وغفل عنه فافهم انتهى ولنا في ابطال وحدة الوجود رسالة مفردة وحررنا نقلنا
فيها زبدة اقوالهم وحدة ما يتشبثوا به عليها واشرنا فيها الا ما فيه وعليه فليطلب هناك
سبحانك اللهم وبحمدك انزهك تنزيها عما لا يليق بجناب
قدسك وعز جلالك واثبت لك ما يليق بك سبحان مصدر كغفران وسلطان
بمعنى التنزيه عن النقائص ولا يستعمل الا محذوف الفعل على المصدر محذوف من جنسه
ومتعلق الباء في وبحمدك هو العامل المحذوف وفي التقدير نتحمدك تسبيحا وتسبيحا وتحمدك
بحمدك او بمعنى واحمدك نظيره ما انت بنعمة ربك بمجنون اي والنعمة لك على انه
حال والعامل فيه لا معنى النفي فانه ينتفي عنك الجنون او مجنون ولذا منع البا من

لانها زايدة مؤكدة وفي مجمع البيان وقيل معناه ما اشب لمجنون والمنهمك
كما في سبحانك اللهم وبحمدك اي وبحمدك وهو مضاف الى المفعول وربما جوز كونه مضافاً
الى الفاعل بمعنى التنزه والواو للحالية والتقدير وانا متلبس بحمدك على التوفيق لتنزيهك
والتهليل لعبادتك كانه لما اسند التسبيح الى نفسه اوهم ذلك فرحاً وسروراً فعقب
بهذه الجملة الحالية لنزول ما فيه قياساً على قوله في اياك نعبد واياك نستعين او جملة اخبية
ومدخولها جملة مقدرة والجار قائم مقامها والتقدير اسبحك سبحانا ونعمتك التي
توجب حمدك اسبحك وتلك النعمة هي حولك وقوتك التي ملكتنيها او زايدة
والجار مجرور في محل النصب على الحالية والتقدير متلبسا بحمدك او عاطفة لعطف الجملة
الاسمية او الفعلية المقدرة على الفعلية المضمرة في سبحانك فان جعلت الباء في بحمدك للمصاحبة
فالمضاف الى الضمير المنادى المصدر الى المفعول وان جعلتها للاستعانة فاضافة اليه
اضافة المصدر الى الفاعل ولعل المراد بالحمد التوفيق له والتقدير اسبحك سبحانا
واسبحك مستعينا بتوفيقك اياي على حمدك والى ذلك اشار الشهيد الثاني بقوله
الواو في وبحمده زائدة والباء للمصاحبة والحمد مضاف الى المفعول ومتعلق الجار
حا

حال المصدر اي سبحت الله حامداً اي نزهته عما لا يليق به واثبت له ما يليق به ثم
قال ويحتمل كونها للاستعانة والحمد مضاف الى الفاعل اي سبحته بما حمد به نفسه
اذ ليس كل تنزيه محموداً وقيل ان الواو عاطفة ومتعلق الجار محذوف اي وبحمده سبحته
وذكر بعضهم ان المعنى وبمعونتك التي هي نعمة توجب علي حمدك سبحتك لا بحولي وقوتي فيكون
مما اقيم فيه المسبب مقام السبب انتهى وقال العلامة الطبرسي امين الاسلام انه صار في الشرع
علماً لاعلى مراتب التعظيم الذي لا يستحقها الا هو سبحانه ولذلك لا يستعمل في غيره وان كان منزها
عما النقايص ولعل نظره الى ما قيل ان التنزيه المستفاد من سبحان الله ثلثة انواع تنزيه الذات
عن نقص الامكان الذي هو منبع السوء وتنزيه الصفات عن الحدوث وشائبة الكثرة وكونها مغايرة
للذات وزايدة عليها وتنزيه الافعال من القبح والعبث وعن كونها جالبة اليه نفعا او
دافعة عنه ضرا كافعال العباد ثم التسبيح يدل على تنزيه ذاته وصفاته عن النقايص
والآفات والحمد يدل مع حصول تلك الصفة على كونه محسنا الى الخلق منعما
عليهم رحيما بهم فالتسبيح اشارة الى كونه تاما والتحميد الى كونه فوق التمام فالوجه
في تقديمه عليه ظاهر والغرض من هذه الجملة التسبيحية الرد على من توهم انه عز وجل

سبحانه بحسب صفاته او علمه بكنه ذاته وذلك لان معرفة ذاته اما بالبديهة وهو باطل واما
بالنظر وهو اما بالحد والحد يستلزم الجنس والفصل المستلزمين للتركيب او بالرسم وهو
لا يفيد الحقيقة لان المعلوم منه تعالى اما السلوب او الاضافات وذاته مغايرة لهما
اذ المعلوم من قدرته انها امر يستلزم التأثير فحقيقتها مجهولة والمعلوم منها ليس الا هذا اللازم
فتبين ان صفاته غير معلومة وان المعلوم منها ليس الا السلوب والاضافات ولما ثبت
ان العلم بها لا يستلزم العلم بالحقيقة ثبت انا لا نعلم ذاته ولا صفاته التي هي عين ذاته
واليه اشار بقوله **مَنْ ذَا يَعْلَمُ قُدْرَتَكَ فَلَا يَخَافُكَ وَمَا
ذَا يَعْلَمُ مَا أَنْتَ فَلَا يَهَابُكَ** يعني لو كان لقدرته تعالى
حد محدود يعرف به لكان يمكن ان يكون فوقه مرتبة اخرى فصاحب تلك المرتبة
الفوقانية بعد ما عرف قدرته تعالى ووجدها دون قدرته ينبغي ان لا يخاف
لكن لا حد لقدرته تعالى يقف عنده فلا يتصور فوقها قدرة بل كل قدرة اي جهتها
ويد الله فوق ايديهم فالخوف منه لازم لكل عارف فانما يخاف من لا يعرف
قدرته وكذا لو كانت له حقيقة معلومة بكنهها فمن علمها وعلم انها ليست الا اثار
وغيره

في بعض النسخ من ذا يعرف ومن ذا يعلم في شرح الامام

غيره وافعال عجيبة كان ان لا يهابه لكنه تعالى لا ماهية له فلا ماهية معلومة لغيره ولذا لما سئل
كليم الله على نبينا وآله وعليه السلام عن حقيقته تعالى حيث قيل وما رب العالمين اجاب عنه بذكر
خواصه فقال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين تنبيها على ان حقيقته
ذاته لا يعلم مقوماته ولا تعلم الا اذ لا تركيب فيه ولم ينبه السائل الا بذلك اولج
وعنده ولذا قال لمن حوله الا تستمعون اذ سئلت عن حقيقة رب العالمين وهو اجاب بذكر
صفاته فلم يتعرض سوى لبيان خلطه وفرط جهله فلم يتنبه ونسبه الى الجنون فقال
ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون فلم يلتفت اليه الكليم وذكر صفات اخرى اظهر من
الاولى وذكر ان السؤال عن حقيقته ليس من دأب العقلاء فقال رب المشرق والمغرب
وما بينهما ان كنتم تعقلون واذا ثبت انه ليست لذاته حقيقة معلومة لغيره فكيف
لا يهابه ولا يوقره ويحال الضرر بذلك قائم ودفعه واجب وفيه تحقير شأنه لان كلمة
من في امثال ذلك وان كانت للاستفهام الا انها ربما استعملت لمجرد التحقير كما هو وذلك
من هذا وكذا في الكلم المسند اليه اسم الاشارة الدال على القرب تحقيرا اذ القرب
كما يطلق على قرب المرتبة ودناءته فيقال فلان قريب المكان اذا المرتبة اجراء

للامور العقلية مجرى الامور المحسوسة لكنه قد يطلق اسم الاشارة الدال عليه ويكون بطلاب
القرب فلبّاه وهو التحيّر الراتب وذا في الموضعين مبتدأ ومن لكم خبره قدّم عليه
لاقتضائه صدر الكلام والجملة الفعلية صفة الكون نكرة والفصاحة محدد وفي ان مقدار
قدرتك وحدود ملكك ويحتمل ان يكون من للاستفهام الانكاري وذا اسم موصول
بمعنى الذي والمراد ان كل من عرف قدرتك يخافك ويعلم انه لا يهابك وكلمة
على الاول طالبة للحقيقة وعلى الثاني شارحة للاسم هكذا والمعرفة يقال للادراك
الجزئي والبسيط والعلم للكلي والمركب وايضا فان الاول يقال لادراك الشيء بآثاره
والثاني لادراكه بذاته ولذا يقال عرفت الله دون علمته لان ذاته جزئي بسيط
معروف بآثاره وصفاته لا بذاته وقيل هي عبارة عن الادراك التصوري
والعلم هو الادراك التصديقي ومن ذهب الى هذا القول جعل العرفان اعظم رتبة
من العلم فان تصديقنا باستناد هذه المحسوسات الى موجود واجب الوجود معلوم
بالضرورة واما تصور حقيقة واجب الوجود فامر فوق الطاقة البشرية لان
الشيء ما لم يعرف لم يطلب حقيقته فهذا كان عارف عالم من دون عكس كلا ولذا كان
الرجل

الرجل لا يسمى عارفا الا اذا توغل في بحار العلوم ومباديها وترقى من مطالعها
الى مقاطعها ومن مباديها الى غاياتها بحسب الطاقة البشرية وقيل هي ادراك
الشيء بعد توسط نسيانه فلذلك لا يسمى الحق تعالى بالعالم دون العارف
وهو اشهر الاقوال في تعريف المعرفة وفيه نظر لما ورد في رواية رواها محمد بن يعقوب
في الاصول في باب النسبة من قول ابي عبد الله عليه السلام قال هو الله احد نسبه الله
الى خلقه احدا صمدا ازليا صمديا لا ظل له يمسكه وهو يمسك الاشياء باظلتها عارف
بالمجهول معروف عند كل جاهل ومن العجب ان بعضهم ادعى الاجماع على
ان اطلاق العارف عليه تعالى غير جائز لعدم وروده في الشرع مع انها مر
النقص فيه او لعدم ثبوت ذلك لانه تعالى لو كان يعلم اذا كان كليا مركبا
من الجنس والفصل ولما كانت القدرة جزئيا من جزئيات صفاته حصل
المعرفة بها شبيهها مع هذه الدقيقة بمعرفة الخوف والخشية والمكالمة مترادف
في اللغة الا انهم فرقوا بينهما بان الخوف تألم النفس من العقاب المتوقع
بسبب ارتكاب المنهيات والتقصير في الطاعات وهو يحصل لاكثر الخلق

والكل ان يقولا بالتشكيك والحيثية حالة تحصل عنده الشعور بعظمته انا لو وهيبته
وهذه الحالة عزيزة المنال لا تحصل الا لمن اطلع بجلال الكبرياء وذاق
لذة القرب ولذا قال عز من قائل انما يخشى الله من عباده العلماء **الفت**
بقدرتك الفرق هذه وما عطف عليها كالبيان والدليل لما ان قدرته تعالى
لا يعرف بحقيقتها وانما يعرف بهذه الآثار وما شاكلها ولعله لذلك ترك العطف
فتامل ويقال الف بينهما تاليفا اذا اوقع الالفة والتاليف والتركيب بمعنى
وهو جعل اشياء متعددة بحيث يطلق عليها اسم واحد وقد يفرق بينهما بان
التاليف من الالفة فلا بد ان يكون بين اجزائه مناسبة بخلاف التركيب فهو
اعم منه والفرقة بالكسر الطائفة من الناس والقسم من كل شيء والجمع فرق كذا
في القاموس والمراد انه تعالى الف بقدرته بين المتباينات وجمع بين المختلفات
والمتضادات كما في المركبات المجتمعة من الكيفيات المتداعية الى الانفكاك
وفي تاليفها مع تنافرها طبعا ثم احتياج بعضها الى البعض في قوامه وتشخصه دلالة
وصحيحة على وحدة مؤلفها ومدبرها كما ان في ارتباط اجزاء الشخص بعضها ببعض وانتظام

الفرق

الفرق دلالة على وحدة مدبره وفي خطبة لصاحب النهج عليه السلام في التوحيد ضاد النور
بالظلمة والوضوح بالبهمة والجمود بالبلل والحرور بالصرد مؤلف بين متعادياتها مقارن
بين متبايناتها مقرب بين متباعداتها مفرق بين متدانياتها دالة بتفريقها على
مفرقها وبتاليفها على مؤلفها وذلك قوله عز وجل ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم
تذكرون او المراد انه تعالى الف بين قلوب طوائف مختلفة مع تخالف طبايعهم و
تباين سلايقهم وتصادم اهوائهم وتضاد آرائهم كما اشار اليه بقوله هو الذي الف
بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم
انه عزيز حكيم ومن الظاهر الاظهر ان الالفة من اعظم المطالب شرعا وعرفا
لتوقف نظام صلاح حال الدنيا والآخرة لان الانسان مدني بالطبع فلا غنى له في
تعيشه من التمدن وهو اجتماعه مع بني نوعه للاشتراك في تحصيل مآربه ومعاونتهم
ومشاركتهم اذ لا يمكن للانسان الواحد القيام بجميع ما يحتاج اليه من الضروريات التي
لا بقاء له بدونها وتلك المعاونة والمشاركة لا تتم الا بائتلاف واجتماع
ومعاشرة ولا يستقيم ذلك الا بتحقق الروابط بينهم وهي لا تتم الا بتقرير الصفات

والاتحاد والمحبة وذلك مستلزم للاجتماع مع الالفة وانس بعضهم ببعض فيستقيم
امورهم بتعاونهم وقد قال العلماء ان سلوك سبيل الله لسائر وجوه الاوامر والنواهي
لا يتم الا بها ولذلك حض ائمة الشرع باجتماع الالفة بين اهل الملة وذلك انهم بالالفة
يكونون بمنزلة جسد واحد في طاعة مولاه ولاجلها شرع الله اجتماع الخلق مع الصلوة في المساجد
كل يوم خمس مرات وفي كل اسبوع مرة في المسجد الاعظم وفي كل سنة مرتين وفي العمر
مرة بمكة لاجتماع البلدان النائية كل ذلك ليتأكد باجتماعهم الالفة والاتحاد وتقع المحبة
والوداد والاخبار في هذا المعنى كثيرة جدا **وفلقت بي حبك الفلق** فلق الشيء
فلقا من باب ضرب شقه والفلق بالسكون الشق وهو الفالق الذي فلق الارحام
فانشقت عن الحيوان وفلق الحب والنوى فانفلقت عن النبات وفلق الارض فانفلقت عن
كل شيء يخرج منها وفلق الظلام عن الصباح والسماء عن القطر وفلق البحر لموسى فكان كل فرق
كالطود العظيم والفلق بالتحريك الصبح بعينه وقد يقال فلق الصبح لضوئه وانارته والمراد
انه في شقه واضائته وانارته وظهور ضيائه تقرب طلوع النير الاعظم اذ لولاه لبطل امر
العالم ولم يمكن الناس ان يسعوا في امور معاشهم ومعادهم ولم يكونوا يهتدون بالعيش
مع

مع فقدهم لذة النور وروحه فكونه من الرحمة ظاهر مستغن بظهوره عن الاطناب ومن الظاهر
ان المفلوق ليس هو الفلق بل هو ظلمة الليل الغبش في اخر الليل وكان الافق كان بحرا
مملوا من الظلمة ثم انه في شق ذلك البحر المظلم بان اجرى فيه جدولا من النور فانفلقت
ظلمة الفلق بنور الفلق وحسن الحذف للعلم به **وأنرت بكرمك دياجي الغسق**
الانارة الاضاءة والباء سببية والكرم الجود والسخاء يقال رجل كريم اذا كان جوادا
سخيا وكونه من الكرم بين اذ الليل لو امتد مثلا مقدار سنة في ساعة لكان تعوق اصناف
الحيوان عن الحركة وفي طلب المعاش حتى يموت جوعا وتخمد الحرارة الطبيعية من النبات
حتى تعفن وتفسد كالذي تراه يحدث من النبات اذا كان في موضع لا تطلع عليه
الشمس مع ان الحر والبرد يذيقان الابدان ويضنيانها ولولاهما لفسدت او
هزلت فجعل النهار يكرر مبصرا ليبتغوا فيه من فضله وليتسببوا الارزاق ويسرحوا
في ارضه طلبا لما فيه بيان العاجل من دنياهم ودرك الاجل من اخراهم قال ارأيتم ان
جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بضياء افلا تسمعون والدجى
ظلمة الليل وكان النجوم بين الدجى سنن لاح بينهن ابتداع والليل اذا اتم ظلمته

والبس كل شيء وزنك داج وغسق محركة الظلمة اول الليل ومن شر غاسق اذا وقب اي
الليل اذا دخل كذا في القاموس فالتجريد لازم او الاضافة لامية وفيه مبالغة او بيانية
وقيل غسق الليل نصفه لا ظلمته او لكنه قال بعض اللغويين ثم استشهد عليه بما روي
في الكافي بسند صحيح عن الباقر عليه السلام انه قال فيما بين دلوك الشمس الى غسق الليل
اربع صلوات الى ان قال وغسق الليل انتصافه وعليه فلا حاجة الى التجريد ولعله خص
نصفه بالذكر لكونه اشد ظلاما لبعد الشمس من الافق الغربي ووصولها الى دائرة
نصف النهار تحت الارض في اكثر هذه الاقاليم وقت اذ يكونون في وسط مخروط ظلها
فوق الارض في اشد الظلام والمراد انه في بكرة جعلت الاهوية المظلمة منورة لا الظلمات انفسها
فانها لا تتصف بالنور والحق ان تكيف الهواء بالنور في الجملة مما لا ينبغي الشك فيه وان منع
من جهة اللون شرطية التكيف فاذا توهم بها الاهوية المظلمة لا مانع منه ويجوز ان يراد بها الاجسام
المظلمة غير الهواء وهذا ليس كثير البعد لاستغنائه عن تجشم الاستدلال على قبول الهواء الضوء وسلامته
عن شوب الخلاف او المراد بانارتها اعدامها باحداث الضوء في محالها وهذا مبني
بان الظلمة كيفية وجودية كما ذهب اليه طائفة قبل وهذا او الكان الاكثر مع بطلانه
الله

الآن ولا الهم جعلت بهذه القوة فهو باق مع اصل الامكان لا يذهب ان به قاطع البرهان

وأنهرنا المياه من الصم الصياخيد عذبا وأجاجا الانهار الاجراء والآلة والتعب كثرة ومنه النهر بالفتح والسكون
المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والترك للسعة والماء الذي
يشرب والهمزة فيه مبدلة من الهاء في موضع اللام واصله موه بالتحريك والصم جمع اصم حاصله
من الكثار الاحجار وتصاحبها ومنه قيل حجر اصم اي يابس فيه تجاوز ولف وقناة صماء اي مج
مصمت غير مجوف كالقصب وصمام القارورة اما بكسر الصاد شدة ثم سمي به فقدان حاسة
السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكسر الا تجوف فيه يتمثل عنه الهواء السامع الصوت
تموجه والجمع الصم افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون صم بكم عمي فهم لا يرجعون وكم
بل هو اشعرة بان تلك المياه كانت في الاحجار انفجرت مياهها وهذا كالياتي في الظلم
كان في بعض انها خلعت صورتها ولبست صورته فهي ابتدائية والظرف في محل النصب
على الحالية اي اجريتها حال كونها مبتدأة منها والصيخود الصخرة الشديدة والجمع الصياخيد
والياء زائدة في صخرة صيخود وصخى اي شديدة والصيخدون الصلابة والقدرة

الطيب الذي لا ملوحة فيه وفي القاموس العذب من الطعام والشراب كل مستساغ
والاجاج بالضم الماء الملح الشديد الملوحة هذا عذب فرات سائغ شرابه
وهذا ملح اجاج وهما منصوبان اما على الحالية او المصدرية او التمييز وهو الاظهر
ولعل المراد انه تعالى شق تلك الاحجار فانشقت انشقاقا بالطول والعرض
فنبع منها الماء لا انها انقلبت مياها كما يفيده الظاهر فان قلت كيف جوز
ان يكون عذبا واجاجا حالين من الماء وكمال الحسن ان يكون مطابقا لذيها
في التذكير والتانيث وهنا قد انعدمت حيث لم يقل عذبة واجاجة قلت
معنى الكلام انه تعالى اجرى المياه من الاحجار الشديدة الصلابة حال كونها عذبا بعضها
واجاجا بعضها كما في قول امرء القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف
البالي حيث لم يقل رطبة ويابسة لكن ظاهره يقتضي حذف الفاعل وابقاء [illegible] رافعه ولا يجوزه
البصريون ولا بعض الكوفيين الا ان يتقيد [illegible] الفاعل [illegible] ويقصد [illegible]
وهو يجوز تركه فيهما فان العذوبة بالنسبة الى البعض والاجاجة بالنسبة الى الاخر
والاظهر ان يقال قسما عذبا وقسما اجاجا والاولى ان يجعل نصبهما على التمييز لعدم
حاجة

حاجة الى ان [illegible] وهي قد يكون مفردا او ان كان التمييز بمنزلة او مجموعا اذا كان يتشابه
اجزائه وتقع مجرد عن التاء ويطلق على الكثير والقليل كالماء والتمر ونحوهما عذب
الماء اذا لطف خف وزنه لقلة ما يخالطه من الارضية وعدم ما يمازجه من الاوساخ
المدنسة والكيفيات المعدنية الموجبة لنفوذ ما جاريا على تربة نقية حرة قابلة للعفونة
وخاصة الماء الجاري الى المشرق لان الرياح المشرقية معدلة بين الحرارة والبرودة
[illegible] الى السيولة فتكون مصلحة له وسيما الماء المنحدر الى اسفل فان حركته اسرع فيزيد
لطافة وخاصة اذا بعد المنبع لان يكون الطف لكثرة حركته بطول المسافة ويرق
رقة ولطافة رطوبة الفم ويسيلها وينفذها في جرم اللسان وهو فاعل عن
الطعوم وبذلك تحصل العذوبة لان طعم هذه الرطوبة مائل الى العذوبة كما بالطبع
الطبعي والعذوبة اول درجات الحلاوة ولذلك يتخيل شاربه انه حلو والا
فالماء بسيط لا طعم له ولا رائحة ولا لون كما ثبت في محله **وانزلنا من
المعصرات ماء ثجاجا** من ابتدائية وهي مجرور في موضع النصب على
الحالية من الماء وثجاجا صفة له وانما قدم عليها الضرورة رعاية الفاصلة مع كونها

خرقا والمراد انه في الانزال او بمجاجه ما يكون مبتدا او منشأه من المعصرات وهي السحاب
اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك اجز الزرع اذا حان له ان
يجز ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض ويمكن ان يراد بها السموات لان الماء ينزل
من السماء الى السحاب ومنه الى الارض فكان السموات يعصرن اي يحلبن ما يعصر ويمكن منه قال صاحب الوافي
جعل لها الفداء السحاب غربال المطر ولولا ذلك لافسد كل شيء وقع عليه والثقات الائمة
المعصومون اذ لم يقيموا اشاعره مما زعموه من سبب حدوث المطر بما يعتمد اليه ودليلا يركن
النفس اليه بل الظاهر انه لا مجال لان جمع الماء الذي نزل من السماء هو الذي من الارض
بمخالطة الهواء المتصاعد بسبب استيلاء الحرارة ولا القول بان الصاعد هو جزو من الغاية
من الذي نزل فيكون اعادة عندهم معدا لانقلاب الهواء ماء فيكون حدوث معظمه في السماء
ويجوز ان يكون بها الرياح ذوات الاعاصير لان الرياح هي التي تثير السحاب وتدر اخلافه
فصح ان يجعل مبدا للانزال وقد جاء ان الله تبعث الرياح فتحمل الماء من السماء الى السحاب
فان صح ذلك فالانزال منها ظاهر وفي مسندة الصادق عليه السلام ان لله رياحا رحمة لواقح
ورياح تهيج السحاب فتسوقه ورياح تحبس السحاب بين السماء والارض ورياح تعصر فتمطره
باذن الله

باذن الله ورياح تفرق السحاب الحديث وماء ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي
الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي **فائدة** السبب
الاكثري في كبر حبات الامطار الصيفية وصغر حبات الشتوية ان الابخرة الصيفية
في الاكثر لا تخلو عن الادخنة التي هي مادة الريح الموجبة لتموج تلك القطرات بعض
فيكبر وفي الشتاء يكون الهواء ساكنا فلا اتصال **تذنيب** قالت الفلاسفة
ان الشمس اذا اشرقت على المياه والارض الرطبة تحلل منها اجزاء هوائية ممازجة
اجزاء صغار مائية لا تتميز منها في الحس لفرط الصغر والاختلاط والمركب منها
يسمى بخارا وهو اذا صعد وبلغ في صعوده الى الطبقة الزمهريرية تكاثف
بسبب البرد فان لم يكن قويا اجتمع وتقاطر لثقله فحصل من التكاثف والانجماد
فالمجتمع والمتقاطر المطر وان كان قويا فاما ان يصل الى اجزاء السحاب قبل اجتماعها
او بعده فعلى الاول ينزل السحاب ثلجا لان تلك الاجزاء الصغيرة
انعقدت وانضم بعضها ببعض وهو الثلج الذي يهبط كالقطن المحلوج وان كان
الثاني ينزل بردا واما اذا لم يبلغ في صعوده الطبقة الزمهريرية فان كان كثيرا

فاذا اصابه برد ينعقد سحاباً ماطراً كما حكاه بعض من شاهده وقد صعد من جبل بعض الجبال
صعوداً يسيراً او كثيراً حتى انه يظنه موضوعه شاهده فكان هواء فوقها مشمساً
وكان من تحته من اهل القرية ممطرون وقد يكون السحاب من انقباض الهواء بالبرد
الشديد فيحصل منه الكلام ثم ان البخار المنعقد برداً ان كان بعيداً من الارض كان
صغير الحب مستديراً لذوبان زواياه بالحركة السريعة المخارقة للهواء وان كان قريباً
كان بالعكس فالسبب في كثرته في البلاد البارده في الربيع دون الشتاء ان الاجزاء
البخارية اذا تم تكاثفها احاطت بها حرارة الهواء او ريح حارة تحفظ البرد الداخل
باطن السحاب دفعة فتستمسك البخار وجمد دفعة واحدة لئلا تتحلل الحرارة فيها ولذا كان
الكائن الماء اسرع جموداً من البارد فهذه جملة احوال الكائنات الجوية مما يزعمون
واكثرها لا يجامع ما ورد في الشريعة المطهرة ما يصادمها والله اعلم الابصر بما ينالون

وجعلت الشمس والقمر للبرية سراجاً وهاجاً يستضيئون

في مآربهم فانه مع الحاجة الى الظلمة لتهيئة الحيوان وبرد النبات لم يكن صلاح في
ان يكون الليل ظلمة واحدة لا ضياء فيها فلا يمكن فيه شيء من العمل لانه ربما احتاج الناس

الى العمل بالليل لضيق الوقت عليهم في بعض الاعمال بالنهار او لشدة الحر وفرطه
فيعملون في ضوء القمر اعمالاً شتى كحرث الارض وقطع الخشب او ما يشبه ذلك فجعل
ضوء القمر معونة لهم على معايشهم اذا احتاجوا الى ذلك وانساً للسائرين وفي
تصرف القمر خاصة في تهلله ومحاقه وزيادته ونقصانه وكسوفه من التنبيه على
قدرة الله خالقه المصرف له هذا التصريف لصلاح العالم ما يعتبر به المعتبرون
تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً وانما سمي
قمراً لبياضه فان الاقمر هو الابيض او لانه يقمر الكواكب اي يغلبها بزيادة النور وقد
اضطربوا في انه الى كم يسمى هلالاً ومتى يسمى قمراً فقال الجوهري الهلال اول
ليلة والثانية والثالثة ثم هو قمر وزاد الفيروزابادي فقال الهلال غرة القمر
او الليلتين او الى الثلاث او الى سبع وليلتين من آخر الشهر ست وعشرين
وسبع وعشرين وفي غير ذلك قمر وقال بعضهم يسمى هلالاً الليلتين من اول الشهر
ثم لا يسمى هلالاً الى ان يعود في الشهر الثاني وقال آخرون يسمى هلالاً الى ثلث
ليال ثم يسمى قمراً وقال آخرون يسمى هلالاً حتى يحجر وتحجيره ان يستدير

بخطاء دقيق ثم يقال قمر وقال بعضهم يسمى الى الثالث سهر ضوؤه سواد الليل ثم يقال قمر

وهذا يكون في ليلة اثلث بعده ولعل في وصفه بالبراجية تاييد لهذا القول

وجعله مجازا بالمشارفة من باب ما يؤول اليه اي الشيء سمح والبرية الخلق

يقال برء الله برءه خلقه ويجمع على البرايا والبريات من الري التراب

والبرا معروف ويقال الى البنراس الفاء وهو المشبه به وهذا التشبيه يسمى التسوية

وهو ان يكون المشبه متعددا ن المشبه به كقوله صدغ الحبيب وحالي كلاهما

كالليالي وثغره في صفاء وادمعي كاللالي فان قلت المشبه به يجب

ان يكون اقوى وازيد في وجه الشبه من المشبه قلت يجوز عند ارادة الجمع بين شيئين

في امر كمطلق اللون مثلا التشبيه ايضا كتشبيه الصبح بغرة الفرس متى اريد ظهور منير

في مظلم اكثر من ذلك المنير من غير قصد الى المبالغة في وصف غرة الفرس بالضياء

والانبساط وفرط التلألؤ اذ لو قصد شيء من ذلك لوجب جعل الغرة مشبها

والصبح مشبها به لانه ازيد في ذلك ويمكن ان يكون هذا التشبيه من باب تشبيه احاد

المجتمع باجزاء مثلها بان يشبه كل من النيرين بالسراج المنير ويشبه من يستضيء بنوره

ويتبع

ويتقع به وازالتهما الظلمة واظهارهما الاشياء مع ظهورهما بنفسهما بازالة الظلمة

واظهاره الاشياء وظهوره بنفسه الى غير ذلك من الاعتبارات ويمكن ان يكون

من باب تشبيه الهيئة الحاصلة من احاد مجتمعة باخرى مثلها مثل قوله وكان اجرام النجوم

لوامعا درر نثرن على بساط ازرق فانه يمكن فيه اعتبار كل من التشبيهين والكان

الاول احسن ولما كان السراج في الاصل مصدرا لم يثناه او يقال لما كان احدهما بالتراجيح

في وقت لم يجامع وقت اتصاف الاخر بها افرد تشبيها في ذلك او هو جنس

يطلق على الواحد والمثنى او حذف في احدهما للظهور اي جعلت الشمس للبرية سراجا

والقمر المضيء نورا او سراجا **مِنْ غَيْرِ اَنْ تُمَارِسَ فِيْهِمَا اَبْتِدَاتَ**

بِهِ لُغُوبًا وَلَا عِلَاجًا كلمة غير وضعت للمغايرة كما في غير المغضوب

عليهم ولا الضالين فيكون اثباتها في حكم النفي لتضمنه اياه فيجوز تاكيده بلا وقد يؤكد

بها النفي كقولك انا غير ضارب زيدا لست ضاربا له لان مغاير الشخص

ضارب له فلفظة لا زائدة لتاكيد معنى ما في غير من معنى النفي وممارسة حالة فراولة

كذا في القاموس والابتداع الاختراع لا على مثال سابق ويكون خلق لا على مثال سبق

انصاف م

فيما ابتدعته ...

...

[illegible]

ولا تعب ولا نصب وكل صانع شيء فمن شيء صنع والله لا من شيء صنع ما خلق والغرض
انه تعالى خلق الخلق انشاءً واوجده ابتداءً من غير مثال فلم يكن صنعه كصنع البشر
لان الصنائع البشرية انما تحصل بعد ان ترتسم في الخيال صورة المصنوع وتلك
الصورة تحصل تارة من مثال خارجي يشاهده الصانع ويحذو حذوه وتارة
بمحض الالهام فان كثيراً ما يفاض على اذهان الاذكياء صور الاشياء واشكال لم يسبقهم
الى تصورها غيرهم فيصورونها في الخارج وكيفية صنعه عز وجل منزهة عن الوقوع
على هذين الوجهين اما الاول فلانه تعالى كان ولم يكن معه شيء ولا قبله فلا يكون خلقه
مسبوقاً بمثال من صانع آخر صنع هو مثل صنعه واما الثاني فلان الفاعل على وفق
ما الهم والخيال مبتدعاً ومخترعاً في الظاهر لكنه في الحقيقة للغير الذي القاه في
ذهنه صورة ما ابتدعه ظاهراً والله سبحانه منزه عن الافتقار والاحتياج فلم يكن
صنعه بهذا الوجه ايضاً وفي بعض النسخ فيما ابتدا به بالهمزة والمراد به الابتداء
الدهري او الزماني لو كان له معنى واذا لم يوجب ابتداء الكلي من غيره تعباً ونصباً
ولا تعباً فبان لا توجبه الاكثر بعدها بالطريق الاولى فيما بالكلي الدوام في ليس
في

من خلق جديد واللغب واللغوب النصب والتعب والاعياء والعلاج العمل بالجوارح تقول عالجت
الشيء معالجة وعلاجاً اذا زاولته والمراد انه صدرت منه تعالى في تلك الافاعيل العظيمة وظهرت
منه هذه الآثار العجيبة الغريبة المتحيرة فيها اذهان الاذكياء من غير ان يلحقه لغوب ويعيا بالاعياء
كما توهمه الكفرة الفجرة المجسمة والمشبهة ومن يحذو حذوهم ومن زعم ان التحقيق فيها نصباً
ولا تعباً كما هو شأن القوى والآلات الجسمانية فانها تعجز وتكل عند كثرة الافعال وتوارد
الاعمال لتأثرها وانفعالها فهي لا تقدر على افعال غير متناهية بخلاف القوى
المجردة عنها وخاصة القدرة القديمة الواجبة فهو سبحانه ابتدع بقدرته الخلق
ابتداءً واخترعهم بمشيته اختراعاً وكونهم بارادته تكويناً واحدثهم بكلمته
احداثاً من غير آلة وبلا اعضاء والمعالجة بالجوارح ومن غير عناء فيما فعله نصب
ولا تعب والى هذا يشير قوله عز من قائل ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما
في ستة ايام وما مسنا من لغوب روى رئيس المحدثين في كتاب
العلل باسناده عن صاحب الدلالة جعلت له الفداء في حديث طويل انه قام
اليه رجل من اهل الشام فقال يا امير المؤمنين اني اسألك عن شيء فقال

سل نفعها ولا تشد نفعنا فاحدق الناس بابصارهم فقال اخبرني عن اول
ما خلق الله تبارك وتعالى فقال خلق النور قال فمم خلق السموات قال من بخار
الماء قال فمم خلق الارض قال من زبد الماء قال فمم خلقت الجبال قال من
الامواج والحديث طويل اخذنا منه موضع الحاجة ونقل عن ثاليس الملطي
ان اول ما ابدعه الله تعالى من الاجسام هو الماء لانه قابل لكل صورة ثم
حصل الارض منه بالتكثيف والهواء والنار بالتلطيف اذ الماء اذا لطف
صار هواء وتكونت النار من صفوة الماء والسماء تكونت من دخان النار
ويحكى انه اخذه من التورية لانه جاء في السفر الاول منها ان الله خلق جوهرا
فنظر اليه نظر الهيبة فذابت اجزاؤه فصارت ماء ثم ارتفع منه بخار
كالدخان فخلق منه السموات وظهر على وجه الماء زبد فخلق منه الارض ثم
ارساها بالجبال ونقل صاحب الملل والنحل عن ثاليس الملطي انه قال ان
المبدأ الاول ابدع العنصر الذي فيه صور الموجودات والمعدومات كلها فانبعث
من كل صورة موجودة في العالم مثال الذي في العنصر الاول فمحل الصور
ومنبع

ومنبع الموجودات هو ذات العنصر وما من موجود في العالم العقلي والعالم
الحسي الا وفي ذات العنصر صورة ومثال منه ثم قال ومن العجب انه نقل عنه
ان المبدع الاول هو الماء ومنه ابدع الجواهر كلها من السماء والارض
وما بينهما فذكر ان من جموده تكونت الارض ومن انحلاله تكون الماء ومن
صفوة الهواء تكونت النار ومن الدخان والابخرة تكونت السماء ومن الاشتعال
الحاصل من الاثير تكونت الكواكب فدارت حول المركز دوران المسبب على
السبب بالشوق الحاصل اليه قال ثاليس الملطي انما تلقى هذا من المشكوة النبوية
يعني ما نقل عن التورية اول ظاهر ما نقل عنها وصريح ما نقل عن ثاليس الملطي
يفيد ان ذلك الجوهر او ذاك الماء اول ما ابدعه الله من الجواهر الجسمانية
فلا منافاة بينه وبين الروايات الواردة من العامة والخاصة ان العقل
اول مخلوق ابدعه الله تعالى فمنها ما في الكافي عن سماعة عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام
ان الله عز وجل خلق العقل وهو اول خلق من الروحانيين عن يمين العرش
من نوره والظاهر ان المراد بالعقل في هذه الروايات هو النفس المجردة وتسميته

بالعقل من باب تسمية المحل باسم الحال اذ العقل باصطلاح اهل الشرع غريزة
نفسانية يدرك بها ما فيه صلاح النفس في النشأة الآخرة وليس المراد به ما اصطلح عليه
الفلاسفة من العقول العشرة اذ العقل باصطلاحهم جوهر مجرد في ذاته وفعله والروايات
الصحيحة الواردة في الطرفين صريحة في ان المراد به اما النفس او قوة قائمة بها
حيث قال الملك لا افهم احب الي منك اياك آمر واياك انهى واياك اعاقب
واياك اثيب وقوله ثم قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر محمول اما على
الاستعارة التمثيلية بتشبيه الهيئة الحاصلة من القاء اوامره ونواهيه الى النفس
وتلقيها اياها بالقبول بالهيئة الحاصلة من امر السيد عبده المطيع فيما يأمره وينهاه فتارة
يأمره بالاقبال فيقبل واخرى بالادبار فيدبر او على الاستعارة التبعية فالاقبال استعارة
عبارة عن الاتيان بالاوامر والادبار عن الانتهاء عن النواهي فان قلت قد ورد
عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال اول ما خلق الله نوري وفي رواية روحي وفي اخرى اول ما خلق الله
العقل فكيف التوفيق بين هذا الخبر وهذه الاخبار قلت اول ما خلقه الله نفس النبي صلى الله عليه وآله
وهي من حيث انها تدرك الاشياء كما هي عقل ومن حيث انها يهتدى بها نور ومن حيث انها
بها

بها حيوة الخلق بالعلم والعبادة روح ومن حيث انها مظهر الحقائق والدقائق قلم
واما قول بعض الحكماء ان النفوس حادثة بحدوث البدن فغير مسلم وكثير من الروايات
ناطقة بخلافه فمنها صحيحة بكير بن اعين عن ابي جعفر عليه السلم المذكورة في الكافي في خلق الله
ارواح شيعتنا قبل ابدانهم بالفي عام ولا استبعاد فيه اذ كما يجوز تعلق الارواح بعد خراب
هذه الابدان بابدان مثالية جاز تعلقها بها قبل تعلقها بهذه الابدان كما دل عليه كثير
من الاخبار منها قول ابي جعفر عليه السلم ان الله خلق الخلق ثم بعثهم في الظلال قال الراوي قلت
واي شيء الظلال قال الم تر الى ظلك في الشمس شيء وليس بشيء هذا ولما دلت الفقرات السابقة
على انه تعالى واجب الوجود لذاته متوحد في فعله غالب على غيره لا ضد ولا ند له ملك الافاعيل العظام
وخاصة ابتداء وابتداعه من غير لغوب من القدرة المملكة غير ممكن ولا كلام في ان من
هذا شأنه فهو باق بذاته قاهر على غيره فرع عليه **فيا من توحد بالعز والبقاء**
تفرد وطلب من نفسه ان يكون واحدا والعز خلاف الذل والعزة في الاصل
القوة والشدة والغلبة والرفعة والامتناع تقول عز يعز بالكسر اذا صار عزيزا
وعز يعز بالفتح اذا اشتد والعزيز المنيع الذي لا يغلب ويقال من عز بز اي من

سلب وعزة لله تعالى عبارة عن قدرته وغلبته على الممكنات وتقرأ الشيء من باب ضرب
بقاء بالله فهو باق لم ينفد ما عندكم ينفد وما عند الله باق والبقاء صفة الوجود وهو استمرار
او هو وجود مخصوص فانه وجود مستمر وبقاؤه تعالى عين ذاته فاستحال ان يسبقه
عدم او يلحقه انقطاع بل هو باق ازلا وابدا وان مرت الدهور والاعوام
ومضت الازمان والايام اذ لا غاية له من الزمان ينتهي اليها ولا مدة مضروبة
ينقف عليها كما يكون من زمانيات من زمانها لان الدهور والاعوام والازمان
والايام من جملة مخلوقاته تعالى والمكان مساوق وجود الزمان بمعنى انه معه في الوجود
والمكان هو موجده وخالقه الا ان مساوقة الزمان لا تقتضي الكون في الزمان
كالعالم فانه مع الخردلة وليس فيها واذا كان تعالى في الزمان لم يكن له غاية منه ينقف
عندها فثبت انه تعالى باق دائم مع مر الدهور والازمان والشهور لان الواجب بالذات
ممتنع العدم دائما فان كل ما كان واجب الوجود لذاته في وقت فهو واجب الوجود في جميع
الاوقات ازلا وابدا ما دام الذات لان الواجب بالذات ما كان مجرد ذاته كافيا
في كونه واجبا وكل ما كان مجرد ذاته كافيا في كونه واجبا وجب وجوده في كل وقت اذ لو وجب

في

في وقت دون وقت لزم الترجيح بلا مرجح او الوقوع بسبب وتم قد فسروا الباقي من اسمائه تعالى
بالمستحيل عليه الفناء او الذي لا يعرض له عوارض الزوال وفي التسهيل تقدير وجهين في الاستقبال
ويعبر عنه بانه ابدي الوجود لان بقاءه غير متناه والمحدود ليس صفة بقائه ودوام كبقاء الجنة
والنار ودوامهما لان بقاءه ازلي ابدي وبقاؤهما ابدي غير ازلي وليس المراد ببقاء استمرار
وجوده من حيث نسبته الى الزمان الماضي كما هو المشهور في تفسيره وجوزه بعض الفضلاء المتأخرين
القائلين بالقول بالزمان الموهوم كما اشرنا اليه نعم يمكن تصحيح المعنى المشهور على القول بالزمان
التقديري كما اومأنا اليه في بعض رسائلنا المعمولة لتحقيق تحريم وشاء الدهر فيطلع
من هناك **وقهر عباده بالموت والفناء** القهر الغلبة والقهار
من صفاته تعالى والعباد جمع عبد واكثر ما يطلق على المملوك وقد يطلق على الانسان
حرا كان او رقا قال صاحب المحكم يذهب بذلك الى انه مملوك لباريه
عز وجل وقال سيبويه هو في الاصل صفة قالوا رجل عبد ولكنه استعمل
استعمال الاسماء وقال الجوهري واصل العبودية الخضوع والذل وللعبد
عشرون جمعا اشهرها عباد وعبيد وعبد وجعل العباد له وغيره من الجمع

والمخلوقين والمراد بالعباد هنا جميع ما سوى الله تعالى لاشتراك الكل في الامكان المصحح لطريان
العدم عليه انه تعالى يجعلهم مقهورين مغلوبين باماتتهم وافنائهم وينفرد هو بالبقاء كل
من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام والتعبير بصيغة الماضي لانه مما وجب
تحقق وقوعه كانه امر وقع وتحقق ومن لا يقول باعادة المعدوم بعينه بل بتفرق اجزاء الجسم
وخروجها عن حيز الانتفاع يؤول الاماتة والافناء بالتغير والتبدل وفي معرض الزوال
والفناء وهو تعالى من حيث الذات والصفات باق ازلا وابدا من حيث لا يلحقه شائبة
تغير اصلا فهلاك شيء فان الاذاعة قال وهذا مضمون رواية صحيحة رواها ثقة الاسلام
في اصول الكافي وجماعة من المتكلمين ان الموت فعل من الله او من الملك يقتضي
زوال حيوة الجسم من غير جرح وجمهور المعتزلة القائلين بان النفس جسم لطيف بخاري
يتكون من الطف اجزاء الاغذية وينفذ في العروق الضوارب والحيوة وهي
قائم بالنفس وحال فيها ذاته لواو وكيفية قبض ملك الموت للنفس انه يلج في فم الانسان
الاقرب لانه جسم لطيف هوائي لا يتعذر عليه النفوذ في المخارق الضيقة فيخالط
النفس التي هي كالشبيهة به لانها جسم لطيف بخاري ثم يخرج من حيث دخل والنفس معه
دائما

وانما يكون ذلك في الوقت الذي يأذن الله فيه وهو حضور الاجل وهؤلاء مأذون
للنفس المجردة واما المثبتون لتجردها كاعاظم الحكماء الالهيين واكابر الصوفية
العارفين وجمع من المتكلمين كقدماء اصحابنا الامامية مثل ابن بابويه والمفيد
والمرتضى وبني نوبخت والعلامة والفخر الرازي وغيرهم فحقيقة الموت عند هؤلاء
هي انقطاع تعلق النفس بالبدن وتصرفها فيه لخروجه عن حد الانتفاع به وكيفية قبض ملك
الموت انه يتولى افاضة العدم على قوى هذا البدن حال انقطاع تعلق النفس وتدبيره
وعلى هذا فيكون خروج النفس عنه ابدا انها كما ورد في بعض الآيات والروايات كناية
عن مفارقتها لها وانقطاع تعلقها بها ولما كانت النفس منغمسة منغمرة في عوارض
البدن وعلائقه المادية وملاحظتها اياها دائما لا ينفك عن الالتفات اليه مادامت
متعلقة به لسعيها في تصحيح هذا المزاج واصلاحه واعداده اياه لتمام التصرف فيه والاستعمال
كانت كانها حالة فيه حلول الساكن في الدار لقيام مصالحها فعبر عن الفناء اياه
وطرحها له وتخليها عنه بالخروج عنه فالموت عند الاولين من المتكلمين كالحيوة وجودي
واستدلوا عليه بكريمة خلق الموت والحيوة ليبلوكم فان المعدوم لا يوصف بالخلق

والحق ان المراد به احداث اسباب حدوث انطفائها فمن الاسباب منها ما به يفسد مزاج القلب ثم
او كيفية مفرطة من الكيفيات المعلومة او كيفية غريبة سمية او احتباس مادة النفس والبخار مسكون
في الاكثر موتين بعدم التنفس في او في اللال تغير بالالام جميعا لكونه ضدا لها ليس بشي لان كونه
قائما بذاته كان جوهرا او لو كان قائما بغيره فاما جوهرا او شبيه الجوهر في محله لتقدير ان لا يكون
ضد الجوهر فلا ينافيه

تبصرة

قال بعض المحققين اعلم ان الذي نطقت به الاخبار
وشهدت به الاعتبار ان الموت ليس الا تغير حال هو مفارقة الروح لهذا البدن
الجاري مجرى الآلة لذي الصنعة وان الروح باقية بعده كما شهدت به البراهين
العقلية والاخبار النبوية المتواترة ومعنى مفارقتها له انقطاع تصرفها فيه
لخروجه عن حد الانتفاع به فما كان من الامور المدركة لها يحتاج الى آلة فهي معطلة
عنه بعد مفارقة البدن الى ان تعاد اليه في القبر او يوم القيمة وما كان لها بنفسها
من غير آلة فهو باق معها تتنعم به وتفرح او تحزن من غير حاجة الى هذه الآلة
في بقاء تلك العلوم والادراكات الكلية لها هناك وقد ضرب للمفارقة التي
سميناها بالموت مثل حيث قيل ان بعض اعضاء المريض يتعطل بسبب مزاج
يقع

يقع فيه او بسبب شدة تعرض للاعصاب تمنع نفوذ الروح فيها فتكون النفس مستعملة
لبعض الاعضاء دون ما استعصى عليها منها فكذلك الموت عبارة عن استعصاء جميع الاعضاء
وتعطلها ومعنى المفارقة يعود الى سلب الانسان عن هذه الاعضاء والآلات
والتمتعات الدنيوية من الاهل والمال والولد ونحوها ولا فرق بين ان تسلب هذه
الاشياء عن الانسان او يسلب هو عنها اذ كان المؤلم هو الفراق وقد يحصل ذلك
بنهب مال الرجل وسبي ذريته وقد يحصل بسلبه ونهبه عن اهله وماله فالموت الحقيقي
هو سلب الانسان عن امواله بازعاجه الى عالم آخر فان كان له في هذا العالم شيء يأنس به ويستريح
اليه فبقدر عظم خطره عنده يعظم تحسره عليه في الآخرة ويكون بسبب عظم خطره عنده
ضعف تصوره لما اخذ لا يكون المتيقن في الآخرة مما يستحقر في الالتفات الى اكثر نفائس
الدنيا فاما اذا كان ممن يصير بمقصوده حتى لم يفرح الا بذكر الله ولم يأنس الا به عظم نعيمه وتمت
سعادته اذ خلي بينه وبين محبوبه وقطع علائقه وعوائقه اذ كل ما عنده وحبائل الدنيا ينكشف له
هناك ما كان يدركه من السعادة بحيث الوصف انكشف مشاهدة كحالات هذا المستيقظ ما رآه
في النوم والناس نيام واذا ماتوا انتبهوا ولذلك كان الموت راحة للمؤمنين ومحبوبا.

للمتقين كما اشار اليه سيد المرسلين صلوات الله عليه وآله اجمعين ليس للمؤمن راحة دون
لقاء الله **صلّ على محمد** مفعول له اسم المفعول المضعف بمعنى ثنياً الهاماً من الله وتقوى
بانه يكرمه بحكم علوي **وآله الاتقياء** المتنزهين عما يشغلهم عن اقبال عليك
والمتبتلين بشراشرهم اليك وهذا هو التقوى الحقيقي المعني بقوله تعالى واتقوا الله حق تقاته
وقد سئل بعض اهل العصمة سلام الله عليهم عن معناه فقال هو ان لا يفقدك الله حيث نهاك
ولا يفقدك حيث امرك فالتقوى تجنب المنهيات باسرها وترتكب المأمورات بتمامها وقد
يطلق ويراد به التوقي من العذاب المخلد بالتبري عن الشرك فلها ثلث مراتب والمعروف باسم التقوى
في عرف الشرع هو المرتبة الثانية والتقوى في اللغة بمعنى الاتقاء وهو اتخاذ الوقاية من
المحذورات وعند اهل الحقيقة هي الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته وقيل هي وقاية النفس عما
يضرها في الآخرة من اعتقاد وعمل وخلق وقال بعض العلماء التقوى تجنب العبد في الاخرى عن معبود الاخشية بحكمه
المستلزمة للاعراض عن كل ما يوجب الالتفات عن متاع الدنيا وزخرفها وتتخذ دون وجهه العقد وقد
ان خيرات الدنيا والآخرة جمعت لفظة واحدة وهي التقوى انظر الى ما في القرآن الكريم من ذكرها فكم
علق عليها من خير ووعد لها من ثواب واضاف اليها من سعادة دنيوية وكرامة اخروية ولنذكر من فضائلها

والآثار

والآثار الواردة فيها اثنتا عشرة خصلة الاولى المدحة والثناء قال تعالى وان تصبروا وتتقوا فان
ذلك من عزم الامور الثانية الحفظ والحراسة قال تعالى وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم
شيئاً الثالثة التأييد والنصرة قال تعالى ان الله مع الذين اتقوا الرابعة النجاة من الشدائد
والرزق الحلال قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب الخامسة
صلاح العمل قال تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح
لكم اعمالكم السادسة غفران الذنوب قال تعالى ويغفر لكم ذنوبكم السابعة
محبة الله قال تعالى ان الله يحب المتقين الثامنة الاكرام والاعزاز قال تعالى
ان اكرمكم عند الله اتقيكم العاشرة البشارة عند الموت قال تعالى الذين آمنوا
وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة الحادية عشر النجاة من النار
قال تعالى ثم ننجي الذين اتقوا الثانية عشر الخلود في الجنة قال تعالى اعدت للمتقين فقد
ظهر لك ان سعادة الدارين منطوية فيها ومندرجة تحتها وهي كنز عظيم وغنم جسيم
وخير كثير وفوز كبير والتقى والاتقياء جمع تقي وهو المتجنب عن المعاصي وقال الشهاب
الفيومي رجل تقي زكي وقوم اتقياء وتقي يتقي من باب تعب تقاء واتقاه والاسم التقوى

التاسعة قبول الاعمال قال تعالى انما يتقبل الله من المتقين صح

واصل النداء نداو ولكنهم قلبوا الواو همزة لتطرفها بعد الف زائدة وفي قلب الواو همزة كلام يحتمله وتراث **واستمع**
ندائي سماع قبول واجابة والا فهو سبحانه يسمع لا يشغله صوت عن صوت ولا
شأن عن شأن وهو الذي يسمع السر والنجوى سواء عنده الجهر والخفوت والنطق والسكوت
فيكون المراد بالسماع الاجابة والقبول وهو في الاستعمال شايع يقال فلان سامع مطيع اي سامع لما يؤمر به
كأنه ما كان سمع طاعة وقبول ومنه قوله تعالى واتقوا الله واسمعوا وقال بعض العلماء اصل السماع
الاصغاء لكنهم استعملوه في الاجابة والقبول للامر كثيرا كما تقول سمع فلان ما قلت له ومنه قولهم
سمع الفاني البيشة اي قبلها شهرة ومنه قولهم صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت
بسوء عندهم اذنوا وقول الآخر اصم عن الشيء الذي لا اريده واسمع خلق الله حين اريد والمشهور
في الاستدلال على كونه تعالى سميعا مع قطع النظر عما علم ضرورة من دين نبينا صلى الله عليه وآله
من كونه سميعا ان كمال الحيوة ولا سيما كونها مع كمال التجرد يقتضي ادراك المسموعات
وليس سمعه تعالى من صفات الفعل المتعلقة بالموجود العيني ليكون حادثا بعد الوجود بل هو
من صفات الذات فيكون قديما يمكن تعلقه بالمعدوم كساير العلوم وبعد وجود المسموع
يتعلق به من حيث الوجود والحضور ولا تفاوت بين حضوره باعتبار الوجود وقدمه
ايضا

بما يرجع الى هذه الصفة ثم لما كان هذا النوع من الادراك في الانسان مشروطا بشرائط
لا يتصور في المعدوم لم يمكن تعلقه به ولا تاثير لها في سماعه تعالى فلا يستحيل تعلقه بالمعدوم وقال
المحقق الطوسي لما كان السمع والبصر الطف الحواس واشدها مناسبة للمعاني جرت عادة اهل العلم بحمل
ذلك وصفوا البارئ تعالى بالسميع والبصير دون الشام والذائق واللامس وعنوا بهما العالم
بالمسموعات والمبصرات **واستجب دعائي** اجب واستجب بمعنى ولعله عليه السلام اراد الالحاح
بذلك الى قوله تعالى ادعوني استجب لكم وللاجابة شرائط وآداب من طرف الداعي والاختيار
واحد منها لم يجب منها اخلاص النية وحضور القلب والاستغفار والخشوع والصدق والالحاح
وحسن الظن بالله وتعلق القلب به وقطعه عن الاسباب ومن آدابه الصلوة على رسول الله واهل بيته
فلا ينبغي له الترك واليأس بل الواجب عليه اصلاح سره وحاله ليكون مطابقا لمقتضى الحكمة
والمصلحة فيجيبه وقد يجيب ويؤخر لضرب من المصلحة ولم يستجبه بعوضه اما في الدنيا او الآخرة
كما اشار الى ذلك صاحب الدعاء جعلت له الفداء في وصيته لابنه الحسن عليهما السلام حيث
قال ولا يقنطنك ابطاء اجابته فان العطية على قدر النية وربما اخرت عنك الاجابة
ليكون ذلك اعظم لاجر السائل واجزل لعطاء الداعي وربما سألت الشيء فلا تؤتاه واوتيت

خيرا منه عاجلا وآجلا او صرف عنك لما هو خير لك فرب شيء قد طلبته فيه
هلاكك ودينك لو اوتيته فانظر كيف عدد لتأخر الاجابة اسبابا لئلا يحبط
السائل عند تأخرها فلا يقنط من رحمته تعالى واما ما يقال اي فائدة في الدعاء
لان المطلوب منه ان كان مقدرا اوجب وقوعه وان كثر فيه دعاؤه فجوابه معلوم
وان لم يدع له وان لم يكن مقدرا امتنع وقوعه
لانه تعالى اذا اقدر شيئا ان لا يقع الا بالدعاء امتنع وقوعه الا بالدعاء وعدم
دعائه دليل على عدم كونه مقدرا له وقد جاء في الخبر عن سيد البشر سل الحق في امر فرغ منه
او في امر مستانف واما من دعا لا يلزم من دعائه ان يصل اليه ما قدر وصوله اليه
بالدعاء فان الدعاء وحده ليس بسبب موجب بل يحتاج وصوله اليه الى شرائط
اخر كما سبق هذا والدعاء بالضم والمد والنداء متقاربان بل مترادفان لان الدعاء
لغة النداء والاستدعاء تقول دعوت فلانا اذا ناديته وصحت به لان الصياح
والدعوة المرة واصطلاحا طلب الادنى للفعل من الاعلى على جهة الخضوع والاستكانة وقيل
هو الرغبة الى الله وطلب الرحمة منه على وجه الاستكانة والخضوع وقد يطلق على التمجيد والتقديس
لما فيه من التعرض للطلب كما يشعر به قول النبي خير الدعاء دعائي ودعاء الانبياء

من قبلي وهو لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت
بيده الخير وهو على كل شيء قدير وليس فيه دعاء انما هو تقديس وتمجيد قال في ذلك امية ابن
ابي الصلت يقول في ابن جدعان اذا اثنى عليك المرء يوما كفاه من تعرضه الثناء فيعلم
ابن جدعان ما يكفونه بالثناء عليه ولا يعلم رب العالمين ما يكفونه بالثناء عليه
وحقق بفضلك املي ورجائي امر من حق بمعنى ثبت اي اجعله محققا متيقنا
او من حق لازم بمعنى تحقق فالمقصود انه اجعله متحققا متيقنا بحيث لا يكون مشكوكا والافضال
الزيادة والسعة وان يتعين من الشيء زيادة ولا يحتاج اليه وفضله تعالى افاضة جوده وكرمه
ابتداء من غير سابقة الاستحقاق فاذا عرف العبد سعة رحمته وفيضه ولطفه ورافته واحسانه
وجوده وامتنانه واجرائه نعمه عليه ظاهرة وباطنة جلية وخفية ضرورية وغير ضرورية منذ كونه
جنينا في بطن امه بلا سبق استحقاق ولا تقدم استيهال كان ذلك موجبا لسكون نفسه اليه
باعث شعوره بانه دليل له على توقع قضاء حاجته منه واسعافه بمأموله فلا جرم جعل ذلك
بسبب سؤاله والاصل محرك الرجاء وفا لعطف تفسيري **يا خير من دعي لكشف الضر**
والمأمول حذف المدعو للتعميم لانه تعالى يدعوه ويسأله من في السموات والارض

كما اشار اليه بقوله في كتابه الكريم والكشف هو الدعوة كالضرب رفع الشيء عما يواريه ويغطيه وبعبارة اخرى
رفع الستر والحجاب عن الشيء ومنه الكشف واضافته المصدر الى المفعول اي بكشفه الضر وفيه استعارة بالكناية
وترشيح او استعارة تمثيلية مرشحة بان شبه الهيئة الحاصلة من احاطة الضر بالمضطر وطلب اجابة الاخر بالهيئة الحاصلة
من احاطة الستر المستور وطلب اجابة الاخر ومن اسمائه تعالى كاشف الضر ومعناه المفرج الذي يجيب المضطر
اذا دعاه ويكشف عنه السوء والضر بفتح الضاد خلاف النفع وبالضم الهزال وسوء الحال والفقر وضرارة
بعث والاسم الضر والمامول معطوف على الكشف اي المرجو او المقصود والحاجة فيه اشارة الى انه
مرجو لامرين دفع الضر وجلب النفع **لكل عسير ويسير** صعب وسهل او جليل وحقير لانه ينبغي
[illegible] ان يرجع في كل حوائجه الدنيوية ومنها جليلها كانت او حقيرة ولا يانف من رفع الحوائج
اليه فانه غاية التوكل عليه [illegible] ليس لك ما تحتاج اليه حتى علف شاتك وملح عجينك والعسر ضد اليسر وهو
الضيق والشدة والصعوبة واليسر هو السعة والرخاء والسهولة قال اسحق بن بهلول الانصاري فلا تياس
وان اعسرت يوما فقد ايسرت في دهر طويل ولا تظنن بربك ظن سوء فان الله اولى بالجميل
وان العسر يتبعه يسار وقول الله اصدق كل قيل اعلم ان من اسباب اجابة الدعاء ان لا يعتمد
الداعي على غير الله اذا اراد احدكم ان لا يسال شيئا الا اعطاه فلييأس من الناس كلهم ولا يكون له رجاء

الا

الا من عند الله فاذا علم الله ذلك من قلبه لم يسال الله شيئا الا اعطاه يا من يسلني ولذا قال امير المؤمنين
منك الدعاء ومني الاجابة والى ذلك اشار بقوله **بك انزلت حاجتي** لا بالناس لا بغير كريم
لا انجاح نعمي واسعاف طلبتي قادر سواك فتقديم الظرف لافادة التخصيص والحصر وذلك
لانه تعالى لما كان له خزائن السموات والارض وكان امرها بيده لا معطي ولا مانع
الا هو وقد امر بالدعاء وتكفل بالاجابة وكانت له القدرة التامة التي لا يعجزها شيء
والجواد الذي لا يبخل فيه والغني الذي لا فقر معه لا ينقصه عطاء ولا يضره منع
لا جرم من طلب صلاح خلته وجبر فاقته من عنده ورام صرف الفقر عن نفسه بطلب الحاجة
من موضعها الذي علم انها فيه وقصدها طالبا من جهته التي يقصد منها كان حريا بالنجح لما
وجديرا بالظفر بالطلب والا من توجه بحاجته الى احد من المخلوقين واناخ مطايا الرجاء
والطلب في ساحة فقير عاجز مثله او جعله سببا لنيل حاجة والظفر بها معتمدا عليه دون الله
فقد تصدى للمنع وفوت الامن من [illegible] اذ لم يات حاجته من الوجه الذي ينبغي
ان ياتيها منه ولم يطلبها من محلها الذي هي فيه ومن التمس الشيء من غير محله واتاه من غير جهته
لم يظفر الا بالحرمان ولم يحصل الا على خيبة المطلب روي ان ابا عبد الله قرا في بعض الكتب

ان الله تعالى يقول وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لاقطعن امل كل مؤمل غيري
باليأس ولاكسونه ثوب المذلة عند الناس ولانحينه من قربي ولابعدنه من وصالي ايؤمل غيري
في الشدائد والشدائد بيدي ويرجو غيري ويقرع بالفكر باب غيري وبيدي مفاتيح الابواب
وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني فمن ذا الذي املني لنوائبه فقطعته دونها ومن ذا الذي
رجاني لعظيمة فقطعت رجاءه مني جعلت امال عبادي عندي محفوظة فلم يرضوا بحفظي وملأت السموات
من لا يمل من تسبيحي وامرتهم ان لا يغلقوا الابواب بيني وبين عبادي فلم يثقوا بقولي الم يعلم من طرقته
نائبة من نوائبي انه لا يملك كشفها احد غيري الا من بعد اذني فما لي اراه لاهيا عني اعطيته بجودي ما لم يسألني
رده وسأل غيري افتراني ابدأ بالعطاء قبل المسألة ثم اسأل فلا اجيب سائلي ابخيل انا فيبخلني عبدي او ليس الجود
والكرم لي او ليس العفو والرحمة بيدي او ليس انا محل الامال فمن يقطعها دوني افلا يخشى المؤملون ان
يؤملوا غيري فلو ان اهل سمواتي واهل ارضي املوا جميعا ثم اعطيت كل واحد منهم مثل ما امل الجميع ما انتقص
من ملكي مثل عضو ذرة وكيف ينقص ملك انا قيمه فيا بؤسا للقانطين من رحمتي ويا بؤسا لمن عصاني ولم يراقبني
وفي هذا المعنى احاديث اخر ودونها العامة والخاصة لايق العالم عالم الاسباب فكيف يذم من تسبب الى الغير
لطلب الرزق بسبب لانا نقول الذم باعتبار ان قلبه تعلق به واعتمد عليه واما من لم يركن اليه ولم يثق به
لم

ولم يعتمد عليه فالظاهر انه خارج من الذم والاولى مع ذلك ان يرجع الى الله تعالى فان شاء ان
يكون قضاء حاجته على يد احد جعله وسيلة له وان شاء ام لم يشأ او نزل بالمكان حل به والمراد
بانزال الحاجة به تعالى عرضها عليه والاستدعاء انجاحها فهو من الكناية والتصريح لان الحاجة
عرض لا يتصف بالنزول لان النزول والصعود والحركة والسكون وما شاكلها من صفات الاجسام
فلا يتصف بها الا المتحيز بالذات والغالب ان النزول موصول بالى او على اكثرية
الذي نزل على عبده الكتاب نزل به الروح الامين على قلبك ربنا انزل علينا مائدة
من السماء فاجعل اللهم صباحي هذا نازلا علي بضياء الهدى ان الله ينزل كل ليلة الى
السماء الدنيا اي رحمته والطافه والملائكة فلعل الوجه ان استعمال النزول معها انما يكون
اذا كان النازل في جهة عالية والنزول عليه في جهة سافلة كما في الاية والرواية واما اذا كان
الامر بالعكس فلا بد من وصلها بالباء لتدل على نحو من المقاربة حقيقة او حكما ومنه نزل بك
وانت خير منزول به والا فليس له تعالى منزل او مكان ليتصور النزول به حقيقة فهو
مجاز من القرب الحاصل بالتبتل والانقطاع عن غيره اليه والتوكل عليه او هو مبني على الكناية
والتشبيه تشبيهه تعالى بملك عظيم يشد اليه الرحال وينزل عليه الرجال ولا حصر طرائق النجاح

مطالبه ومسائلك افاضة مسائله وما يرجعه قاله وهو جلّ ذكره كريم لا ينبغي له ان يرد الطالب
والسائل عن بابه خائبا كيف وقد قال في كتابه العزيز واما السائل فلا تنهر فشرع عليه
قوله **فلا تردني من سَنِيّ مواهبك خائباً** اسنى فضيلك اسنا
وهو ارفعه ومنه بشر امتي بالسناء اي بارتفاع المنزلة والقدر عند الله قاله وقد سني يسني
سناء اي ارتفع واما السنى بالقصر فهو الضوء والمراد من مواهبك الرفيعة فانها في
غاية من الجود فلا تعطيه والهبة العطية الخالية عن الاعواض يقال وهبت له شيئا وهبا وهبة والاسم
الموهب والموهبة بكسر وخائبا حال من ضمير المفعول في تردني الجملة متفرعة والظرف مع المضاف اليه
متعلق الا احسن في حال خيبتي من عطاياك السنية وعن ابي عبد الله عليه السلام ما ابسط عبد يده الى الله عز وجل
الا استحيى الله ان يردها صفرا حتى يجعل فيها من فضله ورحمته شيئا فاذا دعا احدكم ربه فلا يرد يده حتى
يمسح بها على رأسه ووجهه وفي دعائهم عليهم السلام ولم يرجع يد طالبه صفرا من عطائك وخائبة
من نحل هباتك **يا كريم يا كريم يا كريم** ثلثا قيل اذا اعتني ذكر العدد مخصوص
فلا ينبغي ان يتجاوز الذاكر عن العدد المنصوص عليه ولا ينقص منه فان الظاهر ان الثواب او الاثر
المترتب على عدد معين لا يترتب على اكثر منه واقل وبه صرح ابن طاوس وغيره وقد مثل بانه اذا قال
لك

لك صادق القول عدد من هذا المقام عشرة اذرع فحفرت اي كان فيه كنز فلا شبهة في
انه لا يمكن تحصيله فيما فوق العشرة ولا دونها انتهى والكريم يطلق على ضد اللوم ويطلق على الجود
وهو المراد هنا قال ابن الاثير في اسمائه تعالى الكريم وهو الجواد المعطي الذي لا ينفد عطاؤه
ولما كان الجواد الالهي لا بخل فيه ولا منع من جهته لم يخيب سائلا عن حاجته وان عظم خطره
وجل قدره اذ لا اثر للنقصان في خزائن ملكه وعموم جوده مع جوده غير متناهية وكرم
غير محدود وحكى ابو القاسم القشيري قال كنت واقفا في حلقة الشبلي في جامع المدينة
فوقف رجل على حلقته وجعل يقول يا جواد فتأوه الشبلي وصاح فقال كيف يمكنني ان
يصف بالجود ومخلوق يقول في مثله: تعود بسط الكف حتى لو انه: ثناها لقبض
لم تطعه انامله: تراه اذا ما جئته متهللا: كانك تعطيه الذي انت سائله: ولو لم يكن في كفه
غير روحه: لجاد بها فليتق الله سائله: هو البحر من اي النواحي اتيته: فلجته المعروف والبر ساحله
ثم بكى وقال بلى يا جواد انت الجواد فانك اوجدت تلك الجوارح وبسطت تلك
الهمم ثم مننت بعد ذلك على قوم بالاستغناء عنهم وعما في ايديهم فانت الجواد
كل الجواد فانهم يعطون عن محدود وعطاؤك لا حد له ولا صفة ويفتقرون اذا اعطوا ولا تفتقر

من العطاء ولا يعجز عن الجزاء وقيل جواد العلو وكل جواد وبهاد وكل من جاد فهو او الكريم الكثير الخير
ونخلة كريمة اذا طاب حملها او كثر والعرب تسمى هذا الذي يدوم ويسهل نيلها كريما ومن
كرمه تعالى انه يبتدئ بالنعمة من غير استحقاق ويغفر الذنوب ويعفو عن المسيء وقيل الكريم المعبود
وقيل انه الصفوح وقيل معناه العلي الرتبة ومنه كرائم المواشي لنفاستها وقال الواحدي الكريم
اسم جامع لكل ما يحمد ويستحسن في بابه فالله تعالى كريم لانه محمود في كل ما يحتاج اليه والقران
كريم لانه يوجد فيه بيان كل شيء اولئك لهم مغفرة ورزق كريم هو نعيم الجنة المعروف
بالدوام واللذة وقيل العزيز كما تقول فلان اكرم علي من فلان اي اعز ومنه قوله تعالى
انه لقران كريم اي عزيز وقيل الكثير الخير دال على انه من صفات الذات والجواد هو المنعم المحسن
الكثير الانعام والاحسان والفرق بينهما ان الكريم هو الذي يعطي مع السؤال والجواد هو الذي
يعطي من غير السؤال وقيل بالعكس والمراد بكرمه تعالى فيضان الخير عنه من غير بخل ومنع وتعويق على
من يقدر ان يقبله بقدر ما يقبله وهذا من باب تعليق الحكم بالوصف ليدل على عليته وذلك انه
تعالى لما كان كريما والكريم اذا وعد وفى وهو سبحانه وعد باجابة الدعاء فقال ادعوني
استجب لكم فليس لائقا لوجه الكريم وفضله الجسيم ان يتوسل عن عطاء العميم وجاه العظيم فلا تردني
محزن

من سني مواهبك يا كريم برحمتك يا ارحم الراحمين الذي سبقت
رحمته غضبه وهو الذي كتب على نفسه الرحمة والباء للاستعطاف او للسببية اي فلا
تكون خائبا بسبب رحمتك التي وسعت كل شيء بالاستحقاق مني وتعقيب الدعاء بهذا النداء
توقعا لحصول المطلوب واستعطافا بوصف الدال على انه الجواد المطلق الذي لا يرحم
لمنفعة تعود اليه ولا مضرة يدفعها عنه وكل رحيم سواه فرحمته لغرض من الاغراض اما
لثناء دنيوي او اجر اخروي او للرقة الناشية من الجبلة او نحو ذلك على ان تلك
مع ان تلك الرحمة ايضا يتوقف على داعية يخلقها الله فيه والافات والالام
التي تراها في هذا العالم لا تنافي رحمته تعالى لان كلها مستتبعة لمصالح وغايات
لا يعلمها الا هو وانها ضرورية في الوجود لاستحالة خلو الخيرات الكثيرة عن الشرور وحكايات
ايراد هنا ما رواه بعضهم انه وقف على صبي في بعض الغزوات ينادي عليه من يزيد في
يوم صايف شديد الحر فبصرت به امراة وهو ينادي عليه فعادت مسرعة اليه واخذته
والصقته الى بطنها ثم القت ظهرها على البطحاء وجعلته على بطنها تقيه الحر فقالت ابني
ابني فبكى الناس وتركوا ما هم فيه فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف عليهم فاخبروه فقال

اعجبتم من رحمة هذه ابنها ان الله ارحم بكم من هذه بابنها ففرح المسلمون فرحون
يستبشرون وروي انه سبحانه لما نفخ في ادم من روحه وصار بشرا فعند ما استوى جالسا
عطس فالهم ان قال الحمد لله رب العالمين فقال الله له يرحمك الله يا ادم فكان
اول خطاب توجه منه اليه بالرحمة وحين ارسل موسى الى فرعون ليتوعده قال له
اخبره انني الى العفو والمغفرة اسرع مني الى الغضب والعقوبة وروي انه لما استغاث بموسى
حين ادركه الغرق ولم يستغث بالله فاوحى الله يا موسى لم تغث فرعون لانك
لم تخلقه ولو استغاث بي لاغثته وروي ان يونس بن متى لما صار الى البحر الذي
فيه قارون قال للملك الموكل به ما هذا الدوي والهول الذي اسمعه قال هذا يونس
الذي حبسه الله في بطن الحوت فجالت به البحار السبعة حتى صار الى هذا البحر
فهذا الدوي لمكانه فقال افتاذن لي في كلامه فقال اذنت لك فقال له قارون
يا يونس الا تبت الى ربك فقال له يونس الا تبت انت الى ربك فقال له قارون
ان توبتي جعلت الى موسى وقد تبت اليه فلم يقبل وانت لو تبت الى الله لوجدته
عنده اول قدم ترجع بها اليه اولا تنظر الى حسن صنيعه بعباده وكيف تعلقت عنايته

بالاحسان

بالاحسان اليهم والرحمة لهم والرحمة النعمة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين اي نعمة عليهم
ويقال مقرون رحمة وسقيت رحمة اي نعمة ويقال الرقيق القلب الذي رحيم لكثرة
وجود الرحمة منه بسبب الرقة واقلها الدعاء للمرحوم والتوجع له واطلاق الراحم على الله وعلى غيره
انما هو من باب الاشتراك اللفظي اذ لا شركة بينه وبين غيره في المعنى اصلا فان رحمته تعالى
شانت ذاته المقدسة ورحمة غيره رقة انعطاف تقتضي الشفقة واللطف بالخلق ورحمته
في حقه لا بمعنى الرقة بل معناها ايصال النعمة للمرحوم وكشف البلوى عنه لانه ذو الرحمة الشاملة
التي وسعت الخلق في ارزاقهم واسباب معاشهم وعمت المؤمن والكافر والصالح والطالح وغيرهم
من الموجودات فخذ الغايات واحذف المبادي وقد مرت في فواتح الدعاء مبسوطة مشروحة فليتذكره
وصلى الله على خير خلقه سيدنا سيد ولد ادم ومن ادم ومن دونه
تحت لوائه كان نبيا وادم بين الماء والطين وهو المشرف بخطاب لولاك لما خلقت الافلاك
وفي هذا في المصدر المفيد للعموم دلالة انه اشرف المخلوقات واكمل الموجودات وهو كذلك
لقوله انا سيد ولد ادم ولا فخر وقوله تعالى خلقت الاشياء لاجلك وخلقتك لاجلي وانه اول من
تشرف بعناية الله وصار مظهر جلاله وجماله وقد تقرر في مقره ان اول خلق الله اشد مناسبته

اولاً او كظهر ونحوه بين خلقه وامّا الاستدلال على حجية الكشف فيه بكريمة انه لقول رسول كريم على افضلية جبرئيل من محمد
حيث قال وما صاحبكم بمجنون فلا دلالة فيها على افضلية جبرئيل وفضل الملائكة وبيانه منزلة المنزلة
فضل الانس محرّم اذ او ازنت بين الذكرين حين قرن بينهما وغايت بين قوله وما صاحبكم
بمجنون فهذا انه لا دلالة لكشف الآية فهذا المكان ذكر نعوته امّا الكونه جلياً ان يمدح في عرض مدح غيره.
والكمال جبرئيل اولاً ان المخاطبين بهذه الآية لمّا زعموا انه مجنون وان ما القرآن على القاه اليه الشياطين
الا الكهنة اقتضى المقام ان لا ينعته بصفات الكمال لئلا تزيد بهم انكاراً ولذا خرج الكلام على طريق
التلطف بهم والمداراة معهم حيث اضيف الى انفسهم وجعل من جملتهم شبيهاً على ان شأنكم ان تقرّوا به
على كاذب البرايا حيث ان الاصطفى من انفسكم من بلغ تلك المرتبة العظمى الان تنسبوه الى
ما يرجع اليكم نقصاً وسبب عليكم قدراً وهذا الكلام من جملة اسم خبر وقع موقع الانشاء واما التعقل
بلفظ الماضي مع انه من الامور الاستقبالية التي حقها ان يخبر عنها بالمضارع او الاظهار الحرص في وقوعه
لان الطالب اذا عظمت رغبته في شيء كثر تصوره له فربما يخيل اليه حاصلاً فيورده بلفظ الماضي وهذا معنى
قولهم ان الدعاء بصيغة الماضي من البليغ يحتمل الامرين والسيد عند بعض اهل اللغة المحسن
من المعز قال الجوهري وفي الحديث شيء خير من السيد المعز وقد يطلق المالك القوم
وعظيمهم

وعظيمهم سيد وساد فلان قومه يسودهم سوددا بالضم وسيادة اذا صار رئيسهم وقال الراغب
السيد الذي يفوق في الخير وقال بعض اهل اللغة السيد المالك او من في حكمه الذي تجب
طاعته ولذا اتى سيد الغلام ولا اتى سيد الثوب وقيل لقيس بن عاصم بم سدت قومك
قال ببذل الندى وكف الاذى وقال النبي صلى الله عليه وآله انا سيد العرب فقالت عائشة يا رسول الله
الست سيد العرب فقال انا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب فقالت وما السيد فقال
من افترضت طاعته كما افترضت طاعتي فعلى هذا الحديث السيد هو المالك الواجب الاطاعة
وقد يطلق السيد على الرب والشريف والفاضل والكريم والحليم والمتحمل اذى قومه والمقدم و
الزوج ومنه الفيها سيدها لدى الباب واصله سيود قلبت الواو ياء لاجتماع الساكنة قبلها
ياء ثم ادغمت **محمد وآله الطاهرين** تطهير الكبرى اياهم كل رذيلة
واذهابه عنهم دنس كل كبيرة وصغيرة والطهارة النقاء من الدنس والنجس والطاهر النقي
منها وفي اصطلاح ارباب العرفان الطاهر من عصمه الله من المخالفات وهو ينقسم الى الطاهر
الظاهر وهو من عصمه الله عن المعاصي والطاهر الباطن وهو من عصمه الله عن الوساوس والهواجس
وطاهر السر وهو من لا يذهل عن الله طرفة عين وطاهر السر والعلانية وهو من قام بتوفية

حقوق الحق والخلق جميعاً برعاية الجانبين ولا خفاء في ان المراد بهنا ما يعم جميع هؤلاء
وهذه النعوت لهم عليهم السلام عين الحق ونفس الواقع كيف لا وهم الذين قال الله في شانهم
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وما احسن واصدق ما قال في حقهم
فهم هم سنام العالم وصفوة الامم وغرة العرب ولباب البشر ومصاص بني ادم وزينة الدنيا
وحلية الدهر وطينة البيضاء والمغرس المبارك والنصاب الوثيق ومعدن المكارم وينبوع
الفضائل واعلام العلم وايمان الايمان صلوات الله وصلواته عليهم اجمعين ولا قول القاضي البيضاوي
وتخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما لما روي انه عليه السلام خرج ذات غدوة وعليه
مرط مرحل اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال — ثم جاء علي فادخله فيه
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا والاحتجاج بذلك على
عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف لان التخصيص بهم لا يناسب ما قبل الآية وما بعدها والحديث
يقتضي انهم اهل البيت لا انه ليس غيرهم ضعيف اما الاول فلان القران انما نزل على
الاساليب المنطوية عليها لغة العرب لقوله قرانا عربيا ومن عادة فصحائهم وبلغائهم
في كلامهم انهم يذهبون من خطاب الى خطاب ثم يعودون اليه ومن ذلك ما وقع لامرئ القيس
في الهجر

من الفصل بين لذة الحب والبؤس في الدعة قوله كاني لم اركب جوادا للذة
ولم اتبطن كاعبا ذات خلخال ولم اسبأ الزق الروي ولم اقل لخيلي كري كرة
بعد اجفال فصل بين لذة البؤس وهو قوله الروي من غير ضرورة داعية من
محافظة على وزن او قافية اذ كان له ان يقول كاني لم اركب جوادا ولم اقل
لخيلي كري كرة بعد اجفال ولم اسبأ الزق الروي للذة ولم اتبطن كاعبا ذات خلخال
فكون ما قبل الآية وما بعدها في ازواج النبي صلى الله عليه وسلم لا يمنع كون وسطها فيهم اذ الخروج
من حكم الى حكم آخر في القران كثير جدا فكثيرا ما نزل الآية اولها في شيء واوسطها في شيء آخر
وآخرها في آخر ولو اريد في الوسط ايضا ليذهب عنكن ويطهركن دون عنكم ويطهركم
فهذا قرينة على المراد والقول بانه ليس بظاهر ضعيف واما الثاني فلما قال ابو سعيد الخدري
وانس بن مالك ووائلة بن الاسقع وعائشة وام سلمة وغيرهم ان الآية مختصة
برسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة وابنيهما عليهم السلام وقول النبي في جواب ام سلمة ادخلني
معك ومعهم انك الى خير والاخير وانما نزلت هذه الآية في بيتي وانا جالسة عند
الباب وفي تفسير الثعلبي عن ام سلمة ان النبي في بيتها فاتته فاطمة ببرمة فيها حريرة فقال لها ادعي زوجك

[illegible]

وبنيك قالت فجاء علي وحسن وحسين فدخلوا فجلسوا يأكلون تلك الحريرة وهو وهم
على منام واحد له وكان تحته كساء خيبري قالت وانا في الحجرة اصلي فانزل الله
انما يريد الله ليذهب الآية قالت فاخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم اخرج يده فالوى بها
الى السماء ثم قال اللهم ان هؤلاء اهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا
فادخلت رأسي البيت وقلت وانا معكم يا رسول الله قال انك الى خير وباسناده قال جميع
دخلت مع امي على عائشة فسألتها امي ارأيت خروجك يوم الجمل قالت انها كانت
قدرا من الله فسألتها عن علي فقالت تسأليني عن احب الناس الى رسول الله وزوج احب
الناس كانت الى رسول الله لقد رأيت عليا وفاطمة وحسنا وحسينا قد جمع رسول الله
بثوب عليهم ثم قال اللهم ان هؤلاء اهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم
تطهيرا قالت فقلت يا رسول الله انا من اهلك قال تنحي انك الى خير وروى الترمذي في الجامع
عن عمر بن ابي سلمة ربيب رسول الله قال نزلت انما يريد الله ليذهب الآية في بيت ام سلمة
فدعا النبي فاطمة وعليا وفاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال هؤلاء اهل بيتي
فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وقالت ام سلمة وانا معهم يا رسول الله قال انت على مكانك وانت على خير

وفي رواية

وفي رواية شهر بن حوشب فرفعت الكساء لادخل تحته معهم فجذبه من يدي وقال انك على خير
وفي رواية اخرى فقالت زينب يا رسول الله الا ادخل معكم فقال رسول الله مكانك فانك على خير
ان شاء الله وفي صحيح ابي داود السجستاني وهو كتاب السنن قالت ام سلمة وانا جالسة عند الباب
فقلت يا رسول الله الست من اهل البيت فقال انك على خير انك من ازواج النبي صلى الله عليه وآله وهذه
وامثالها الكثيرة الواردة في طرق العامة تقتضي بكونهم المراد باهل البيت دون غيرهم من
ازواج النبي صلى الله عليه وآله ونسائه المذكورات فيما قبل الآية وما بعدها وبالجملة ما ذكروه واحتملوه
من التغليب وكون هذه الآية تعليلا لامرهن ونهيهن مع الالتفات فيه وكون الحكم عاما وتخصيص
الشيعة اهل البيت بهؤلاء وبذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف الى غير ذلك
كلام في مقابل النص الصحيح والبيان الصريح الواردين في الطرفين فلا يسمع ذلك منهم
نعم لولا ورود الروايات الصحيحة من الجانبين في بيانها لكان لما ذكروه واحتملوه وجه واذ
قد ثبت ان المراد باهل البيت في الآية هؤلاء المذكورون ثبت ان اجماعهم بل قول
كل منهم بحياله حجة لان اذهاب الرجس ووقوع التطهير يستلزم عدم العصيان والخطأ
والمنع لقبح الامر ونواهيه فوقوع الخطأ منهم مأمون فلا بد الاقتداء بهم والاخذ بقولهم

[Margin notes: ان اللام في [illegible] … الرجس [illegible] … معصومون [illegible] … في الطرفين [illegible] … لقول المعصوم [illegible] … وهذا المقام من ذلك [illegible] … ووجه الضعف لا يقبل الا [illegible] … المتكلفة [illegible] … في العربية والاحاديث [illegible]]

وفضلهم وتقريرهم دون من لا يؤمن وقوعه منه وتطرق الرجس اليه ومن العجب ان
هذا القاضي يجوز في حكمه فيقتصر على خلاف ما ورد من طرقه فيذكر منه ما يقبل التأويل
الا ما يطابق دينه وهواه ويوافق مذهبه واشتهاه ويترك او يعاني ما هو نقيض الباب
والله يهدي من يشاء الى الصراط السوي والطريق الصواب ولنذكر هنا ما ورد في ذلك
في طرق الشيعة فمن كتاب كمال الدين وتمام النعمة باسناده الى سليم بن قيس الهلالي عن صاحب
الدعاء جعلني الله الفداء قال رأيت في اثناء كلام له في جمع من المهاجرين والانصار في المسجد في
ايام خلافة عثمان ايها الناس اتعلمون ان الله عز وجل انزل في كتابه انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا فجمعني وفاطمة وابني حسنا وحسينا والقى علينا
كساء وقال اللهم ان هؤلاء اهل بيتي ولحمتي يؤلمني ما يؤلمهم ويجرحني ما يجرحهم فاذهب عنهم
الرجس وطهرهم تطهيرا فقالت ام سلمة وانا يا رسول الله فقال انت او انك على خير انما انزلت
فيّ وفي اخي وفي ابنتي وفي تسعة من ولد الحسين خاصة ليس معنا فيها احد غيرنا فقالوا كلهم نشهد ان ام سلمة
حدثتنا بذلك فسألنا رسول الله فحدثنا كما حدثتنا ام سلمة وفي علل الشرايع باسناده الى عبد
الرحمن بن كثير قال قلت لابي عبد الله عليه السلام ما عنى الله عز وجل بقوله انما يريد الله ليذهب الاية قال نزلت

هذه الاية

هذه الاية في النبي وامير المؤمنين والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلم فلما قبض الله
نبيه كان امير المؤمنين ثم الحسن ثم الحسين ثم وقع تأويل هذه الاية واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وكان علي بن الحسين ثم جرت في الائمة من ولده
الاوصياء فطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله عز وجل وفي الاحتجاج عن علي بن الحسين ع
في حديث طويل يقول فيه لبعض الشاميين فهل تجد لنا في سورة الاحزاب حقا خاصة
دون المسلمين فقال لا قال ع اما قرأت هذه الاية انما يريد الله ليذهب الاية والاخبار
في ذلك من الطريقين اكثر من ان يحصى وفيما اوردناه كفاية لمن كان له قلب او القى السمع
وهو شهيد ومن نظر ان العصمة والطهارة من الامور الممكنة الحصول في غيرهم الا انها في
هذه الاية انحصرت فيهم وخصت بهم والى هذا يشير قول صاحب التجريد لوجوب العصمة وانتفائها
عن غيرهم وفي معاني الاخبار عن علي بن الحسين عليهما السلام الامام منا لا يكون الا معصوما وليست العصمة
في ظاهر الخلقة فتعرف بها فلذلك لا يكون الا منصوصا وفي مجمع البيان استدلت الشيعة
باختصاص هذه الاية بهؤلاء الخمسة بان قالوا ان لفظة انما لاثبات ما يذكر بعده ونفي ما سواه
اذا الفرض ... ان الارادة في الاية اما ان تكون ارادة محضة او ارادة يتبعها التطهير واذهاب الرجس

لا سيما الى الاول لانه قد اراده من كل مكلف هذه الارادة المطلقة فلا اختصاص لها باهل
البيت ولان هذا القول يقتضي المدح والتعظيم لهم ولا مدح في الارادة المجردة فثبت ان في
وفي ثبوت عصمة المعنيين بالاية من جميع القبائح وقد علمنا ان من عدا من ذكرنا من اهل البيت
غير مقطوع على عصمته فثبت ان الاية مختصة بهم انتهى ولعل السبب في ذلك اختصاصهم من ان
لسنا نقول المحل له دون غيره والبشر قوله انهم لم حيث يحل السنة ويجوز ان يكون ذلك من
انفسهم بحيث لا يختارون المعصية مع قدرتهم عليها لوفور عقلهم وكثرة علومهم ومداومتهم
على الفكر والنظر وملازمتهم على الطاعات ومواظبتهم على العبادات او كما قيل انهم من حيث هم
بشر متعلقون بجلابيب ابدانهم البشرية وقوالبهم الناسوتية ولكن لو امالهم الى
المعايب والامور الدنية وما هو مقتضى الطبيعة النوعية واللوازم البشرية الا انه
حصل لهم لطهارة انفسهم القدسية وكمالها في نفسها ثبات قوتها المتفكرة واستقامة
وهيهات فعا والتحت على العقل سواء في ذلك صغيرهم وكبيرهم لما ثبت من امامة الجواد
والقائم عليهما السلام بالسنة المتواترة القاطعة في حد الصبي من العناية الازلية ما يمنعهم
ذلك كمحبة عالم القدس والتشبه بالمبادي العالية والملائكة المقربين والتخلق باخلاق الله
ان

[illegible]

[illegible]

رب العالمين وهذا معنى قولهم العصمة لطف يفعله الله بالمكلف بحيث لا يكون له داع الى ترك الطاعة
[illegible]
وارتكاب المعصية مع قدرته على ذلك وامكان صدور خلافها عنه وبالجملة المعصومون
من البشر لهم جهتان ناسوتية ولاهوتية فبالاولى يقع عليهم ما يقع على غيرهم من الاحوال المشتركة
واللوازم البشرية كالاكل والشرب والنوم والحركة وغيرها من المناكح والمشارب وبالثانية
يقهرون قوى نفوسهم المتضادة واهوائها المتنازعة المنبعثة عن الشرور والغرور وبذلك يكون
افضل من الملائكة اذ لهم امور مضادة للقوة العقلية وشواغل من الطاعات العلية كالشهوة والغضب
وسائر الحاجات البدنية والموانع الخارجية والداخلية فالمواظبة على الطاعات والمداومة على العبادات
وتحصيل الكمالات بالقهر والغلبة على ما يضاد القوة العقلية يكون احمز وابلغ في استحقاق
الثواب ولا نعني بالافضلية الا زيادة استحقاق الكرامة والثواب وقد يقال ان هذه
الجملة انما تحصل بدوام الفكر وقصر النظر في نعوت كماله وصفات جلاله وعلمه وحقائق
مخلوقاته وبدائع مصنوعاته وخواص مبدعاته وبالجملة بالتبتل عن دار الغرور والتوجه الى
عالم النور والسرور قول صاحب الدعاء جعلت لك الفداء وقد سلك من الايام ما ثبت
قدرت على باب قلبي في امرك الى ان يدخل سور الله عليك الصلاة فضلا من النبي الاكمل

تذنيب ومما يشتمل عليه الدعاء وينفعه الدعاء بغيره بوجوه احدها انه من اعظم اسباب
اجابة الدعاء فيكون الدعاء معها اقرب الى الاجابة حيث وقع بين مستجابين فان الله
اكرم من ان يقبل الطرفين ويدع الوسط قال الصادق عليه السلام من كانت له الى الله حاجة فليبدأ
بالصلاة على النبي محمد وآله ثم يسأل حاجته ثم يختم بالصلاة على محمد وآله فان الله عز وجل اكرم
من ان يقبل الطرفين ويدع الوسط اذا كانت الصلاة على محمد وآله لا تحجب عنه وعن صاحب الدعوات
عليه صلوات الله ما دامت الارض والسماء اذا كانت لك الى الله سبحانه حاجة فابدأ بمسألة الصلاة على النبي ثم
سل حاجتك فان الله اكرم من ان يسأل حاجتين فيقضي احديهما ويمنع الاخرى وذلك في باب
استعمله صفقة واحدة فان المشتري لا يسوغ له اخذ الصحيح ورد المعيب بل اما ان يرد الجميع
او يقبل الجميع فهنا الداعي مزج الدعاء لنفسه بما جعله من النبي وآله وعرض الجميع صفقة واحدة
على حضرة ذي الجلال والاكرام فهو سبحانه اجل واكرم من ان يرد المعيب ويقبل الصحيح كيف وقد نهى عن ذلك
عباده ولا يليق بكرم جلاله رد الجميع لان بعضه مقبول البتة فلم يبق الا قبول الجميع وفيه المطلوب الثاني
ان النبي والائمة عليهم السلام وسائط بين الله سبحانه وبين عباده في وصول احكامه وانجاح مطالبهم وهم ابواب
معرفته عز وجل فهو من التوسل بذكرهم عليهم في عرض الدعاء وقبوله لديه وذلك كما اذا اراد احد
ما الى

من الرعية اظهار حاجة على السلطان توسل بمن يعظم ولا يمكنه رد شفاعته وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه
قال سمعت محمدا صلى الله عليه وآله يقول ان الله عز وجل يقول يا عبادي اوليس من له اليكم حوائج كبار
لا تجودون بها الا ان يتحمل عليكم باحب الخلق اليكم تقضونها كرامة لشفيعهم الا فاعلموا
ان اكرم الخلق علي وافضلهم لدي محمد واخوه علي ومن بعده من الائمة هم الوسائل الى الله
الا فليدعني من همته حاجة يريد نفعها او دهمته داهية يريد كشف ضررها بمحمد وآله الطيبين
الطاهرين اقضها له احسن ما يقضيها من تستشفعون باعز الخلق عليه فقال له قوم من
المشركين والمنافقين وهم مستهزئون به يا ابا عبد الله فما لك لا تقترح على الله بهم ان يجعلك
اغنى اهل المدينة فقال سلمان دعوت الله وسألته بهم ما هو اجل وانفع وافضل من ملك الدنيا باسرها
سألته بهم صلى الله عليهم ان يهب لي لسانا ذاكرا لتحميده وثنائه وقلبا ذاكرا لآلائه وبدنا
على الدواهي الداهية صابرا وهو عز وجل قد اجابني الى ذلك وهو افضل من ملك الدنيا بحذافيرها
وما يشتمل عليه من خيراتها مائة الف الف مرة وعن الصادق عليه السلام لا يزال الدعاء محجوبا حتى يصلى على محمد
وآله وعنه عليه السلام من دعا ولم يذكر النبي صلى الله عليه وآله رفرف الدعاء على رأسه فاذا ذكر النبي رفع الثالث انه
اب معنوي للامة من حيث الشفقة والنصيحة في الدعاء له صلى الله عليه وآله كان احق من تحضيضه على تعليمه واداء

واوائل الوجه بتعظيمه وتكريمه في الحديث شيء انما ذات ابو هذه الامة وقد ثبت عند ارباب
التحقيق انه عم ابو الارواح كما ان ادم عليه السلم ابو الاجسام وقال بعض اصحابنا سلمهما
خبرا ان الارواح كلها مخلوقة من روح واحدة هي روح النبي عم فروحه اصل الارواح
فكما ان ادم لما كان ابا البشر وخليفة الله في الارض كان النبي عم ابا الارواح وخليفة الله
في عالم الارواح فالروح خليفة ومجمع صفاته الذاتية كالعلم والحيوة والقدرة والارادة
والسمع والبصر والكلام والبقاء والجسد خليفة الروح وهو مجمع صفاته الفعلية وذلك ان اول
ما خلق روح النبي عم ولم يكن شيء لا وجود ثبت او نفي ذا اليه الروح غير انه بل كان روحه اول
شيء تعلقت به القدرة الازلية ولذلك شرفه تشريف الاضافة في النفخة وهو روح النبي
كما قال واذا سويته ونفخت فيه من روحي والتقدير روحي من يكون فيه ولا ترى ان الروح
المنفوخ في ادم هو بعينه روح النبي عم بل كان روح ادم متولدا منه فالنبي عم الاب الروحاني
لابي البشر وسائر الانبياء وابو البشر الاب الجسماني لسائر البشر كما قال واذ وان كنت ابن ادم صورة
فلي فيه معنى شاهد بالابوة ولكن ارواح اولاد ادم مخلوقة من روح النبي بقوله ثم جعل نسله
من سلالة من ماء مهين ونفخ فيه من روحه وكذا قال في حق روح عيسى ونفخنا فيه من روحنا
فافهم.

فكانت النفخة تجديد سر والروح من روح النبي عم المضاف الى الحضرة الالهية ولاجل كون حقيقة
الروح على هذه المنزلة والشرف قصرت افهام الناس وتلاشت العقول عن دركها كما تلاشى
انوار الابصار في شعاع الشمس ولهذا قال انه قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا فافهم هذا
المقال فانه مدركه فرز المنال انتهى **ثم نبهم نفعه عميم** ما تضمنه الدعاء من الاعتراف
بالذنوب والمعاصي والاقرار بالخطايا والسيئات والمساوي مع عصمته صلى الله عليه وسلم
كما هو محمول على ارشاد رعيته وتعليمهم كيفية الاقرار والاعتراف بالتقصير والذنوب
والاستغفار عنها والتوبة منها او على التواضع والاعتراف بالعبودية وان البشر في مظنة
المعصية وليسوا كالملائكة الذين لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون تأييده ما روي
عن صاحب الله بما جعلت له الفداء انه مر بقوم من اخلاط المسلمين ليس فيهم مهاجري ولا انصاري
وهم قعود في بعض المساجد في اول يوم من شعبان واذا هم يخوضون في امر القدر وغيره مما اختلف فيه
الناس قد ارتفعت اصواتهم واشتد فيه جدالهم فوقف عليهم فسلم فردوا عليه ووسعوا له وقاموا له
يسألونه القعود اليهم فلم يحفل بهم ثم قال لهم وناداهم يا معشر المتكلمين الم تعلموا ان لله عبادا اسكتتهم
خشيته من غير عي ولا بكم وانهم لفصحاء العقلاء الالباء العالمون بالله وايامه ولكنهم اذا ذكروا

عظمة الله انكسرت انفسهم وتقطعت افئدتهم وطاشت عقولهم وتاهت حلومهم اعزازا لله

واعظاما وجلالا فاذا افاقوا من ذلك استبقوا الى الله بالاعمال الزاكية يعدون انفسهم مع الظالمين فاقرأ م

وانهم براء من المقصرين والمفرطين الا انهم لا يرضون لله بالقليل ولا يستكثرون لله الكثير ولا يدلون

عليه بالاعمال فهم اذا رأيتهم مهيمون مروعون خائفون مشفقون وجلون فاين انتم منهم يا معشر المبتدعين

الم تعلموا ان اعلم الناس بالقدر اسكتهم عنه وان اجهل الناس بالقدر انطقهم فيه وقوله عليه السلام في حديث اخر

يمنعني عن الكيد خوف التطويل فاكتفيت فيه بذكر هذا القدر القليل والاثار الواردة الى الستار

جعلنا الله واياكم من العاملين بالقدر والكافين عنه والمتحرجين عن امر القدر فانه من حايف الاقدام

نهمناض فيه لا نفع بالنظر ولذا نهى عنه رسول الله وعترته المعصومون والائمة عليهم صلوات الله

سلاما بازغت الشمس والقمر والحمد لله رب العالمين والصلوة على رسوله واله البررة الكرام خير البرية

واشرف الانام سودة في حفوان شبابه وتعالى من السواد الى البياض بعد شيبته ونفاذ ايامه وقراء اطلع

وكان السبب العائق له عن ذلك امور شتى حالت دون الاطناب ونقعها يدهش الالباب ويشوش الاذهان والاحلام

المشتكى الى الله ورسوله واله الائمة الهداة العبد الحقير الى الله مولاه الجليل محمد بن الحسين محمد رضا البناء ...

اشهر باسمعيل الشهير المؤمن المجد والاقبال عليهم صلى الله عليه واله وحررة العبد ... في ... صفر سنة ... ١٢٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم ان الباء اشارة الى المرتبة الاولى من مراتب العلم ...

بالعقل الاول والبين بعقل ... المرتبة الثانية ... الالهية ...

المحفوظ والكتاب المبين والتيم في المرتبة الثالثة ... العقلية ...

والنفس ... من العالم والكوكب ... الملك ... العلوية ...

وبما ... عالم الملكوت والطبيعة العقلية ... والاجزاء ...

في قوله ... انواع ... العالم ... الرحمن ... اللاهوت ...

وكلمة الالف المحدودة التي ... الرحيم ... العدم والدوام ...

اجمالا ان ... لفظ الله ... والكون ... التوحيد ... الرحمن ... بالنفس ...

عالم الملك ... ولفظ الرحمن ... العالمين ... المشيئة ... الرحيم ... التي ...

الفيض ... والثلاث ... الخلقة ... ولفظ الرحيم ... المشيئة ... والوجود

العارف وذالك

الا الوجود بحضرات الابد الدائم والقدس

وجزئه فان قلت فخلق السموات [illegible] ثلث [illegible] الثلث

في ستة ايام والمراد الثلث البيانات والباواة [illegible] والسمع والبصر [illegible] الثانية مرتبة الظهور [illegible]

الاول ستة لان الثلث الاول [illegible] الثلث الاولى [illegible] والصفات [illegible] فعال المرتبة

والارض وما بينهما [illegible] المظاهر [illegible] الاسماء والصفات وعالم الصفات [illegible]

الملك والملكوت والغيب والشهادة [illegible] بالجبروت لانه مظهر الذات [illegible] ثلث يكون [illegible]

والملكوت والجبروت لان عالم الاسماء مخصوص [illegible] فعال والثلث [illegible] المطلقين [illegible]

والملكوت [illegible] وعالم الاسماء [illegible] مخصوص بالملك لانه مظهر [illegible] خلق [illegible] وفي صدر

بالملكوت لانه مظهر الصفات [illegible] المشاهدة [illegible] الظهور والبروز [illegible] وفي صدر

في بسم [illegible] بين الوسطية [illegible] من حيث [illegible] الظهور والبروز [illegible]

و [illegible] المدبر [illegible] الجبروت [illegible] في صدر الوسطية [illegible] من حيث الظهور و

الصفات [illegible] ويطلع مع الملك انه في صدر المشابهة [illegible] الحكيم

العقلان [illegible] الصعود والعروج ومع الملك انه في صدر [illegible] ذلك لعدد العرش

المدبرة من حيث الصعود والعروج من حيث الصعود والعروج ذلك عالم الافلاك [illegible]

الوسطية من حيث [illegible] المشابهة [illegible] من حيث [illegible] مرتبة عالم الابدية [illegible]

وفي صدر [illegible] اخر [illegible] والقطر [illegible] والجلالة

لان الثلث [illegible] ثلث [illegible]

بازاء

بازاء

علم الذات وعلم الاسماء فعال والباطن [illegible] والارض [illegible]

الصفات والملكوت والملك [illegible] والميزان والجمع [illegible]

والعلم بازاء [illegible] والجبروت [illegible] وعالم الملكوت [illegible] وان قلت [illegible]

والارض [illegible] بازاء الموالبد الثلثة [illegible] وعالم الملكوت وعالم الظاهر [illegible] وان [illegible]

فالملكية [illegible] بحروف [illegible] اسم [illegible] وان قلت عالم الغيب وعالم الباطن [illegible] فعال الغيب

[illegible] وعالم الابداع [illegible] وان قلت حضرات الواحدية وحضرات الربوبية وحضرات [illegible] وعالم الذات

الصفات وعالم [illegible] حضرات الربوبية [illegible] فعال [illegible] وان قلت عالم الذات [illegible] وعالم الصفات [illegible]

وحضرات الواحدية وحضرات الرسالة [illegible] فعال [illegible] وان قلت [illegible] التوحيد [illegible]

حضرات الولاية وحضرات النبوة [illegible] وقلت [illegible] واللازمات [illegible] حضرات الواحدية [illegible]

وان قلت [illegible] الذات [illegible] الصفات [illegible] لطائف [illegible] وبالنهما [illegible] مرتبة [illegible]

والتوحيد [illegible] وان قلت [illegible] المطلق العرفان والجبروت [illegible] مرتبة [illegible]

والكمالات [illegible] فعال [illegible] الارواح [illegible] وعالم الشهادة [illegible] وسادسها [illegible] مرتبة [illegible]

وبحضرات الالهية [illegible] وثالثها [illegible] عالم الملك [illegible] والعبادة [illegible] الاربع [illegible]

وبعالم الاسماء والملكوت [illegible] وخامسها [illegible] الجمع [illegible] والعبادة [illegible] الجان

[illegible] الله [illegible] الكامل الذي [illegible] العالم [illegible] وعبادة [illegible] العلم

[illegible] الملك [illegible] وبين الله [illegible] والعبادة [illegible]

[illegible] بالجبروت.

و الملکوت و الملک ... [illegible]

[illegible]

فهو الواحد الاحد ... [illegible]

... [illegible]

ان الله خلق ... شهید خلقه و خلقه ... توجیه ... تمیزه عن خلقه و حکم التمیز بینونة صفة لا عزلة
بان عن الاشیاء بالقهر لها و بانت الاشیاء عنه بالخضوع له ... هذه المقالات عن معدن الحکم

سئل شیخ ابو سعید ابو الخیر ... [illegible] ... حال ...

هذه الرباعیة الرقیقة اللطیفة

زلفش بکشی شب دراز آید ازو | ور بگذاری چنگل باز آید ازو
ور پیچ و خمش ز یکدیگر باز کنی | عالم عالم مشک فراز آید ازو

[illegible]